مبادرة

القراءة بالمجان

ليان للنشر والتوزيع

الكتاب:المربوعة

الكاتب: كُتّاب المعتكف الكتابي

رقم الإيداع: 2623/ 2018

ISBN: 978-977-800-084-9

تصميم الغلاف: محمد عبد القوي مصيلحي

مدير النشر: فتحي المزين: 01282288056

Email: layanpub@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية
يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المربوعة

قصص

كُتّاب المعتكف الكتابيّ

ليان
للنشر
والتوزيع

إهداء

إلى مريم،

ها هي البحيرة، مالحة كرحلة الحياة، وذلك هو العبور، عبورك وبين يديك ولدك، نبي الله، العطش هو سيد الموقف ولكن يشاء الله أن تمدي يدك لترتوي فتستحيل ملوحة البقعة التي باركتها يديك الشريفتين إلى عذب مياه صامد لا يدنسه ملح الأيام.

سلام عليكِ يا ست نساء العالمين

النيلُ يلفُظ أنفاسَه الأخيرة

سعيد فاروق النحاس

لِمَ أنتَ حزين حائر محموم؟ يبدو لي وكأن الله يعاقبك على أفعالك، على جبروتك، على فيضانك لآلاف السنين. أوَلا تذكُر يا سيدي آلاف الجميلات اللائي ابتلعتهن في أحشائك؟ كل عام واحدة من أجملهن في عيد وفائك. أوَلا تذكُر هذه الأيام؟ كنت كإله عظيم تُقدم له الأضحيات والقرابين من أغلى ما نملك من بناتنا فِلذات أكبادنا، ولا تقبل سوى جميلة الجميلات. وجموحك وفيضانك يا مولاي في أيام معدودات، فتأكل وتأخذ منا ما تريد وتذهب إلى حيثما تريد.

أعلم يا سيدي أنك كنتَ تسير هنا وحدك منفردًا، حتى قبل أن يخلق الله البشر بآلاف الأعوام، فغزوناك فاتحين، فعشنا على ضفافك في وطنك، وشربنا وسقينا زروعنا من مائك، ألذلك أنت دائمًا مهموم وحزين؟ ولكنا قدسناك وعظمناك وقدمنا لك القرابين.

تُرسم على شاطئ النهر المحموم ابتسامة، ويقول «هل انتهيت يا سيدي؟ أنصت الآن»:

لما يعاقبني الله وأنا لم أعصه قط؟! وهو العدل الكبير، يعفو عن حتى الخطَّائين أمثالكم أنتم معشر البشر.

نحن معشر الأنهار لسنا مثلكم معشر البشر، فنحن سيَّرنا الله حتى

نكـون سر الحيـاة، فدوننـا لا تسـتقيم حيـاة، وقـد لا تكـون. وقبِلنـا نحـن الأنهـار هـذا الـشرف العظيـم فـما أعظـم مـن أن يجعلـك الله سر الحيـاة. فسرنـا بـإذن الله لملايـين السـنين حتـى قبـل أن يخلـق الله البـشر، روينـا أرضًـا وطيـورًا وحيوانـات وأشـياء أخـرى لا يعلمهـا إلا الله. والحقيقـة أننـا كنـا الأسـعد قبـل خلقكـم، عـلى الرغـم أنـه لم يقدسـنا أحـد ولم تُقـدم لنـا القرابـين، ولكـن الأهـم أنـه لم يدنسـنا أحـد مثلـما فعلتـم أنتـم.

أنتـم مـن دنسـتم وفسـدتم تمامًـا كـما قالـت الملائكـة لربهـا العظيـم إبـان خلقكـم. بسـم الله الرحمـن الرحيـم «أتخلـق فيهـا مـن يُفسـد فيهـا ويسـفك الدمـاء ونحـن نسـبح بحمـدك ونقـدس لـك. قـال إني أعلـم مـا لا تعلمـون». صـدق ربنـا العظيـم.

نعـم فسـدتم، نعـم دنَّسـتم، ولكـن أبـدًا لم نكـن نعلـم أننـا سـوف نكـون يومًـا، نحـن الأنهـار، جزءًا مـن دَنسـكم وفسـادكم.

قديمًا، اخـترع الكهنـة موضـوع وفـاء النيـل. يُلقـون في باطنـي فتـاةً صبيـة جميلـة في ريعـان الشـباب، جهـلًا منهـم أنهـا سـوف تكـون سـببًا في جَريـاني وفيضـاني أو هكـذا أفهـم الكهنـة العامـة، ففـي وطنـي منـذ آلاف السـنين وحتـى هـذه اللحظـات، لا يـزال يُتاجـر باسـم الديـن، نيراننـا لا تـزال مسـتعرة، وقُودهـا العامـة وقليـلي الثقافـة. واتخـذ الكهنـة الفُجَّـار وفـاء النيـل عيـدًا فتجـارة رائجـة، هكـذا دائـمًا مـا يفعلـون. مـن لا يدفـع سـوف تكـون ابنتـه البتـول جميلـة الجميـلات عروسًـا للنيـل، منقـذة مـصر العظيمـة، ومـن يسـتطيع أن يرفـض هـذا الـشرف العظيـم؟! وإن سـولت لـه نفسـه، سـوف يكـون مـن المقبوحـين، منبـوذًا أنانيًـا مطـرودًا مـن رحمـة الله آمـون إلـه العالمـين.

وختم الله العظيم على لساني، فلم أتحدث أو أصرخ. وَيحكم، ماذا تفعلون؟ فما هو إلا جهل وخرافة ومتاجرة باسم الدين.

لأني لا أسير إلا بأمر من الرحمن، نحن الأنهار مُسيَّرون برحمته كيف شاء، وحيثما أراد نسقي ونروي من شاء، وأقصى سعادتنا أننا علمنا أننا جزء من رزقه في هذا الكون الفسيح.

ولكن الماضي برغم هذا كان أفضل، لأنه لم يقف فيه أحد أبدًا في سبيل جَرياني، ولم يسع أحد قط أن يلوث مائي مثلما تفعلون أنتم في هذه الأيام. ولو أنني كنت مثلكم أنتم البشر المخيرون والفانون ولست مأمورًا، لقلت إن هذه آخر أيامي من دُنياي، ودنا مني أجلي، ولكن يبدو أني كنت بشرًا فاسدًا في الماضي، لذلك يبدو أن الله قد ختم لي بسوء الخاتمة، لأنني كنت بشرًا فاسدًا وعاصيًا بل كافرًا، لأنني في آخر أيامي حُسرت تمامًا بسدود وقَفت أمام سرياني وجرياني، فقطعت مني أوصالي. فهل تعلم يا بني أنه كان لي اثنا عشر فرعًا قبل آلاف السنين؟ فكان فيضاني لا يقتل احدًا كما تدعون، وكنت ولا زلت أخبركم بموعده منذ ملايين السنين، لا يتأخر أبدًا ولا يتقدم، ومع ذلك أقمتم السدود والحدود، فقطعتم أوصالي وحرمتم أرضًا وبشرًا وكائنات عدة كان قد كتب الله عليَّ أن أرويها عندما خلق الخلق في لوحه المحفوظ، ولكني أبدًا لم أعتقد أن فسادكم ودَنسكم سوف يصل إلى هذا المدى، إلى منتهاه، فأنا الآن تُصب في باطني مخلفات آلاف المباني، مصانع ومنازل، قذارتها وصَرفِها. ويحكم، ماذا تفعلون من هناك من الخرطوم وحتى المنتهى عند دمياط أو رشيد؟

أولَم تكونوا تعلمون أنكم تأكلون وتشربون من هذا النيل؟

أنا النيل كنت في الماضي يُشرب من مائي الفتى محمومًا فيصبح معافى بإذن الله، يشرب مني الغريب فيذهب ولكن تظل حلاوة مائي في أعماقه، فيظل فيه الحنين أن يعود ويرتوي، وكأني كنت له أفضل حبيبة أعطتة ولا تريد في المقابل شيئًا، أما الآن فيشربني الفتى ليلًا فيصبح محمومًا مريضًا أصابته الأمراض والأوجاع وربما يموت من فشل كبدي أو كلوي، أو هكذا تقولون. ولذلك أشعر يا بني أنني إنسان يسطِّر آخرون نهايته الحزينة، بل ويبشرونه بسوء الخاتمة وبعذاب الله، رغم أني لم أعصي الله قط ولن أعصاه منذ أن خلقني إلى أن تقوم ساعتي.

ينظر إليَّ النهر العظيم، فيجدني أبكي بكاءً مريرًا، فأقول له يا سيدي، يا مولاي، ماذا أفعل؟ وما الحلول؟ فما أنا إلا قطرة في أمطار كثيرة أو حبة رمل في صحراء واسعة. يبتسم النيل العظيم ويقول «أول الغيث قطرة».

ويُكمل «أنتم البشر تصنعون أقداركم بأيديكم، بثقافاتكم، بعقولكم، بعشقكم لأوطانكم، ولكن الآن أصبحتم عشاقًا كاذبين أو هكذا تكونون. أصلحوا أنفسكم، ثقافاتكم، عقولكم، سوف تنصلح الحياة كلها. أخبرها لمن تستطيع.

ثم انزوى النيل العظيم عني، ولا يزال في سريانه، فنظرتُ حولي فتذكرت أحوالنا، فعلمت أن النيل يلفظ أنفاسه الأخيرة.

❊❊❊❊

اعترافات ليلة عيد

حنان العشماوي

شعر بالبرودة تسود أرجاء الغرفة فتحامل على عصاتهِ الأبنوسية السوداء ذات المقبض العاجي على شكل رأس أفعى يتلألأ موضع العينين ياقوتتان ناريتان تشعان في الإضاءة الخافتة لغرفة المكتب الإنجليزية الطراز، بستائرها المخملية الثقيلة ذات اللون البني بينما تنسدل تحتها الطبقة الحريرية بلونها الكريمي الناعم مصممةٌ على طراز الملس أو بلغة العصر الدرابية لتعطي الغرفة ملمح عراقة عصرٍ مضى.

قامَ من كرسيهِ الوثير يسير باتجاه المدفأة الحجرية يشعل أخشابها ابتغاء بعض الدفء في الغرفة..

سمع طرقات خافتة على الباب.

- ادخل.

دخل الخادم يجر عربة الشاي وعليها فنجان الشاي، والسكرية، واللبن الساخن وطبق به تشكيلة من المعجنات المختلفة.

ثم اعتدل في وقفته قائلًا: الهانم الكبيرة بتبلغ سعادتك إن الأولاد هيكونوا موجودين الساعة تمانية ونص وحضرتك لازم تاكل حاجة قبل كدة عشان العلاج.

رفـعَ عينيـهِ إلى الخـادم وأرخاهمـا ولم يُعقـبْ، اسـتأذن الأخـير في الانـصراف، ثـم أدار أسـطوانة قديمـة لعبـد الوهـاب بعنـوان «النهـر الخالـد»، واقـترب مـن كرسـيه الهزاز المصنـوع مـن خشـب الـورد مبطـن بالجلـد واسـترخى عليـه بجـوار المدفـأة.

علـق عصـاه عـلى المسـند واعتـدل في جلسـتهِ مواجهًـا الحائـط الذهبـي أو مـا يطلـق عليـه حائـط الذكريـات

عـلى الحائـط حياتـه، نجاحاتـه، شـهادات تقديـر مـن الدولـة، ودوّلٍ أخـرى لمجهوداتـهِ في مجـال القانـون الـدولي.. عـلى الحائـط صـور الأولاد صغـارًا، ثُـمَّ شـبابًا، أفراحهـم، وأعيـاد مـيلاد الأحفـاد ولمـة العيلـة في المناسـبات نعـم هـو ليـس مجـرد حائـط ذكريـات إنـه عمـر قوامـهُ خمـس وسـبعون عامًـا مـن التاريـخ.

ولدان وبنت وخمسة من الأحفاد إنها دُنْيَاهُ التي يعيش فيها ولها.

انتبـه عـلى قرقعـة بعـض الخشـب الرطـب في المدفـأة وقـد احـترق وآثـار بعـض الدخـان في جـو الغرفـة، لم يعـره التفاتًـا كان غارقًـا مـع صـوت عبـد الوهـاب وذكرياتـه.

عـادت بـه الذكـرى حـين كانـت تلـك الفيـلا مرتعًـا للأطفـال وقهقهاتهـم، وصيحـات حـرب الأولاد عندمـا كانـوا يسرقـون عرائـس البنـت ويأخذونهـا أسـيرة حـرب ثـم يقيمـون عليهـا الحـد فتعـود العروسـة جثمانًـا بـلا أطـراف، ويأخـذ الابنـة الحبيبـة ليشـتري لهـا بـدلًا مـن العروسـة اثنتـين ودولاب ملابـس للعرائـس للصبـاح والمسـاء، وأحيانًـا كانـت صغيرتـه تناديـه وهـو جالـس بـين القضايـا:

«دادي تعال اشرب معانا الشاي في التراس -تقصد بها هي العرائس ومائدة من الفناجين الصغيرة والعروستين- كل على كرسي وإكرامًا لخاطرها يشاركها لعدة دقائق ثم يعود إلى غرفة المكتب مرة أخرى.

الأولاد والشقاوة ولعب الكرة مع أولاد الجيران والتي تنتهي إحدى نهايتين أما يقوم الفريق المهزوم بضرب الفريق المنتصر ويعود أحد الأولاد أو كلاهما بكدماتٍ أو الحادث الجلل فتندفع الكرة لتصيب إحدى نوافذ الفلل المحيطة فتكسرها.

ويتوجه هو بجلالة قدره إلى الجار ليُبْدي أشد الندم عن سلوك الأولاد ويعرض أن يتولى هو إصلاح الزجاج المكسور.

ابتسامة خفية نورت الوجه المرهق لثوانٍ كم كُنتُم أشقياء وكم كنّا سعداء..

لكنها الأيام لا تتوقف عند مرحلةٍ معينةٍ مهما رَغِبنا وتمسكنا بأيامٍ كُنّا فيها سعداء ..

مرَّ الوقت، كَبُرَ الأولاد وسافر من سافر ليُتابع التعليم منهم من دخل كلية بحرية في بلد الثغر (الإسكندرية)، أما فتاته فانقرضت مراحل العرائس واللعب بها وانضمت للجامعة الأمريكية، وبدأت شخصية خاصة بها واتجاهات سياسية لطالما حاول إثناءها عن اندفاعها وما قد يؤديه ذلك إلى إحراج له كشخصية لها وزنها في المجتمع أو ربما تصل إلى القبض عليها وإلقائها في الحبس مع الضالين من رفاقها على حد قولهِ ولكنهُ عِند الشباب لم ينتهِ هذا الصداع إلا بعد أن تخرجت وعملت بأحد البنوك الاستثمارية هناك التقت بزوجها وكونت حياتها

الخاصة وانشغلت بالحمل والولادة ثم وصل أول حفيد «فارس» أفندي حبيب جده تلته ملك الصغيرة الحلوة.

أما سيف أوسط الأولاد فكانت غرامياته أكثر من مشاكله؛ فبرغم أنه يعمل بالبحر إلا أن له في كل إجازة وعودة للمنزل قصة حبٍ جديدة يكاد يموت ويتمزق عشقًا حتى يتعهد له أبواه أنهما سيقومان بالتقدم لخطبة الحبيبة فور عودته في الإجازة القادمة إلى أن تسفر الإجازة التالية عن حبٍ جديدٍ وعشقٍ أعظم على حد قوله، ولكنه وبعد فترةٍ انشغل في البحر وحياته ونسي الفكرة ولم يعد أبواه يصران عليه أن يتخذ زوجة.

الباشمهندس «عمرو» الابن الأكبر سافر إلى أمريكا ليدرس هندسة طيران وهناك التقى بفتاة أحلامه على حد وصفه طبيبة أسنان مصرية أمريكية تدعى «ليلى» فتاة لطيفة تعرفوا إليها عند حضورها وأسرتها لقضاء إجازة سريعة في القاهرة وتم الزواج واستقرا في الولايات المتحدة الأمريكية وأنجبا توأمًا ولد وبنت.

ولكنهم يحضرون كل عامٍ إلى القاهرة ليحتفلوا جميعًا بنهاية عام وبداية عامٍ جديد..

نعم إنها الليلة..

ليلة رأس السنة والفيلا شعلة من الأنوار وشجرة الميلاد عملاقة مضاءة بالكرات الزجاجية والزينات المبهجة وبعض الأحذية القماشية الصغيرة للأحفاد والعرائس الصغيرة من القش.

تحت الشجرة تفننت الهانم الكبيرة في وضع علب الهدايا زاهية الألوان لكل فردٍ من الأسرة والعاملين بالمنزل.

وبـدأ التململ في جلسـته ينظـر إلى السـاعة المعلقـة فـوق المدفـأة لا تـزال الخامسـة ..

لمَ لا يجري الوقت الآن؟ لقـد مللـتُ مـن الوحـدة والـبرودة في هـذا المنزل الكبير وكأنني أجلسُ طوال العـام في انتظـار هـذا اليـوم وتلـك السـويعات التـي تـرد في الجسـد المتعـب الـروح والسـعادة.

التقطـت العينـان صـورة زفافـه عـلى أم أولاده وشردَ مُفَكِـرًا: مـا الـذي جـرى ألم نكـنْ أحبـاء ذاتَ يـومٍ؟ ألم تكـن القلـوب تتشـوق للقـاءِ؟ والأيـدي تتحـرق إلى اللمسـة؟

صحيح انشغلت عنها بتحقيق طموحاتي وأهداف..

ولكـن كان انشـغالي عنـكِ حبيبـة القلـبِ وتـوأم الـروح لسـببٍ وجيـه.. لمـن أصنـعُ كل هـذا؟ مـن أجلنـا ومـن أجـل أولادنـا أعـترفُ أننـي ابتعـدتُ وانشـغلتُ عنـكِ لم أسـتمع حـين أردتِ الـكلام ولكـن شـغلني عنـك سـعيٌ لبنـاء حيـاة ناعمـة لـكِ و لتلبيـة طلبـات الأولاد وطموحاتهـم.

إنها لحظـة الحقيقـة أعـترفُ بهـا لنفسي لقـد نسيتكِ في غمرة انشغالي بـذاتي لم أدرك سرعـة فـرار الشـباب وانسـحاب المشـاعر ولم يعـد لـديَّ سـوى هـذه الغرفـة وهـذا الحائـط أرى فيـه إنجـازاتي لم يعـد هنـاك مـن دفءٍ سـوى هـذه المدفـأة وأخشـابها الصـماء الرطبـة ورأس أفعـى أتـوكأ عليهـا بـدلًا مـن يـدكِ الحانيـة تُـرى لـو طلبـتُ منـكِ السـماح لمـا تبقـى مـن العمـر كأمنيـةٍ للعـامِ الجديـد أتُـراك تصفحـين؟ مـن يـدري؟

أفاقَ من أفكارهِ على دقاتِ البابِ ودخول الخادم.

- سيدي لقد حضرَ الجميع وهم بانتظارك.

وأشار بيده أنه قادم..

وقام من مكانه وسار باتجاه الباب وألقى نظرة سريعة على حائطه وتنهد ثم استعد لاستقبال ثمرات العمر ونبض الحياة لبعض سويعات هي زمن التلاقي ثم من يدري..

❋❋❋❋

واحة آمان

حنان عشماوي

قريرة العين ناعمة البال يداعبها الهواء اللطيف في رقدتها تتجول عيناها في الأنحاء علها تلمح قدوم الوليف، وبين الحين والآخر تلقي نظرة خاطفة على الصغار تُطمئنهم أنها هنا وإن لم تتفتح أعينهم بعد تُشعرهم وتستمد منهم الأمان، بدأ الوقت يمضي والصغار يتململون والقلق يعتري النفس على الغائب، ترى أي شر أصابه لا لا لعله السعي وراء الرزق لملء جوف الصغار بالأطايب، أتُراه رحل إلى غير عودة رفضًا للقيود، لا إنه وليفها لم يكن ليتركها وحدها مع صغارها ولكن ماذا لو كان..

ما الذي ستفعله أتتركهم ولم ينبت الزغب بعد لتبحث عما يسد الرمق، من يرعاهم في غيابها والقناصة كُثر؟

في نفسها همست: لم يكن هذا ما تعاهدنا عليه، ولكن منذ متى كل الوعود والعهود تَصدق ؟

احتار الفكر.. لا لن أتركهم للريح تتقاذفهم إلى حيث تشاء، أشعر بالعيون من كل جانبٍ ترصد في انتظار فرصة للانقضاض.

ترفع الرأس للسماء راجية وتُخفِضُها داعية أن يا رب من لي سواكَ.

كاد النهار أن يأفل وصيحات الصغار تتعالى تُمزق الحشا، والهمُ

جاثـم عـلى الأنفـاس إلى وصلـت للقـرار النهائـي فالتكـن مشـيئتك يـا رب هـي النهاية لنـا، أحكمـت جلستها وهـي ضامـة لصغارهـا وأسـبلت عينيهـا في انتظـار النهايـة، وبـدأت ريـح المسـاء تهـل حاملـة معهـا قشـور قمـحٍ وطلـعُ زهـر و أصـوات عـواء مـن بعيـد.

انكمشـت أكثر عـلى الصغـار تتمنـى لـو أنهـم اختفـوا بداخلهـا واقترب صـوت تعرفـه وتهابـه في نفـس الوقـت لعلـه مختلـس جـاء ينـال مـن الطريدة مبتغـاه أحنـت الـرأس مستسـلمة للنهاية

ثـوانٍ مضـت في انتظـار الألم، لم يحـدث شيء رفعـت رأسـها ببـطءٍ والحـذر يأخـذ منهـا كل مأخـذٍ أحسـت بـه خيـالًا ثابتًـا لا يتحـرك قـررت أن تواجـه وليكـن مـا يكـون بقـوة رفعـت رأسـها لتواجـه الخيـال.

وجدتـه أمامهـا يحمـل بمنقـاره عـدة ديـدان ينتظـر نظـرة الامتنـان في عـين الحبيبـة وصرخـات فـرح الصغـار بالطعـام .

نظـرة طويلـة تبـادلا فيهـا كل المشـاعر والحـروف وأخـيرًا وضعـت رأسـها تحـت جناحـه واستسـلمت لنـومٍ هـادئ آمـنٍ عميـق.

❋❋❋❋

جرة قلم

حنان العشماوي

(الآن بـدأت صفحـة جديـدة مـن الحيـاة بـكل مـا تحتويـه مـن آمـالٍ عريضـة وآحـلام لم تتحقـق بعـد)

عنـد هـذا الحـد ألقـى بالقلـم وقـام ليحـرك أطرافـه التـي يُبسـت مـن جلسـته محـاولًا إكـمال تفاصيـل قصتـه الجديـدة.

إنـه شـاب ثلاثيني تخـرج منـذ أكثـر مـن عشـر سـنوات في كليـة الزراعـة ويعمـل بوظيفـة يحسـده عليهـا أقرانـه بمركـز البحـوث الزراعيـة، ولكـن عشـقه الحقيقـي كان الكتابـة كان كل مـا يـدور حولـه يترجـم في خيالـه لقصـص مثـلًا حـوارًا أو مشـادات كلاميـة مـرت بـه وهـو واقـف بالمحطـة بانتظـار الأتوبيـس.

أو مناكفـة أحـد أطرافهـا بائـع خـضروات متجـول وسـيدة تطـل مـن نافذتهـا تسـأل عـلى سـعر إحـدى السـلع ثـم تبـدأ في وصلـة مفاصلـة في محاولـة منهـا لتخفيـض السـعر، عندهـا تبـدأ مخيلتـه في رسـم حكايـات وتفاصيـل.

وتتفـرع الحـوارات وتتعـدد الشـخوص لتتكـون لدينـا قصـة يضـع خطوطهـا الرئيسـيّة في ذهنـه تختمـر أثنـاء الطريـق يسـارع إلى وضـع أبجدياتهـا عنـد وصولـه إلى مقـر عملـه وقبـل البـدء في الروتـين اليومـي للـدوام الرسـمي إلى أن ينتهـي العمـل ويعـود إلى منزلـه في انتظـار الوحـي

لقصـة أخـرى..

قصة وحيدة لم يستطع أن يُحيكَ أطرافها بعناية تقنعه ليعيش بها

تلك كانت قصته هو !!

الاسم: سليم عوّاد

الحالة الاجتماعية: متزوج حديثًا

نشـأ في إحـدى القـرى الصغـيرة في صعيـد مـصر لأبويـن... وهنـا بالتحديـد تبـدأ القصـة ..

في حقيقـة الأمـر لا يـدري مـن أي البـلاد هـو، مجهـول الهويـة، وجـده مـن وجـده في غيـط زراعـات، ملفوفًـا ببعـض خـرق القـماش الملوثـة أشـبه ببقايـا جِلْبابًـا رجاليًـا بـالي النسيج مـن قـماش الكسـتور المقلـم .

صراخ مولـودٍ لا يـكاد يُسـمع مـن نقيـق الضفـادع و صفـير صراصـير الغيـط.

ربما لحسن حظه توقف أحد الرجال يقضي حاجة..

انتبـه إلى صـوت ضعيـف يصـدر مـن خلـف كومـة مـن القـش اقـترب وهـو يبسـمل ويُحوقـل وانحنـى يتفحـص هـذا الـشيء التقطـه ضمـه في صـدره وهـرع صارخًـا يابـا العمـدة يابـا العمـدة الحـق يابـا العمـدة.

اندفـع إلى دوار العمـدة وكان الأخـير يتنـاول عشـاؤه مـع الحاجـة سـت الـدار .

قامَ على عجلٍ يرى ما الذي يحدث خارجًا..

وجـد أحدهـم يحمـل خـرق القـماش التـي تحـوى الوليـد وهـو يهتـف:

لقيتـه مرمـي ناحيـة الترعـة عـلى حالـه ده.

تنـاول العمـدة الوليـد وهـو يسـتغفر ولسـان حالـه يقـول أيـة ريـحٍ آثمـة ألقـت بـكَ علينـا في هـذه السـاعة !!!

أنـتَ بـلا شـك ثمـرة خطيئـة وإلا فمـن ذَا الـذي يُلقـي حشاشـة جوفـه ليلوكهـا ذئـب جائـع أو كلـب طريـد .

ما العمل الآن؟

في انتشـار الخـبر فضيحـة تـسري سريـان النـار في الهشـيم، تنتقـل بـين البيـوت مـع اتهامـات مرسـلة .

أيذهبُ بقطعة اللحم الحمراء الصارخة إلى المركز؟

ومـا الـذي ينتظـر ذلـك اللقيـط مـن مصـير، لربـما يكـون مآلـه دارًا مـن دور الأيتـام أو تتلقفـه يـدٌ متسـولة تسـتخدمه للكسـب، ظلـت الأفـكار تتلاعـب في رأسـه تسـابق الريـح العاتيـة.

أتراهـا الأقـدار مـن سـاقته إلى بـاب داره الفارغـة مـن الحيـاة إلا فيـما عـداه وزوجتـه كانـت تقـف وراءه وعيناهـا تـكادان تخطفـان المولـود مـن بـين يديـه.. أتراهـا مقاديـر الله أن يرسـل لهـا وليـدًا بعـد أن جفـت منهـا الحيـاة وانقضـت أحـلى أيـام العمـر وكتبـت عليهـما الوحـدة دونـما مؤنـس لهـما في تلـك الـدار؟

وكأن الحـوار دار بـين ذهنيهـما تخاطريًـا دونـما أن تتلاقـى العينـان، وأمـرَ العمـدة الرجـل أن يغلـق البـاب ويجلـس أمامـه ونـاول الطفـل للحاجَّـة قائـلًا: خذيـه إلى الداخـل يـا حاجَّـة وانظـري إلى مـا يحتـاج .

تناولتـه الحاجَّـة مـن بـين يديـه بحنـوٍ بالـغٍ وضمتـه إلى صدرهـا

وانصرفت إلى غرفتها، بينما جلس العمدة على مقعده ناظرًا للرجل نظرة مريبة وبدأ الكلام قائلًا: احكي يا واد أنت إيه حكايتك وإياك ثم إياك تقول حرف منها كذب

بدأ الرجل في الكلام بصوت مرتعش:

«والله يابا الحاج أنا كنت راجع داري من بعد ماخلصت البيع في السوق وأنا ماشي وقفت على جنب أعمل زي الناس وساعتها سمعت صوت العيل ده قربت وبصيت لقيته بيفرفر برجليه صُعب عليا رُحت لافحه على دراعي وجريت على دوارك لما نَفَسي اتقطع»

تكلم العمدة بصوت تعمد أن يكون هادرًا: وأنا أيش دراني إنك مش أبوه وبتعمل الشويتين دول عشان ترمي بلاك على غيرك.

وعندها انخرط الرجل في البكاء قائلًا: «وعزة جلال الله مالي دخل يعني يا ولاد دي أخرة اللي يعمل الطيب!!

يا عمدة أنا أخاف ربنا وما أعمل العيبة أبدًا واسأل عليا أهل البلد.»

فنظر إليه العمدة قائلًا وكأنه يحدث نفسه: (يكون ابن مين و مين اللي عمل العملة السودا دي ؟

دي فضيحة وجُرسة كبيرة للبلد وأهلها وأنا ولا ممكن أسمح أن بلدنا يدور فيها المسخرة دي .

وانت اسكت ساكت ولو عرفت إن لسانك نطق بحرف هقطعهولك) أنا هاوصل بيه المركز أسلمه هناك وهما يتصرفوا فيه بمعرفتهم واستدرك قائلًا بلهجة يشوبها الحزن ربنا ستار حليم.

اجـري يـالا عـلى بيتـك وزي مـا حذرتـك إيـاك تنطـق بالـلي حصـل حتـى في المنـام.. وإلا إنـت عـارف

وجعل نبرة صوته تتسم بالتهديد .

إلى هنـا انتهـى الجـزء الحقيقـي مـن حياتـه والـذي قصـه عليـه مـن عـاش الفتـى يظنـه ويدعـوه بالجـد

فقد قرر العمدة وزوجته أن يتخذا من الطفل ولدًا لهما، .

بعـد أن رتبـا خطـة بسـيطة مفادهـا الادعـاء بـأن هـذا الطفـل هـو طفـل لابـن عـم الحـاج الـذي رحـل منـذ زمـن إلى الخليـج هـو وزوجتـه ورزقـا بـه هنـاك، ولكـن قدرهمـا السـيء أودى بهـما لحـادث سـيارة أنهـى حيـاة الأب والأم وخلـف الطفـل يتيـمًا بـلا أسـرة سـوى الحـاج وزوجتـه فهـما بمثابـة الجـد والجـدة للصغـير .

وعـلى هـذا سـافرت الحاجـة إلى القاهـرة لتسـتقبل الصغـير اليتيـم وتحـضره للمنـزل يـتربي بـين أجـداده لأبيـه.

نشـأ الصغـير في كنـف العمـدة وزوجتـه يناديهـم بالجـد والجـدة، ومـع بعـض النفـوذ والتوصيـات أصبـح لـه شـهادة ميـلاد بأسـماء مزيفـة لـلأب والأم وبـدأ حيـاه طبيعيـة.

لم يشـك أحـد في القصـة ومـرت السـنوات ودخـل الصبـي أحسـن مدرسـة تجريبيـة في المركـز وكانـت سـيارة الجـد تقلـه في الصبـاح الباكـر وتنتظـره إلى أن ينتهـي الـدوام المـدرسي .

قـام الجـد المزيـف بمهمـة الأب في التربيـة وتعليـم الفتـى عـادات الرجـال، وتولتـه الحاجـة بالرعايـة والعنايـة وأفاضـت عليـه مـن ينابيـع الحـب والـدلال مـا حرمهـا القـدر أن تبذلـه لابـن يـأتي مـن دمهـا .

نشأ في ظلهما نشأة صالحة ونجح في دراسته الثانوية والتحق بكلية الزراعة بدلًا من رغبته الأولى كلية الإعلام قسم صحافة إرضاء لرغبة الجد المريض، ليستطيع إدارة المزارع المترامية الأطراف والتي ستؤول إليه بعد عمر طويل إن شاء الله .

أذعن الشاب بنفس راضية فلم يكن ليغضب جده الكهل .

مرت الأيام تلو الأيام إلى أن كان يومًا لم تستفق فيه الجدة، فقد أسلمت الروح أثناء نومها وكانت تلك ضربة قاسمة للشيخ الكهل والفتى فقد كانت هي عمود البيت ومصباحه المضيء .

وبعدها بدأت أمراض الشيخوخة تهاجم الجسد الهرِم المكلوم لفراق عِشرة عمره..

يجلس في فسحِة المنزل شاخص البصر في الأفق البعيد، لم يعد يتحدث كثيرًا وكأنه جسد فارقته روحه..

وذات ليلةٍ استدعاه جده إلى غرفته.

جاء الفتى الشاب إليه وحنو بادٍ في قسمات وجهه قائلًا:

- إيه النور ده دا أنت وِشَّك منور يا حاج، إنت ناوي تخليني أخطب لك ولا إيه !

ردَّ الجد: تعال جنبي عاوزك في موضوع مهم، أنا حاسس إن النهاية قربت ويمكن مانلاقيش فرصة أحسن من دي نتكلم فيها)

الفتى: فيه إيه بس قلقتني يا جَد؟

الجد: اللي هتسمعه ده ما فيش مخلوق يعرفه تحطه في صدرك وتقفل عليه وترمي المفتاح في الرياح، عالم ربي أني حبيتك كما لو

إنك من صلبي بحق، بس آن الأوان تعرف الحقيقة ده عهد أخدته على نفسي يوم ما نويت أخدك جوة حضني وأقولها بصوت عالي أنت حفيدي.

حق الله ولازم تعرفه

سرد الجد الحكاية من اللحظة الأولى التي وقعت عيناه فيها على الوليد إلى أن أعلن قصة صغير ابن عمه المتوفي ونسب الفتى إليه.

ظل الشاب يستمع إلى كلمات الجد وهو مطرق الرأس تنساب دموعه دون توقف ودون صوت كأنما اختنق الصوت بفعل فداحة السر.

بعد أن انتهى الجد من اعترافه الذي أثقل كاهله عمرًا طويلًا قام الفتى وركع أمام الجد يقبِّل يديه، ودموعه تبلل وجهه فربت على رأس الفتى قائلًا: إنت ابني ابن قلبي ربيتك على إيدي، وشيلتك على كتفي إوعاك تشك في محبتنا ليك ..

بس ده عهد وكنت واخده وكان لازم أخف التقل عن قلبي قبل ما أقابل وجه رب كريم .

كانت تلك آخر كلمات ينطقها الجد، وآخر لياليه على وجه الدنيا فقد فاضت روحه إلى بارئها، وأُسدلت الستائر وأُطفئت الأضواء وغُلقّت أبواب البيت الكبير.

غادر الشاب إلى أم الدنيا متابعًا دراسته بعد تسليم إدارة الأرض إلى رجل من أهل الثقة من أصدقاء الجد الراحل إلى أن ينتهي من دراسته بعد عدة أشهر.

أنهى الدراسة الجامعية وقرر أن يتابع التحصيل العلمي لنيل الماجستير تلتها الدكتوراه التي نالها بامتياز مع مرتبة الشرف .

وأثناء دراسته التقى بالفتاة التي خفق لها قلبه وكانت هناك حالة من الانسجام والراحة متبادلة وكانت الفتاة أكثر جرأة لكسر الحاجز بينهما اقتربت منه يومًا تسأله عن مرجع ما..

ودار الحوار بالنظرات وأكدت عليه مصافحة الأيدي وعَقد الحب الاتفاق وأمن عليه.

قدَّم أوراقه للتعيين بمركز البحوث واستلم عمله وأصبح الباحث الألمعي الدكتور سليم عوّاد الذي يشار إليه بالبنان .

تقدم طالبًا يد فتاته ورحبت به العائلة فمثله لا يُرفض نسبه وبدأ فصل جديد في قصة حياته يخطه هو بنفسه، سيسعى ليعيش حياة واقعية لا وهم بها، حرص قبل أن يرتبط بفتاته على إخبارها سر حياته، إنه بذلك لا يفشي سرًا وإنما هو الأساس الصحيح لبدء الحياة

كان حريصًا على أن ينتسب إلى أحد أو أن ينتسب إليه أحد، كان تكوين أسرةً كبيرةً حلمه الذي يملك عليه نفسه هاربًا من الخواء الذي تملكه يوم عرف حقيقته، لا لن يظل فرعًا مكسورًا لا يعرف من أي الأشجار قُطع من هنا سينتهي فصل من القصة ويبدأ آخر.

الآن بدأت صفحة جديدة من الحياة بكل ما تحتويه من آمالٍ عريضة وأحلام لم تتحقق بعد .

****

استراحة محارب

ماجد موافي

جلستُ إلى حافة طاولة تتصنع الحداثة بمطعم استراحة قديمة في طريقي الصحراوي الطويل المنهك إلى الساحل الشمالي. لم أتوقف طيلة عمري في سفرة واحدة من أسفاري بأي من تلك الاستراحات ولو مرة منذ أن بدأت رحلاتي المنفردة بسيارتي، لكن اليوم ودون تردد شعرت بحاجتي للتوقف. بضع قطرات سخيفة من العرق ما زالت تصر على الظهور فوق جبيني كلما واريتهم بمنديلي الأبيض الذي وارى الكثير من سوءاتي طيلة الطريق. وفي انتظار وجبتي التي لم تكن المفضلة ولكنها المثلى من بين اختياراتي المحدودة في تلك النقطة، رحت أمارس بلا قصد بضعة تدريبات من التأمل التي قيل عن فوائدها ما لا أذكره كله حتمًا لكن ما أذكره هو كيف أؤديها. أرسلت بصري بعيدًا محاولًا تخطي محيط تلك الصحراء التى تحتضن المكان بحرارة حقيقية، لم تفلح في التسلل لأعماقي المتجمدة. أحاول التنفس بعمقٍ لكنني أفشل، كلما اجتهدت للوصول إلى نقطة سلامٍ بعيدةٍ في أغواري إلا ويخذلني ذلك الشعور بالغرق، فأحاول الغوص مستسلمًا لنشوة الموت بمحيطٍ عجزي البالغ الظلمة. يخذلني صدري، أختنق وأفتح عيني هاربًا من حلمٍ لم يبدُ كحلم، بل هو واقعٌ لا يختلف عن واقعٍ

ليان للنشر ولتوزيع

أحاول تجنب تجاعيده، أجد الطعام أمامي كأنما أنزَله الرب، وبلهفة ألتقط ملعقة موضوعة مسبقًا لتلك اللحظة التي أفترس فيها الوقت متصنعًا الأكل بيسرى يدي والذنب ينهش صدري، فأول ما مُدَت يدٌ مني لتعبث بصفحات دنياي كانت اليسرى، وَسطَ تهليلٍ من الكل لكوني تحفة غير تقليديةِ اليد، إلا أمي، كانت صدمتها وما زالت سبب إحساسي بظلمة ذلك الشعورِ الغامض الذي يأكلني كلما افتقدت يمناي في كل أموري، وكلما افتقدت أمي. أشعر برغبةٍ في الاستيقاء قبل البلع، لكن لسببٍ يتجمد الطعام في مؤخرةِ حلقي لثانيةٍ قبل أن ينزلق ببطءٍ ضاغطًا على قلبي وألمٌ شديد يسري بكل ظهري أعالجهُ بسرعةٍ بجرعة من الماء يتبعها شهيق ينتشلني من الغرق في جوفي الذي لم يعد يصلح للحياة. كم مرة فكرت في زيارة الطبيب، لكن بمن أبدأ والشيخوخة تحطم ذاكرتي مثلما دبت في مرايا البيت فلم أعد أرى ذلك الوجه الذي اعتاد مطالعتي فيها لسنواتٍ ليست ببعيدة وتلاحق صفحة وجهي على طبق الحساء الموضوع أمامي. أضرب ملعقتي عميقًا مقاتلًا ذلك الوجه الذي لا أعرفه وأرفعها نحو فمي وأنا مغمض العين بكلِ قوةٍ كي لا أتابع بقاياي الساقطة مني. فجأة، ينهرني وجه صديقي القديم بنفس ملامحه المنمقة التي لا أعرف كيف عبر بها كل تلك السنوات ليصل إلى مكاني غير التقليدي هنا بذات الوجه القديم. «لا، لست أنت!! لست هو!!» قلتها بعنف الصرخة التي صكت المكان وأسقَطَت ملعقتي من يدي وجعلت ذلك العدد البسيط من الجالسين حولي يلتفتون نحوي بسخطٍ ثم يعودون إلى طعامهم بلا مبالاة، لكنني لم أنظر لأي من ذلك كله، بينما التفت هو يمينًا ويسارًا باللطف الذي نشأ عليه وأعلمه فيه وابتسامته الوسيمة لا تفارق شفتيه، وبهدوء عميقٍ قال لي:

- بلى.. أنا هو ذاك، ألا تعرفني!

قد ضَل في خطوط وجهي الزمان..

وضيعتني صبابة وقحة..

مرت كطيف ليلة صيف..

في برد الشتاء الطويل..

وحين أدركت أنه لم يبقَ في العمر إلا القليل..

عدت ونصب عيني خيالاتٍ لأناسٍ، فلم أجدهم..

وتصفحت مرآة عمري..

فبالكاد عرفتني..

رددت أنا مسرعًا:

- بل كيف عرفتني أنت!!

وقدم الزمان لم تعد تجد مكانًا لتخطو به فوق وجهيي..

بل كيف لقيت من أثري طريقًا من خلال السنوات المصفرة بذاكرتي؟

وكيف لم تتغير أنت؟

أنت ..!

لكم أفتقدتك والسنين تخمش وجهي بلا قلب

آآه، كم أخجل من وجهي أمامك.

حاولت القيام متخطيًا شيخوختي بسرعة كي أصل إليه، لكنه عاجلني وأمسك يدي وأنا ما زلت بعد أحاول، رفعت عينين ثابتتين إليه غير مصدقٍ أنه حقيقي ودموعي تحجب ما تبقى من ملامحه في مخيلتي.

لم أقوَ على القيام فأحتضنني جالسًا بكل حنانٍ، وأسند كلانا رأسه لجبين الآخر، وبين أنفاسنا الملتهبة من البكاء أغمضت عيني أكثر وتشنجت كثيرًا ببكاءٍ افتقدتُ حقيقته منذ زمنٍ. حتى البكاء لم يعد بنفس ذلك الصدق الذي اعتدته قبل أن ينزع مني مثلك. كانت انفعالاتي حتى زمنٍ بعيدٍ تبدو صادقة وحقيقية.

«حتى ذلك اليوم الذي لم أركَ بعده أبدًا»

خرجت الجملة متخمة بالدموع تحملها أنفاسي الحارة نحو وجهه الذي يعانق وجهي.

ضم بيده الملطخة بالدماء مؤخرة رأسي يجذب وجهي الملتاع نحوه وهو ملق على الأرض والنيران تشتعل ليلًا ببقايا ذلك الكمين الحدودي النائي من خلفنا وتعكس ظلالًا قاتمة على وجهه الذي انطبعت صورته بمخيلتي منذ ذلك اليوم وهو يرتجف كما لم أعهده من قبل وقال لي وأنفاسه تتشبث بي:

«زوجتي حامل بابنتي الأولى، لن أراها أبدًا يا صديقي، أبدًا. ابنتي أمانة بعنقك.. بحياتك.. اذكرني دومًا عندها.. اذكرني للأبد «.

ردد أشياء لم أفسرها وتوقف قليلًا محاولًا الوصول لتلك الأيقونة التي يحملها فوق صدره للعذراء الأم وهو يتمتم بآخر تراتيله التي لم يسمعها أحدًا ولا حتى أنا، فقد انهرت فوق وجهه دونما حركة.

أحدهم ينهرني من كتفي بشدة وصوته يعلو في المكان مستغيثًا بسيارة إسعاف لتحمل ذلك الكهل المسن وما إن رفعوا وجهه عن تلك الطاولة حتى وجدوا صورة قديمة لشابين مجندين يتعانقان من الكتف بابتسامة حقيقية، أحدهما يشبه ذلك الذي قد فارق الحياة منذ لحظات.

****

القُبلة الأولى- الذكرى العشرون

سعيد فاروق النحاس

فلما ضممتها، انهارت كل حصونها، ودكت كل قلاعي.. اقتلعت كل أعمدتها وصارت في الهواء هباء.. ولانت كل دروعها حتى ظننتها صارت عهنًا منفوشًا طار مع حرارة أنفاسنا، فذبنا في بركان الهوى..

نظرت في عينيها، فغاب عنّا الكون، وكأنها كانت لي حواء وصرت أنا آدم

اقترب الوجه من الوجه.. زحفًا حبوًا حثيثًا..

ألف عام مرت علينا حتى تلاقت الشفتان فارتجفنا من أعلى الرأس حتى أخمص القدمين..

حاولنا الابتعاد بقوة.. بعنف، فلم نستطع، فأنقدنا وانزوينا حتى صرنا جسدًا وروحًا واحدة في لحظات

ألف عام مرت علينا ونحن في صمتنا في جنتنا.. صرنا دنيا، بل كنا كونًا، وعشنا في هذه اللحظات ألف حياة وحياة، في جنة من صنع الشفاة.

إنها نشوة القُبلة الأولى هكذا يسميها البعض.. والبعض الآخر

يعتبرها لعنة أبدية لن تنساها قط، حفرت في جدران القلوب علامة لن تمحيها حلاوات الزمن، بل تؤججها خطوب الحياة، فذكراها سكن ومأوى.. ركن أبدي كلما أردنا أن نغوص في الجمال حلاوة.

في الذكرى العشرين للقبلة الأولى، لا زلت أتقاطر شهد حلاوتها، عذوبتها، وكأنها أخرجت من بين فرث ودم لبنًا سائغًا لكلينا نرتوي منه لعله يروي ظمأ نفسينا.. في الذكرى العشرين لمعركة حامية الوطيس، كان جنودها.. جباهنا وخدودنا وأنوفنا وكان أعظم فرسانها شفتانا.

في الذكرى العشرين للقبلة الأولى، لقمر أضاء ظلمة حياتي.. لشمس أضيئت بها دنياي.. لفجر لاح بعد ليل طويل سرمدي.. لينبوع حب تفجر للحظات في صحراء حياتي.

آه وألف آه، على مشاعر أظنها ذبلت أو ماتت ودفنت في داخل الأعماق،

أبحث عنها في كل نساء العالمين فلا أجدها ولن أجدها، حتى يبدو لي أنها غير حقيقية أو كانت حلمًا من صنع خيالي في أقصى أوقات حياتي حبًا وفحولة ولوعة واشتياق.

بابا.. بابا.. بابا. أنا آلاء يا بابا، سرحان في إيه يا حبيبي، هات بوسة يا بابا

الله الله في أحلى من بوستي في الدنيا يا بابا.. مفيش يا حبيبة أبوكي يا نور عين أبوكي .

****

الشيخ سلفي

سعيد فاروق النحاس

وقفت الزوجة الطروب، أمام القاضي في قاعة المحكمة، وكافة الحضور جلوس، بعد أن طلبت الإذن منه بالحديث عن نفسها، وعن آلامها، وبعد أن خلعت نقابها، فظهر جمالها الأخاذ الذي كانت تخفيه خلفه.. وبدأت تبكي بحُرقة أمام القاضي، وتقول: ياسيدي، لقد اعتاد على ضربي، لقد استغل ضعفي وكوني امرأة ضعيفة خُلقت من ضلعه الأعوج، كما يقول دائمًا ونسيَ أنه هو الشيخ الملتحي صاحب الجلباب الأبيض القصير، والذي يبدو من خلاله أنه من أتباع محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن أبعد ما يكون على دربه عليه السلام، فأين الرفق بالقوارير يا سيدي؟؟

إن المرأة، عند هؤلاء، متاع يا سيدي القاضي، فهي لم تخلق سوى للمتعة وتربية الصغار.. تلتقط المرأة اللعوب أنفاسها، وتعود لبكائها ونحيبها الرقيق الذي يأخذ بالألباب..

قال القاضي: وأنت أيها الشيخ أليس عندك ما تريد أن تقوله؟ يتبسم الشيخ محمود، من خلال القضبان الحديدية، ويقول:

– يا سيدي، إنها إرادة الله، أن يجعل البعض منا آيات لخلقه، لعل الباقين يتعظون، أو يسلكون الدرب القويم، وأحمدُ الله أنه قد جعلني

آية من آياته.. فقد كنت في الماضي غير البعيد يا سيدي، فقير معدم، ومتزوج وأعول طفلتين هما الأروع، واجتهدت في العمل فجازاني الله خيرًا وفتح عليَّ الدنيا، وصرت في عشر سنوات غنيًا بفضل الله، ولكني بدأت يا سيدي أفكر في المثنى والثلاث والرباع، كيفما يفكر معظم الإسلاميين في أوطاننا عندما يملكون المال، فهذا حقنا، فنحن نؤمن تمامًا أن الأصل في الإسلام هو التعدد، وما دمت تملك القدرتين الجسدية والمادية فيجب عليك هنا الاقتداء بالرسول الكريم، فذهبت إلى زوجتي وبناتي وقلت إنني سوف أتزوج وعليهن تقبُّل الأمر لأنها إرادة الله، وإن لم تقبل فسوف أسرحها بإحسان، ووافقت المسكينة، فأين لها أن تذهب ومن سوف يأويها؟ وكيف تستطيع أن تواجه المجتمع، وكيف تستطيع أن تتفادى نظراته إلى المطلقة.. وافقت وهي كسيرة القلب والنفس، أن تقاسمها امرأة أخرى بيتها وزوجها.. نعم لقد تزوجت، وفي نفس البيت، وسارت بنا الحياة، وأنجبت بنتًا ثالثة من زوجتي الثانية، والعجيب أنهما تعايشتا وتراضيتا وذات يوم قال لي بعض الإخوة، أن هناك أختًا تقوم بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال وهي مطلقة وعليّ مساعدتها بإرسال ابنتي لها لتعلمها آيات الذكر الحكيم، وهناك قابلتها يا سيدي في المسجد وتبادلنا أطراف الحديث، فسحرتني نظرات عينيها بعد أن خلعت نقابها، فأسرني جمالها الفتان، وباتت في ليلة وضحاها المرأة الوحيدة في هذا الكون الفسيح وشريكة أحلامي، حتى في قيام ليلي لا تتركني، وفي غضون أيام كنت متيمًا بها وكيف لا وهي صاحبة القوام الممشوق والوجه المشرق الصبوح ناصعة البياض والجمال وخاصة أيضًا أنها تملك منقولاتها من زوجها السابق وكذلك ذهبها، وكذلك سولت لي نفسي: زوجة جديدة، رائعة الجمال، بلا أي

تكلفة.. لديها شقتها وأثاثها، وهي لا تريد إلا رجلًا يحتويها ويعطف عليها، ويقيها شر الزمان، ونظرة الرجال ومن يستطيع أن يفعل هذا خيرًا منا نحن أرباب المساجد وأحباب الرسول الكريم والسائرين في دربه المرسوم للصالحين فقط. وتحت وطأة الرغبة الجامحة، وعشق النهود، وأدق تفاصيل النساء يا سيدي، التي لا يعوقها معصية أو مال تزوجتها.. كل ما فعلته ببساطة الإمضاء على إيصال أمانة بمائة ألف جنيه وقائمة منقولات جديدة حفاظًا لحقوقها الشرعية..

لم أسأل في غمرة فرحتي بذلك الجسد الملتهب وتلك الغنيمة السهلة، ممن كانت متزوجة؟ ولماذا طلقت؟ لم أسمع إلا منها هي وحدها.. هكذا السكارى يا سيدي، لا يسمعون في سكرهم إلا من ألسنة من يعشقون ويحبون.

ولكنني علمت بعد الصدام الأول لنا بعد شهر العسل، أنها كانت متزوجة أربع زيجات من قبلي وبنفس طريقتي، وبعد الزواج إذا لم تستطع أن تسيطر على زوجها ماديًا بأن يخضع لها تمامًا ويسير مثل مطيتها، حتى لو كان هذا على حساب زوجاتي وبناتي فتقوم بخلعهم، ولكنها لا تتنازل عن قائمة منقولاتها.

علمت بعد فوات الأوان يا سيدي، من أزواجها السابقين، والموجودين جميعهم بهذه القاعة، فقد جاءوا طوعًا لمساندتي في قضيتي..

سيدي القاضي، لقد شعرت لأول مرة أنني أنا الفريسة، ولطالما اعتقدت أنني الصياد الماهر، وتذكرت ساعتها كلام أحد أصدقائي عن أفعى تعيش في قعر المحيط، تجرح نفسها وترتمي لتشعر الآخرين أنها

فريسة سهلة ودسمة وسائغة، وهي في الحقيقة أبرع صياد، فدائمًا ما يقع أمثالي الذين يسعون دائمًا خلف غرائزهم وشهواتهم وهم كثر، في حبائل أمثال تلك المرأة الماثلة أمامك.

خلعتني كما خلعتهم سيدي القاضي، وأتت بنفس الشهود على السابقين، بأني قد أخذت ذهبها وبددت قائمة منقولاتها، وشكتني بإيصال الأمانة وأخذت عليَّ حُكمًا بثلاث سنوات سجنًا مع الشغل، وبعد تدخل البعض بالوساطة بيننا، أخذت مني مائة وثلاثين ألف جنيه وتنازلت عن القضية والإيصال وقائمة المنقولات، ولم تكتفِ بهذا بل جاءت إلى مقر عملي لتهينني في مكتبي وتشعرني أنها قد انتصرت عليَّ وتذلني، فلم أتمالك نفسي وقمت بضربها ضربًا مبرحًا لعل نفسي تهدأ، ولكني أشهد الله أني لم أكسر لها ضلعًا، ولكني علمت بعد ذلك أنها جاءت إليَّ لتستفزني حتى أضربها فتتقدم بشكوى جديدة، أو تتنازل في مقابل مائة وخمسون ألف جنيه أخرى..

وهنا تقف المطلقة الطروب وتبكي وتصرخ وتقول: كاذب كاذب والله العظيم كاذب.. يتبسم الشيخ محمود ويقول: احكم يا سيدي بما تراه، لأن ما ستراه سيكون إرادة الله، فأنا لم أظلم هذه السيدة قط ولكني ظلمت زوجاتي الاثنتين وبناتي وأستحق العقاب.. وبعد قليل يخرج القاضي ويقول حكمت المحكمة على الشيخ محمود بستة أشهر سجن جزاء له على ما فعل في زوجاته وبناته.. رُفِعَت الجلسة.

****

نوبل

سعيد فاروق النحاس

عشرون عامًا مرت يا سيدتي على لقائنا الأول، عشرون عامًا مرت وكأنها دقائق أو سويعات، ولا زالت صورتك وكأنك تحملين لي المشعل لتنيري لي دربي بعد أن كان ظلامًا دامسًا أو ليلًا حالكًا كنت كشعاع النور أو الفجر الذي لاح بعد ألف عام من مخاض أذاب أحشائي حب..

بل كنت لي، يا سيدتي، كنسمة عطرة خرجت من زهور الجنة عند ربيعها، إذا ما صادفت العاصف الغاضب جعلته هديًا، بل إذا ما صادفت الزرع الهشيم جعلته خضرًا نديًا، بل إذا ما صادفت من فقد الحياة بعثت فيه الحياة.. وهكذا كنت قبل لقائك..

أتذكرك الآن يا سيدتي، قبل أن أعتلي الدرج، وأنا في طريقي لتسلُّم الجائزة الأكبر والأعظم في الآداب، جائزة نوبل، نعم هي نوبل..

أشعر الآن في قرارة نفسي أنني أدين لك ولفكرتك «المعتكف الكتابي» بالكثير في كل ما وصلت إليه، فقد تغيرت حياتي تمامًا بعد تجربة الثلاثة أيام الساحرات في منتجع رائع في وادي النطرون، يسمى نبع الحمراء، وتحديدًا في مكان نقاشنا وندواتنا في المربوعة، تلك الخيمة الساحرة التي أعادتنا إلى عشقنا الأول، القراءة والكتابة..

نعم لازلت أذكر جميع أقراني من الكُتاب المبتدئين، وأذكر حماسنا وضحكاتنا وسمرنا ولقاءاتنا العذبة، ومحاضراتك

مازلت أذكر تلك القلوب الغضة، النابضة بالحب والمفعمة بالحياة.. ولا زلت أذكر، أيضًا، داليا المدربة الطلقة والمتصالحة مع نفسها، تلك النفس البكر البتول.. ولازلت أذكر الناشر الشاب فتحي المزين بكلماته وقفشاته التي كانت تبعث البهجة في المكان لا زلت أذكر عشقه للحياة وإقباله عليها..

لا زلت أذكر ذلك المصور الذهبي والشاعر الليبي الأديب وزوجته وبناته، وكيف بهرتني أشعاره وقصة حياته ومأساته، وعشقه لمصر وطني..

لا زلت أذكر كل تفاصيل المكان.. أتذكركم جميعًا وأنا أصعد الدرج لتسلم جائزتي.. جنبات قلبي تهتز بشدة، الآن سوف أبدأ الحديث المتعارف عليه للحاصلين على الجائزة الكبيرة..

إلى أمي الحنون، إلى روح أبي إلى زوجتي التي تحملتني كل هذه السنين إلى أبنائي إلى وطني الحبيب إلى أرضه وسمائه ونهره العظيم وبحاره، إلى أجداد صنعوا حضارة وتاريخ هما الأعظم على مر العصور إلى كل من أضاء لي الطريق يوم أن ضللتُ الطريق، إلى كل من قدم لي يد العون حتى أصبحت بين أيديكم الآن..

إلى الإنسانية، إلى كل محبيها، إلى عشاق العفو والتسامح والرضا والسلام، أهديكم جميعًا جائزتي والسلام على من اتبع السلام..

يا حاج سعيد يا حاج سعيد، أفق أفق، ماذا أصابك؟ يبدو أنك كنت تحلم يا حبيب العمر أفق، وأنا أبكي بحرقة بمرارة وبألم فتقول

لي زوجتي بحنوها الدائم: ماذا يبكيك يا حبيبي؟، فأقول لها: أبكي على عمر، أم على قلم قد كسر وضاع مني في متاهات العمر؟ كيف لم أستطع، كيف لم أجاهد نفسي بالقراءة وبالكتابة، كيف استسلمت لتيار أخذني في دربه بعيدًا عن الكتابة؟

آه لو فعلت، لكنت قد غيرت مسار حياتي، إلى ما كانت تصبو إليه نفسي، احتضنتني زوجتي باسمة.. قوم قوم يا حاج مادام في العمر بقية أكيد في فرصة تانية..

****

داخل الفقاعة الهوائية

إيمان يوسف

تستمر الأيام هكذا ردد نعم ستمر حتمًا سيأتي ذلك اليوم.. سأكون كما أريد!! نعم وليس ما يظنون.. كان كل يوم يستيقظ مبتسمًا.. بداخله هذا الحديث.. نعم ستمر وسأكون صحيحًا معافى!!! سوف أترك هذة الفقاعة.

كانت تشعر بالأسى عليه.. إنها أمه تعلم أنه يبتسم ولكن بداخله!!! ماذا يُحدث نفسه؟! لقد كان مؤلمًا جدًّا أن تضعه الحياة بهذا الوضع، إنه صغيرٌ جدًا على ذلك، تلألأت دمعة من عيناها، اخفتها حتى لا يراها ويتحسس من حساسيتها المفرطة، فهي لا تفرط به، يكفي أن يكون معها كل يوم.. والآن أصبح يبتسم.. كانت هذه الابتسامة يومًا ما شيئًا مستحيلَ الحدوث، لن تفرط بذلك، ستحيا هذا اليوم، نعم بسعادة وتفاؤل..

كان ينظر إليها.. يعلم ما بها من قلق، كان مرضه المفاجئ ونقص المناعة هذا أمرًا محطمًا، لقد فقد نفسه ولا يعلم كم من الأيام مرَ وهو بهذا المشفى، ولكن يعلم أنها كانت لا تفارقه وأنها كانت أيام عصيبة.. يرى دمعتها الهاربة، وكيف أخفتها، أمه كم يحبها إنها امرأة

عظيمة القلب والروح، سأعيش.. سأفعل ما بوسعي، أن أحيا وأن أفعل ذلك، من أجلك ومن أجلي، نحن نستحق ذلك.

كان ترك أبي لنا هزيمة كبرى لمرأة أشعلت من فؤادها قبل أناملها شموع مضاءة لحياتهم الهادئة، ليأتي هو كالإعصار ويحطمها بأنانيته، هذا الرجل بل إنه لا يستحق أن يطلق عليه هذا.. هذا الكائن غير العابئ بها حطم قلبها الصغير، تحملت الكثير من عناده وطبعه السيء وها هو يأتي رادًا لجميلها نازعًا كل ما نمتلكه ويذهب به ليبدأ حياة جديدة مع امرأة أخرى وربما لا يريدني كذلك، كنت من صغري عبأً بصحتي المهتزة وصراعي الدائم مع المرض، وبعدما صرنا لا نملك شيئًا عانيت المرين مرضي وضيق الحال، وها هي تقف قوية تهتم لأمري كما تفعل.. كم أحبها، سأحيا، وأصبح أقوى من أي أحدٍ آخر، سأعوضك يا أمي عن ما فعلته الحياة بكِ.

شردت كثيرًا في ولدي.. إنه صغير على كل ذلك، كم أشعر بالذنب تجاهه، لماذا يتحمل مثل هذه الحياة!!! أب لا يهمه سوى نفسه وحياة يملأها الركون، لم يلعب مثل أقرانه من الفتيان والفتيات، هو مرح للغاية حنون ولطيف، لم يكون صديقًا واحدًا لكثرة تواجده بالمنزل وأزمات مرضه المتكرر، وابتعاد الأقارب والرفقة خوفًا من أن ينتقل لهم المرض، وكم أوضحنا لهم أنه ليس معديًا بل هو ضعف عام بالمناعة تجعله يمرض كثيرًا ولا يقوى على العديد من مهام الحياة، ماذا فعلت أنا؟! أخفيت دموعي الحارقة وتسللت لغرفتي منشغلة بطي الملابس حتى لا يلاحظ انهياري هذا..

ماذا فعلت!! لقد كنت تعيسة للغاية في حملي وفي زواجي، لم أكن بخير ولم أتركه فقط صبرت لعلّني أجدُ مخرجًا أو مهربًا! لم أكن أعلم أني سأكون جانيًا وأشاهد نتيجة خذلاني لذاتي أولًا متمثلة في علة ابني وفؤادي المحترق عليه، لقد مرضت كثيرًا في حملي ولم أبالِ وتعمدت أن أكمله وأن لا أطعم نفسي كثيرًا، كنت تعيسة لا أجدني، وعندما جاء لدنيتي بابتسامته الشافية سعدت وظننت أن الحياة ضحكت لي أخيرًا.. كان يمرض كثيرًا وهو صغير ولكني أخذت بأقوالهم أن الأطفال كثيرو التعرض للمرض، ولكن الأمر ازداد سوءًا حتى علمت ما جنيت به عليه وعليَّ، لقد كانت المناعة.. وكلما قاومت وجعلته أفضل تفاجئني الحياة ويعود لي منهكًا مريضًا.. حتى هذا اليوم؟!

يوم ما أتى أبوه وأخذ كل شيء تاركًا لي بقايا والقليل من الأموال وأمرني بأن أغادر؛ لأنه باع البيت بكل ما به وسيأتي من يأخذه، هذا ليس حقًا لكَ!!! أجابني بجفاءٍ بل هو حق لي على تحملي تلك الحياة الرتيبة التعيسة معكِ، لن أبقى ، عودي لأهلكِ غادري.. لم يتحمل صغيري الجميل ذو العشر سنوات ذلك، أصابه المرض ولم يفارق الفراش، لم نترك المشفى لمدة أسبوعين أصحو فزعة أخشى أن أحمل بخبر فقداني إياه، أنا من وضعته بهذا.. أريد أن أصلح ذلك أن أعوضه.. يا الله أعطني فرصة أخرى، يا الله علمت حكمتك، يا الله أنقذ ولدي، يا الله ترفق بقلبي المنهك.. تقبل الله دعائي وعاد ابني لي من هذا الصراع ، ولكنه عاد واضعًا قناعًا للأكسجين يغطي وجهه، يجعله بمعزل عن الهواء وكل شيء يصل إليه موصلا بخراطيم عديدة بجهاز أصبح كما ضاحكني يومًا بداخل فقاعه هوائية.. لم أعترض وإن وجدتني في حالة يرثى لها.. يا الله ماذا سأفعل ؟؟! سأقاوم..

سأكون أفضل.. سأكون أقوى سأعوضك يا أمي عمّا فعلته الحياة بكِ وعن مرضي وصبركِ على أبي وضيق الحال وشفقة الأهل التي أراها كلما مروا بنا، سأغدو رجلًا لم تحلمي من قبل أن أكونه.. هكذا بدأت وهكذا أردد كل يوم وأنا أقف في الصباح أمام المرآة..

«كابتن عمر التدريب حضرتك هيبدأ كل الولاد مستنينك؟!» أخذني صوت زميلي أحمد عن حديثي الصباحي اليومي، اليوم لدي مباراة مهمة لأولادي بتدريب «التايكندو» ووالدتي الحبيبة سوف تأتي، لقد مررنا بالكثير حتى شفيت.. كنت أتحسن يومًا بيوم وتزيد شهيتي للحياة.. وعنادي أمام المرض وكان يمضي وأصير أفضل حتى تركت فقاعتي الهوائية وأصبحت أشتهي كل شيء؛ الهواء الحركة الطعام الضحك ووجه أمي الحبيب، كنت أواجه مرضي بقلب متقبلًا راضيًا ووجهًا مبتسمًا وعندًا يزدادُ يومًا بيوم حتى أصبحت مثلهم بل أقوى وأعند ربما لست أفضل من حولي ولكني أصبحت لها أفضل رجل، نعم عوضتها كما وعدت نفسي وفعلت وأصبحت مدربًا لفريق رياضي متميز يتخذونني لهم قدوة وأبًا صاحب أسرة جميلة تزينها أمي الحبيبة.. وها أنا أجدها تبتسم لي فرحة وأنا أحقق الذي حلمت به.. متمتعًا بالصحة ممتلئًا بالحياة.

****

قطة تسلقت السور مرتين

إيمان يوسف

عبثًا هذه القطة السوداء بمرونتها الشديدة وحدقتي عينيها المتسعتين للمزيد، هل هو المزيد من المغامرة، أم من الخطورة، أم أنها فقط تبحث عن مأوى..

نظرت لتلك القطة التي تسلقت فوق منزلي وأنا بالشرفة أرتشف كوب النسكافيه كالعادة، تأملت رشاقتها المعهودة وعدم اكتراثها لشيء، تساءلت: ألا تخشى أن تسقط؟ بالتأكيد لا، ألا تخشى أن يجذبها أحد إليه أو ينهرها، ولكن لا، ألا تخشى شيئًا!! ومن منا يظن أن لها أرواحًا عدة.. أعتقد أنها تعلم أن لها روحًا واحدة وذلك الجسد ولكنها حرة.. بينما أنا فأجلس كمن فقد أحد أطرافه بل جميعها، لمَ لا أملك هذه الحرية، أن أترك تلك الحياة الرتيبة ورائي وأغادر وأكون بلا قيود، بلا جدران..

تأملتها مرة أخرى وغابت عن نظري، متسلقة الجانب الآخر من السور، تاركة لي حُلما بالتسلق خارج سجن أيامي المتكررة..

إنني فتاة بعقدي الثالث، بدأته للتو، أمضيت حياتي كما ينبغي أن تكون في نظر أمي وأبي ومن أحاطهما من جيران وأقارباء وبعض الأصدقاء بكيفما تكون الفتاة، توالت السنوات بين ذهابي للمدرسة

الإليسـية وعـودتي سريعًـا للمنـزل، وكلـما أراد أصدقائـي أن أصاحبهـم، أتعلـل بالكثـير، يومًـا بالمـرض وآخـر بالإنهـاك وأيـام أخـرى بأسـباب كثـيرة أختلقهـا، لأعـود سريعًـا لأمـي وأبي فأنـا وحيدتهـما التـي ظلـت طفلـة بالجـوار ولكنـي كنت أريـد أن أعـرف الحيـاة خـارج حجـرتي، حتـى كـبرت الطفلـة ولم أعـد أعـرف مـاذا بعـد، ازداد وزني كثـيرًا بعـد وفـاة أبي وازداد الأمـر بعدمـا رفقتـه أمـي، والآن أنـا فتـاة بدينـة تجلـس بمنـزل خـاوٍ اعتـادت أن تعـود إليـه سريعًـا ولا تـرى أحـدًا، لم أعـد أحـب مـن كان يـأتي لأمـي وأبي مـن جـيران وأقاربـاء وهـم يومًـا بيـوم تفرقـوا وصـاروا كهامـوش تجمَّـع للضـوء، وعندمـا أظلمـت انفـض جمعـه، هكـذا انفـض الجميـع وتُرِكـت وحـدي..

وبينـما أنظـر لجسـدي الممتلـئ بالمـرآة، رأيتهـا مـرة أخـرى ولكـن عـلى السـور المقابـل لمنـزلي، تلـك القطـة السـوداء الرشـيقة تتسـلق لحيـث المرغـوب، ولا تعـرف مـاذا سـيحدث بعـد ذلـك ولا تبـالي..

وبينـما هـي تذهـب مـن أمامـي رأيـت نفسـي تلـك القطـة بداخـلي تـوق لذهـاب حيثـما أجـد نفسـي، تتبعتهـا مغـادرة منـزلي تاركـة ورائـي كل مـا قـد خذلنـي بـل مـن قـد خذلـت نفسـي مـن أجلـه، رحمـة الله عليهـما، أحببتهـما كثـيرًا حتـى نسـيت نفسـي، ولكنـي الآن أتبـع صـوت قلبـي، وأسـمع دقـات تطـرق عـلى الأرض تعلـو وتهبـط كثـيرًا، مـا هـذا، توقفـت عنـد بـاب أكاديميـة أعهدهـا تضـع ملصقـات كثـيرة لفصـول عـدة للرقـص، نعـم تذكـرت الآن..

لقـد كنـت آتي إلى هنـا بعـد أن أتـرك أصدقائـي وقبـل أن أذهـب لمنـزلي، أتلصـص مـن النافـذة الزجاجيـة أتأمـل رقصهـم، سالسـا، تانجـو، والكثـير

من الرقصات اللآتينية، ترقص روحي معهم ولا أجد الشجاعة لمصارحة نفسي بأني عاشقة، ولا مصارحة لأحد أني أريد ذلك الحلم.. حتى هذا اليوم..

اختفت القطة ذلك اليوم ولم أعد أراها، ولكني أتذكرها كلما ذهبت لمعاد صفوفي بالأكاديمية، وقد صرت الآن إحدى معلمات الأكاديمية الأوائل وأكثرهم براعة حتى أطلق عليَّ القطة، نعم فأنا الأكثر رشاقة وجرأة في رقصاتي فبداخلي قطة تتسلق جدران الحياة ولا تبالي.. فقط تتبع حدسها..

****

أعترف أني.. !

سحر الجميل

كلما آويت إلى فراشي تذكرت تلك اللحظات التي كانت تجمعنا معًا، لحظات سعادة مع قليل من اللوم والعتاب وكثيرًا من الخوف والقلق!

نعم لحظاتي معك كان بها كثيرٌ من الخوف!

أذكر أنني كنت كثيرًا ما أتحدث إليك عن هذا الخوف كنت دائمًا تجمع ليِّ التبريرات في محاولة منكَ لطمأنتي.

ولكن هيهات أن يحدث ذلك فالخوف جزء من كياني أظن أنه أصبح مرضي المزمن حتى بعد قراءتي لكتاب «دع القلق» الذي أهديتني إياه دون جدوى!

داخل جفون الليل وأنا أسمع لكلمات حبك وهمسات عشقك مع تنهداتك التي كانت تسري في جسدي كالماء الجارف الذي يدب الحياة في وردة أزبلها الانتظار. والخوف من أن يقطفها شخص لا يقدِّر قيمتها لا يعتني بها حتى تصبح برونقها طوال الحياة وتكون النتيجة أن يستمتع برحيقها إلى أن تموت مدبرًا ليبحث عن وردة أخرى..

لا زال يـراودني إحسـاس شـوقك الـذي كان يخترق قلبـي كالسـهم الـذي يفتـك بقلبـي نصفـين رغبـة منـه في الاحتفـاظ بـكَ لضـمان بقائـك لـه وحـده.

ذلـك القلـب الـذي كان محصّنًـا ضـد أي اخـتراق اعتقـادًا منـه بـألا يكـون ضعيفًـا!

فكيف للحب أن يمتلكه ليصبح أسيرًا لا حول له ولا قوة..

حتـى أتيـت بحبـك واهتمامـك الـذي لم أعهـده مـن قبـل واخـترق سـهمك قلبـي وبقـوة حتـى إني لم أسـتطع صـده..

أصبـح حبـك يجـري في عروقـي مجـرى الـدم، ورغـم ذلـك لم أصرح لـك بتلـك المشـاعر يومًـا، كان خـوفي هـو المسيطر لـك أن تتخيـل حجـم مـا أعـاني؟

أذكـر يومًـا أن حدثتـك عـن شيءٍ مـن خـوفي، قلـت لـك تعرفنـي منـذ زمـن ليـس بقليـل قرابـة الخمسـة أعـوام تقريبًـا كنـت تعاملنـي معاملـة الأخـت والصديقـة بـل والمعلمـة، وأخـيرًا كالأم ولمَ لا فأنـا أكـبرك بسـتة أعـوام!

فكيـف لحبك هـذا أن يظهـر فجـأة لدرجـة تجعلـك ترغـب في الارتبـاط بي دون النظـر إلى الفـوارق التـي بيننـا؟

أين كان نهر حبك واهتمامك هذا في السابق؟

أكنـت كل هـذه السـنين تجمـع فيـه وعندمـا أكتمـل تدفـق عـليَّ دون مراعـاة لأي شيء؟

أم أن قربـك مني في الفـترة الأخـيرة هـو مـا خلـق هـذا الحـب؟ حقًـا لا أدري؟

كيف كنت في الزمن القريب تراني الأم التي سوف تختار لك حبيبتك وزوجتك المستقبلية؟ والآن تراني أنا حبيبتك وزوجتك كيف هذا ومتى؟

هذا عنك!

أما عني أنا فأتساءل أيضًا كيف كنت أراك أخي الصغير بل وابني البِكر، والآن تتبدل مشاعري نحوك؟

أتساءل: هل للمشاعر أن تتبدل لا أدري؟

هل هذا الحب حقيقة أم وهمٌ خُلِقَ بالقرب الشديد بيننا؟

أسئلة أسئلة كلها أسئلة دون جواب دون هادٍ لحيرتي أو شافٍ لخوفي؟

كان لا بد لي أن أنهي تلك الحيرة القاتلة والإحساس بالخوف المدمر لأعصابي..

فأتخذ القرار في الابتعاد عنك وإلى الأبد، أعلم جيدًا أن القلق لم يكن يداهمني وحدي أنت أيضًا كنت دائمًا قلقًا من أن أتخذ مثل هذا القرار يومًا.

دائمًا كنت تذكرني بأنك لا تستطيع العيش بدوني كثيرًا ما كنت تقول لي أجعلي حبي لك نقطة قوتي لا ضعفي..

لا تخونيني يومًا وتتخذي قرار الابتعاد عني وحدك.

وعدتكَ بألا أفعل، والآن وقد فعلت قد تتهمني بخائنة للعهد، ولكن إن شعرت بما أشعر به ربما التمست لي العذر؟

أو ربما كان عليَّ أنا أن أشعر بما تشعر به أنت!

ذات يوم حدثتني قائلًا: لا تتركيني وحيدًا وترحلي!

ما لا تعلمه أن من تركَ وحيدًا هو أنا، والفرق بيني وبينك أن وحدتي وقعت باختياري والآن أنا أتضرع ألمًا وأنا أشتاق إلى لمسة يدك، إلى لهفة شوقك، إلى التفاصيل التي كانت بيننا، إلى تلك القبلة التي كنت تضعها على راحت يدي عند لقائنا.

وكلمات ليلك التي كانت تؤنس وحشة ليلي..

عن تلك الأحلام التي عهدنا أن نحققها معًا.

تلك هي حالتي حائرةً بك وبدونك..!

هذه كلماتي التي ربما لم تقرأها يومًا ولكني وللمرة الأولى أعترف أني..!

****

الخاتم

نسرين سليمان

صعد إلى متن الحافلة وكان الوقت ما زال مبكرًا، بضعة أشخاص فقط يستقلونها.. كان يومًا دافئًا من أيام الشتاء وكعادته استيقظ قبل أن ترتسم خطوط الفجر على صفحة السماء ليذهب إلى عمله، يعمل كموظف بسيط في إحدى المصالح الحكومية وكان قد رزق لتوه بطفل، هو أول طفل في أسرته الصغيرة، لا يتماشى ذلك مع راتبه المتواضع.. فهو يجاهد دومًا مع زوجته في الاكتفاء بهذا الراتب وبالطبع لا يستطيع الادخار فهو نوع من أنواع الرفاهية بالنسبة له ومحرم عليه بشكل أبدي.

جلس على أقرب كرسي له وهو يعدل من هندامه، سرح بأفكاره خارج النافذة وهو يتابع المارين بجواره ويحدق في السيارات من حوله.

لا بد من أنه قد مر أكثر من النصف ساعة وهو على تلك الحال، صامتًا وشاردًا، نظر من حوله ما زالت الحافلة قليلة الركاب، وقع نظره على الكرسي الفارغ بجواره فوجد خاتمًا ثمينًا، من المؤكد أنه وقع من يد صاحبته دون أن تشعر، إنه غالي الثمن.. مصنوع من ذهب خالص وفصوصه تنم عن ثراء فاحش، ولكن لماذا تستقل تلك

الثرية تلك الحافلة البسيطة، لعل القدر قد أمده بمال وفير ليصلح من أوضاعه المالية، بمقدوره الآن أن يشتري لطفله الملابس الجديدة وجميع مستلزماته ويأتي لزوجته بالدواء لمرضها المزمن، ويجري لوالدته تلك الفحوصات الطبية المؤجلة منذ وقت طويل، دفن الخاتم في كف يده واعتصره بأصابعه، نعم سيحل هذا الخاتم جميع مشاكله، أخذت الأفكار تتناوب عليه حتى سأل نفسه «أتاخذ لنفسك شيئًا لا تملكه؟ كيف لك أن تفكر هكذا وتحل مشاكلك من مال حرام؟ عاد يفكر لا ليس حرام فإنني وجدته.. هل أعطيه للسائق علَّ أحدهم يأتي ويسأل عليه، ولكن كيف لي أن آتمن السائق عليه، لربما أخذه هو لنفسه.

شق صمته صوت امرأة: «سيدي، إني أبحث عن خاتم، كان معي وكنت جالسة هنا، هل وجدته؟»

نظر إلى وجهها الأسمر وآثار البكاء ما زالت عالقة في عينيها، لا بد أنها امرأة ستينية، على الرغم من سمرة بشرتها ولكن شحوبها يبدو واضحًا على ملامحها.. صمت قليلًا وهو يفكر: هل يعطيه لها وينسى كل الأحلام؟ أو هل يكذب عليها ببساطة وينكر أنه في قبضة يده؟

مظهرها الشاحب جعله يأخذ قراره وتلعثم قليلًا وهو يقول: «أجل، لقد وجدته.»

حاول جاهدًا رسم ابتسامة على وجهه وتابع سائلًا : «ولكن هل لي أن أسألك، كيف تقتنين خاتمًا مثله ولا تحرصين عليه كل الحرص؟»

إنه في عمر ابنتها الكبرى ولا تدري لم أحست تجاهه براحة كبيرة وأجابته ويداها ترتعشان تكشفان أمر خوفها وشفتاها ترتجفان «ليس ملكي بالطبع!!»

عاد يسألها بدهشة: «ولكن قلت بأنك أضعتِه هنا؟»

أطلقت تنهيدة عميقة جدًّا «نعم» واستكملت وكأنها ترمي من على صدرها جبلًا من الهموم باعترافها «إني امرأة مسنة كما ترى، وعندي من البنات أربع، أصغرهن تبلغ من العمر الحادية عشر وتحتاج لإجراء عملية ضرورية في عينيها، وأعمل عند رجل أعمال غني، لم أجد نفسي إلا وأنا أمد يدي وأستولي على الخاتم في غفلة من زوجته» وسكتت بضع دقائق تلتقط فيها أنفاسها، وعادت لتكمل اعترافها: «إن لم تجرِ العملية في غضون يومين، لن ترى مرة أخرى، ولقد طلبت المال من سيدتي على سبيل الاقتراض ولكنها أبت، فكيف لي أن أرى هذا الخاتم يلمع أمامي ويملأ عيني ويغريني بأن آخذه...»

تابعت باكية: «لكني الآن نادمة وأرغب في أن أعيد إليها الخاتم، أنا لم أسرق من قبل يا بني في حياتي ولا أعلم ما ردة فعل سيدتي..»

ازداد نحيبها: «أخاف أن أمضي ما تبقى لي من العمر خلف القضبان، فبالتأكيد لن ترحمني سيدتي ولمن أترك بناتي وسأقول وداعًا لبصر ابنتي»

ذاب في لهيب أفكاره، أنا الذي كنت أنوي أن آخذه من دون حق، نحن، أنا وهي، كنا سنصبح سواء في السرقة، كدت أن أسرق ما ليس من حقي ولا حقها وإن كان مبررها هو الأقوى. ماذا ستفعل تلك السيدة العجوز؟، ما مصير البنات الأربع إن سُجِنَت وستفقد الصغرى منهن بصرها إلى الأبد، لا يعلم لماذا يحس بمسئولية تجاهها، بعد تفكير لم يقطعه إلا وصول الحافلة لوجهتها، وجَّه إليها نظره قائلًا: «سأساعدك على تجاوز محنتك، ولكن ليس قبل أن تعديني ألا تعودي للسرقة أبدًا.»

نظرت إليه وقد تهللت أساريرها: حقًا؟

«ولكن كيف ذلك؟» تساءلت وهي تجفف عينيها بمنديل ورقي.

أجابها بابتسامة يطمئنها: لا تقلقي، هل أنتِ عائدة لمنزل السيدة؟

أجابته خائفة: «نعم، ولكن يا ولدي ماذا ستفعل؟»

كانت ابتسامته ما زالت تعلو شفتيه: «اهدئي يا أمي، سأذهب معكِ»

نزلا من الحافلة وسارا على الرصيف في شارع هادئ نوعًا ما لمدة لم تقل عن النصف ساعة حتى بلغا بناية مرتفعة، صعدا معًا للطابق الرابع ودق جرس الباب..

مضت بضع دقائق حارقة ومن ثم فتحت الباب السيدة، إنها حتمًا في الأربعين من عمرها، أنيقة، وطويلة القامة حادة النظرات، معها حق تلك العجوز المسكينة أن تحسب لرد فعلها ألف حساب.

«من أنت؟»

وعندما رأت العجوز «وأنتِ، أين كنتِ؟ « كان يبدو عليها التوتر والغضب جراء فقدها الخاتم.

ارتعدت العجوز بشدة وعادت تفكر وما إن بدأت في إجابتها: «سيدتي، لقد كنت..، أقصد..»

قاطعها الشاب موجهًا حديثه للسيدة: «صباح الخير سيدتي، لقد كنت أتسلم عملي الجديد في المغسلة الكبيرة القريبة من منزلك، وحين كنت أجهز الملابس خاصتكِ وجدت هذا الخاتم في جيب المعطف..»

****

الضحية القاتلة

عبد المنعم فوزي

وجدت نفسها منطلقة بسرعة لم تعتدها حيث ظلت لفترات طويلة ساكنة لا تغادر غرفتها، استمرت بحركات دائرية تتخبط في جدران هذا الممر الذي بدا طويلًا بلا نهاية.

يبدو أن آثار هذه الرحلة ستظل محفورة في ذاكرتها إلى ما لا نهاية، من فتحة أحست بضيقها عندما وجدت نفسها فجأة في الفراغ وضوء النهار يملؤه بكل راحة، استمرت في الحركة في خط شبه مستقيم وإن شعرت أن سرعتها بعد أن زادت قد بدأت في التناقص، تعلم جيدًا أنها لم يكن لها إرادة ودائمًا ما تكون مفعولًا به، ربما تواصلت مع زميلاتها سابقًا، إنها ورغم انعدام إرادتها فهي قَطعًا مؤثرة، جميلة هي.. تشعر بالرهبة والقوة في آنٍ واحدٍ عندما تراها، تناسق جسدها واللون البرونزي الذي اكتسبته يُشعرك بحالة من الرغبة في تحسسها والاستمتاع بقوتها عندما تكون بين يديك، كل ما حولها فراغ تام ولا توجد مقاومة تُذكَر أثناء حركتها في وسط هذه الجموع، تمر بينهم بسلاسة غريبة لا يلتفت لها أحد ربما حتى لا تلفت انتباه أيهم.

مقاومة مفاجئة تُقلل من سرعتها بشكل حاد لتجد نفسها ساكنة

مرة أخرى داخل تجويف مُظلم وإن كانت تشعر بلون أحمر يملأ المكان الذي لم يكن جافًا كبيتها السابق وإن كان هذا المكان ينبض بحياة لم تعتَد عليها، ولكن مهلًا، هذا المكان كان ينبض حقًا بالحياة عند دخولها بينما هدأت الحدة والحركة والنشاط حتى توقف تمامًا وبات مكانًا تملؤه رائحة الموت، إذًا فهي المتسبب في كل هذا، هي التي حولت الصخب والحركة إلى موت وسكون بغيض، نعم هي السبب، ولكن ما الذي أتى بها إلى هنا؟، كيف تسببت في كل ذلك؟، هل المتحكم بها هو من أعطاها الأمر؟، ألم يكن لها أي دور أو محاولة لتمنع كل ذلك، لتتدخل أو تغيّر مسارها؟، هل كان لها حق الاعتراض؟

لا! متى كان لمن هو مثلها أي دور، قضت حياتها القصيرة كمثيلتها أن تكون أداة في يد هذا المُسخ، لا تعلم الكثير في هذه الدنيا إلا دورها المحدَّد والمرسوم وقدرها أن اكتشفت متأخرةً أن هذا الدور هو دائمًا مرتبط بالموت والأذى والظلم، قدرها أن المتحكم الآن يتحكم فيها وفي غيرها ولا يقوى على التحكم في شروره ونزواته.

قدرها أنها رصاصة في يد إنسان..

****

الأميرة الضائعة

سعيد فاروق النحاس

قالت لي أمي ذات يوم «يا ولدي دوام الحال من المُحال».

تذكرت مقولة أمي الحنون وأنا أنظر إلى حال قِطة الجيران والتي كانت في الماضي عزيزة قوم، فهي القطة الفتية والجميلة والشقية والتي لا تغتسل وتتحمم إلا بأغلى أنواع الشاور المستوردة، ولا تأكل إلا من أفخر أنواع الطعام، فهي لا تأكل البقايا قط، ودائمًا ما يكون شتاؤها دافئًا تحت أقدام تسنيم صاحبتها البتول مثل قطتها البتول أيضا، لا تفارقها قط، فقد كانت تسنيم تعشق قطتها عشقًا، فلا تتركها تغادر المنزل مُطلقًا إلا بصحبتها، ودائمًا ما كانت تسنيم تتفاخر بقطتها الشيرازي الجميلة صاحبة الشعر الكستنائي الكثيف، صاحبة القوام الرائع المكتنزة، فكانت دائمًا تسير كأميرة في بلاط أبيها السلطان أو الأمير.

ولكن في يوم أسود مشؤوم، انهارت كل أحلام صاحبة الشعر الكستنائي الجميل، المكتنزة البتول، وصار بيتها كهفًا في صحراء ليس لها حدود، لا يوجد بها سوى الذئاب.

فقد ماتت الحبيبة تسنيم فجأة، ذهبت الحبيبة والصديقة والأم الرؤوم، سقطت فجأة من الدور الخامس دون سابق إنذار، سقطت

بعد أن فقدت اتزانها للحظات، سقطت على إحدى سيارات الجيران، وقالوا كُسرت ساقاها ولكنها لن تموت، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، فسرعان ما أصيبت بنزيف داخلي بعد أقل من ثلاث ساعات على سقوطها، ولم يستطع أحد من الأطباء في مستشفانا الحكومي التعِس مساعدتها أو إنقاذها فدفنوها في الصباح.

هكذا صارت القطة المسكينة بين عشية وضحاها، يتيمة بلا مأوى، بلا أمان، بلا أم، وصار منزلها دار حزنٍ، بعدما كان بالأمس دار سعادة، ويا لتصاريف القدر! فلا أحد في المنزل يحب القطط، فأصبحت تأكل بقايا الطعام لأن الجميع قد نسوها في خضم مأساتهم بفقدان ابنتهم الحبيبة، وما أبقوا عليها في المنزل إلا لأنها كانت حبيبة الغالية المرحومة تسنيم .

تقبلت القطة المسكينة الوضع الجديد، ولكن الكارثة الحقيقة التي حدثت للمسكينة أن هذه الأسرة دائمة السفر والترحال، فهم يملكون شقة أخرى بقاهرة المعز، يذهبون إليها كل أسبوع أو أسبوعين، فكانوا يتركون القطة المسكينة خارج المنزل أثناء فترة سفرهم، فأصبحت القطة المسكينة نهبًا للغرباء، ولذلك ما عادت البتول بتولًا، استباحوها، ففي الليلة الموعودة عندما يترك الأهل المنزل تُقام حلبة المصارعة ما بين القطط الذكور، وتستمر المصارعة إلى أن ينتصر القط الأقوى، وتنسحب القطط المهزومة في هدوء، وتصير المسكينة عشاءً فاخرًا لغريزته، ويستبيح من جسدها القاصي والداني حتى الإشباع الكامل، ولا يفيدها صراخٌ أو عواء أو نواح وبكاء أو عويل.

والسؤال: كيف عرف الجيران أن قطتهم قد استباح لياليها الغبراء الذكور؟

ذات ليلة وجدها الجيران وبين أقدامها طفلتها الوحيدة، والتي كانت تشبه ذكور الشوارع والمخلفات، فصرخوا بها وكأنها فعلت هذه الفعلة المشينة بإرادتها، برغبتها، فأقاموا لها محكمة، حَكم قاضيها بأن تُحرم من طفلتها الوحيدة، فطُردت الصغيرة، فشعرت الأميرة بالحرمان وظلم الزمان وعادت تبكي بحُرقةِ أيام العز التي ولَّت ولن تعود، أيام أمها تسنيم الجميلة الحنونة والرؤوم. وإمعانًا في الإذلال، لا تزال الأميرة الجميلة مستباحة في نفس المنزل والساحة.

❋❋❋❋

وجدت الله

سعيد فاروق النحاس

هالتني رؤيته، وزلزلت كل أعماقي حتى النخاع..

هو فتى صغير لم يتجاوز السابعة من عمره، رثَّة ثيابه وبالية. يعيش هذا الصغير في دار بالية رثَّة مثل ثيابه.

دارٌ وكأنها أُنشئت قبل ألف عام حتى على ميلاد المسيح.

فَرشة من الحصير وقطعة فخار لها بطن كبير يخزنون فيها الماء، تُسمى الزير، ولا شيء آخر سوى السكون.

وكأني ركبت آلة الزمن، إلى زمنٍ آخر بعيد.

اسم الفتى أحمد، وهو قعيد وضرير وسعيد.

ذات يوم أتاني رجل في العقد الثالث من عمره إلى محل عملي بمديني التي تقبع بشمال الصعيد، وكنت جالسًا مع أمي الحنون نتبادل أطراف الحديث.

دخل علينا الرجل مُلتاعًا، وقال «أين يوجد الحاج سعيد؟».

فقلت له «ماذا تريد من الحاج سعيد؟».

فقال لي إن بعض الناس أخبروه أنني لديَّ كرسيٍّ للعَجَزة.

فقلت له وأنا في حالة عَجَب شديدة «من أخبرك أنني أملك كرسيًا للمعوقين؟».

قال «بعض الناس»، فكِدت أن يُغشى على أو أُصاب بالجنون.

كيف عرف هذا الرجل بأمر هذا الكرسي الذي لم أشتريه إلا من دقائق معدودة من أحد أصدقائي وكنت قد أخبرت أمي الآن أن صاحبه سوف يأتيه. فإذا بهذا الرجل يسقط عليَّ من السماء ويبكي ويقول «والله إن ابني في أشد حاجة إلى كرسي متحرك، وهذه بطاقتي وفيها عنواني»، فأخذت منه العنوان وأعطيته الكرسي وأنا في حالة من الذهول وأمي الحنون تبكي من هذه الحال، فأخذ الرجل الكرسي وطار في الحال، واختفي في ثوانٍ معدودة وسط الزحام.

وفي اليوم التالي قررت أنا وعائلتي أجمعين، زوجتي وأولادي، أن نذهب إلى هذا الرجل في قريته التي تقبع شرق النيل، فوجدته هناك.

الفتى أحمد قعيد وضرير وسعيد، فكاد أن يمسني شيء من الجنون، وسألت نفسي كيف وجد هذا الفتى الصغير السعادة في ظلام أبدي وليل سرمدي بلا نهاية لا يُرجي منه فجرًا؟ كيف مع فقر مضجع، وقدمين لن تستقيما سوى في أحلامه لتحمل جسده الصغير وتطوف به أنَّى شاء؟

منزوع العينين هو، وأقدامه ضامرة ورثَّة بالية كثيابه تمامًا، منذ أن رأى النور يوم ميلاده.

ولكن الغريب المدهش هو السعادة والسرور الذي يتراءى لك في وجه الفتى الصغير والرضا الكبير الذي تشعر أنة يملأ عليه جنباته، وهو لا يملك من حطام الدنيا شيئًا، حتى نورها لا يراه، وحتى أقدامه المندثرة لن تقوى يومًا على النهوض به ليواجه الحياة.

كيف وجد هذا الفتى الصغير الرضا والسعادة مع الانكسار والظلام الدامس في مجتمع غابة ووحش؟ كيف وجد الله؟ كيف خلع هذا الصغير عشق الدنيا؟ كيف طوَّع هذه النفس والتي لطالما سحقتنا وأذلتنا في متاهات العمر؟ وكثيرًا ما أسقطتنا في مستنقع الخطيئة والعفن سنوات عديدة أمضيناها في القراءة، ولا زالت نفوسنا حائرة لم تصل أبدًا إلى السلام النفسي إلا للحظات أو دقائق أو سويعات أو أيام معدودات، ولا زلنا في صراعنا الأبدي مع النفس تهزمها مرات وتسحقنا أيامًا عديدة؟

تلك النفس التي صرعها الفتى أحمد وطوَّعها كيفما أراد. كيف؟ لا أدري، أكاد أصاب بالجنون.

ولكن لحسن حظي، لم تدُم حيرتي كثيرًا، فقد قطع الصغير رأس الأفعى التي تحوم في رأسي حين خرج عليَّ يُنشد بعضًا من آيات الذكر الحكيم بشدوٍ هو عذب جميل حنون، وقال «ياعمي لا تتحير، فإني أحفظ سبعة من أجزاء القرآن الكريم وألفين من أحاديث النبي العدنان»، فصمَّت الآن وذابت كل حيرتي. الآن قد علمت كيف وجد هذا الصغير كل هذه السعادة والاطمئنان، فقد وجد الله.

****

طنط نانا

سعيد فاروق النحاس

بعدما أتممت دراستي الجامعية كان عليّ الاستعداد لتأدية الواجب الوطني، وكنت قد حصلت على بكالريوس علوم الحاسب الآلي من معهد الحجاز بمصر الجديدة وكان لي صديق دراسة قديم له خال يعمل بمنصب هام بوزارة الدفاع، وأنه يستطيع أن يدخلني ضابط احتياط بعد أن علمت أن القوات المسلحة تقوم بتدريب الخريجين أمثالي من ضباط الاحتياط على كافة برامج الحاسب الآلي القوية والتي يحتاجها سوق العمل بكافة دول العالم وليس الخليج فقط، ونظرًا لأن تكلفة دورات التدريب بهذه البرامج مكلِّفة جدًّا فلم أستطع الطلب من أبي تحمل تكلفتها وخاصة بعد أن أنهكته تمامًا خلال دراستي الجامعية في المعهد الخاص الذي كنت أعتقد أن سوق العمل سوف يفتح ذراعيه لي بعد التخرج، نعم فتح ذراعيه، ولكن ليصفعني على وجهي الصفعة الأولى في مواجهة الحياة. لذلك حاولت أن ألتحق بالجيش كضابط احتياط، وكان هذا ككل شيء في مصر محتاج واسطة، وكان أبي رحمه الله دائمًا ما يقول يا ولدي إحنا واسطتنا ربنا وبنكمل بقية عشانا نوم.. ومن أين لأبي الطيب القابع في أحشاء الصعيد أن يعرف أحدًا غير جماعته الصوفية أولاد أبو

العزائم والتي كلم أبي أحد مشايخها في القاهرة فأخبره أنه سوف يدعو لي بأن أقبل في أوقات السحر، فطارَ أبي فرحًا.

لم أجد بُدًّا من أن أكلم صديقي حسين الطالب في كلية الطب وهو صديق طفولة ودراسة وكان متحمسًا جدًّا لأن يقدِّم أي خدمه لي، فقد كانت أواصر صداقتنا قوية ومتينة، ولكن كانت المشكلة كيف أقابل خاله؛ فقد كان كثير التنقل وأنا أعيش في إحدى مدن بني سويف في شمال الصعيد جغرافيًّا وفي داخل أعماقه ثقافيًّا؛ فكل عادات الصعيد متغلغلة فينا بداية من التعامل مع الأنثى إلى الأخذ بالثأر.

أتاني الدكتور حسين مساء يوم وقال لي: أبشر لأن خالي المقدِّم حسن معزوم غدًا عند «طنط نانا» في مصر الجديدة في ميدان تريانف على الغداء وقد كلمته أمي وسوف يكون بانتظارك في الخامسة بعد العصر إن شاء الله.

كنت أعرف مصر الجديدة جيدًا بحكم دراستي هناك بالرغم من أنني كنت أسكن في أثناء الدراسة بميدان النعام بعين شمس إلا أنني كنت دائمًا ما أعبر شارع جسر السويس لأدخل مصر الجديدة لأتمشى هناك فقد كانت مصر الجديدة لي كأوروبا الساحرة الجميلة وأهلها يعيشون حياة لا أحلم بأن أعيشها يومًا فنحن هناك نعيش في كوكب آخر وربما حتى في بُعدٍ وزمنٍ آخر.

أخبرت أمي العزيزة أن تغسل لي أفضل ثيابي أو إحدى اخواتي البنات ففعلن عن طيب خاطر، وفي اليوم التالي ركبت قطار الثانية عشرة ظهرًا متوجهًا إلى القاهرة.

وصل القطار إلى محطه رمسيس قلب القاهرة النابض بالحياة طوال اليوم والذي لا يكاد يخلو من المسافرين والقادمين أبدًا، وخرجت منها وركبت مترو النزهة أو «ترام مصر الجديدة» فقد كان أفضل وسيلة للوصول إلى مصر الجديدة إذا كانت مسألة الوقت غير مهمة بالنسبة إليك.

وصلت إلى ميدان تريانف الجميل في الرابعة والنصف، ولم يكن من الصعب عليّ الوصول إلى عنوان «طنط نانا»، وذلك طبعًا لخبرتي الطويلة بمصر الجديدة فصعدت الدرج إلى أن وصلت إلى الباب وضغطت على جرس الباب مباشرة.

فتح الباب شاب في مثل عمري أو يكبرني بعض الشيء.

قال: ماذا تريد؟

قلت: دا بيت طنط نانا؟

قال: نعم.

فأخبرته أن يخبرها بأنني سعيد صاحب الدكتور حسين ابن خالته.

ذهب ثم عاد وأدخلني الشقة التي كان عليّ أن أخلع نعلي كأنني داخل إلى الصلاة بالمسجد. دخلت لأجد شقة كبيرة جدًّا وفارهة الأثاث، ووجدت خال الدكتور حسين هناك بانتظاري مع نسيبه القبطان البحري بالمعاش في حجرة الصالون، جلسنا نتبادل الحديث فسألني سيادة القبطان عن سبب رغبتي في دخول الجيش لمدة أكثر من ثلاث سنوات وأبدى دهشته الشديدة لذلك، وأخبرني أن جندي مع عام في الخدمة، أفضل من ثلاث سنوات بأي شكل من

الأشكال، وتدخل أحد أبنائه وهو الذي فتح لي الباب وكان لم ينهِ تعليمه الجامعي بعد، وكان يبدو عليه الغضب الشديد منّي بسبب رغبتي أن أقضي أكثر من ثلاث سنوات حتى ولو كنت ضابطًا وأخذ يتهكم ويسخر منّي في الحديث ويتكلم ببعض الألفاظ الجارحة محاولًا استفزازي: «إنت عايز تكون كاوِرك.. عاوز تكون سيكة».. وأنا صامتٌ لا أستطيع أن أتفوه بكلمة واحدة، كانت النيران تأكل صدري من حديث القبطان وابنه، أريد أن أخبرهم أنني لا أستطيع أن أحمِّل أبي فوق طاقته، كفاه ما احتمله من أجلي في السنوات السابقة وأريده أن يراني ببدلة الضابط الميري حتى لو لم أكن ضابطًا عاملًا بل مجرد ضابط احتياط؛ لأن هذا كان سوف يجلب عليه السعادة والافتخار بابنه الذي تفوق وأصبح ضابطًا كبيرًا، له هيبته وكرامته، وخاصة عند البسطاء في أعماق الصعيد حيث الثقافة البالية والأشد ضراوة فأكون أنا كحصنه الحصين الذي لطالما تاقت نفسه في الحصول عليه ولكنه كان دائمًا أملًا مستحيلًا.

كيف أشرح لهم هذا وكيف أخبرهم بوجهة نظري تلك أنهم يتكلمون وكأنني واحد من جيرانهم أو أصدقائهم من وسط سكان مصر الجديدة وهم لا يعرفون أن الفرق بين بلدتنا التي تسكن في قعر الثقافة والتمدن بينها وبين مصر الجديدة مائة عام على أقل تقدير. في خضم كل هذه النيران التي تفتك بعقلي فيكاد يخرج من بين ثنايا الرأس إلى الفضاء الرحب لعله يجد حلًّا لتلك المعضلة التي بات فيها في لحظات وفجأة حدث شيء عجيب إذ دوي في المنزل صوت صراخ وعويل «طنط نانا» بشكل جنوني في إحدى

غرف المنزل هرول إليها الجميع إلا أنا لم أستطع أن أحرك ساكنًا.

ظللت في مكاني وهى تقول: مستحيل، كيف حدث هذا، إنت كنت فين؟ كنت فين يا كلب؟ كيف حدثت تلك المأساة وماذا سنفعل؟؟ فسقط قلبي على السجاد الأعجمي الجميل ولم أستطع اللحاق به فلعنت الدنيا على حظي، يبدو أن كارثة حدثت ولن أستطيع أن أحقق حلم أبي، ماذا حدث يا ترى؟ الصراخ ممتد من «طنط نانا».. ما زالت حالتها هيستيرية والجميع يحاول تهدئتها: «معلش يا ماما خرجت وماحدش خد باله منها، معلش» وطنط نانة ما زالت تصرخ: «لا إنتي تعملي فيا كدا ازاي ازاي وانت كنت فين يا كلب يا وحش لما حصل ده كنت فين كنت فين؟» يرد ابنها: «أكيد خرجت وهو ماشفهاش يا ماما، ماتزعليش يا ماما ماتزعَّليش نفسك صحتك يا حبيبي والكابتن حسن خلاص يا نانا مفيش مشكلة ان شاء الله مش هتحصل تاني وسيادة القبطان معلش يا نانا علشان خاطري انا ساميحها ساميحها يا نانا».

هدأت «طنط نانا» رويدًا وطار عقلي أنا.. يا نهار أسود يبدو أن عندهم مشكلة كبيرة متعلقة بالشرف على ما يبدو، تمنيت ساعتها لو أن الأرض انشقت وابتلعتني.. يا الله ما هذا الحظ الأسود الملعون؟! ما هذا اليوم الغابر؟! ماذا أفعل وأنا الفتى القادم من الصعيد صاحب النخوة! استقمت واعتدلت إذا أرادوني في أي شيء سوف أقف معهم مثلما كانو ا سوف يقفون معي ويساعدونني إذا أرادو تأديب هذا الشاب فسوف أذهب معهم نعم فإن هذه من واجبات النخوة والرجولة.. نعم نعم سوف أفعل.

صمت مطبق إلا من بعض نحيب طنط نانا التي بدأت في الهدوء ثم بدأ الجميع في الخروج مطأطئ الرأس الابن وسيادة القبطان والكابتن حسن فجلست لا أتحرك أو أتفوه بكلمة واحدة ثم خرجت «طنط نانا» من الغرفة بملابسها الزاهية الجميلة وكنت قد رأيتها سابقًا عند الدكتور حسين في منزله في مدينتنا البالية في إحدى زياراتها لنا فعرفتني هي والدموع لا زالت في عينيها، ولكنها استقبلتني بلطف جم وقالت: أهلًا يا سعيد يا حبيبي عامل إيه؟ واحشني اتفضل يا حبيبي اتفضل.

عملت إيه في موضوعه يا حسن خلاص خليه يدخل زي ماهو عاوز ماحدش له دعوة بيه، ماتسمعش كلام الجماعة دول ادخل زي ما انت عاوز.

وأنا جالس في حالة ذهول.. إيه العالم دي في مشكلتهم دي بيتكلموا في مشكلتي عادي كده إيه الخبل ده!

هي المشاكل دي عند الناس دي سهلة ولا إيه يا نهار أسود يا نهار أسود وأنا الذي كنت أعتقد أن مصر الجديدة أجمل مكان في العالم وهي في الحقيقة مكان بلا نخوة.. ما أعظم مديني لو حدث هذا الشيء في مدينتي كان الحل الوحيد هو وأد هذه الفتاة وقتل الشاب الذي فعل بها هذا على الفور نعم هذه هي النخوة، هذه هي الرجولة.

قامت طنط نانا من مكانها وقالت بأدب جم: أنا آسفة يا سعيد يا حبيبي لم آتِ إليك بشيء تشربه ثم ذهبت وأتت لي بكوب كبير به عصير المانجو الجميلة وقطعة جاتوه قالت إنها من صنع يدها. وفي

أثناء تقديمها الصينية أمامي خرج قط كبير من الغرفة التي كانت بها وأخذ يتمسح بها فشعرت به فبعدت عنه وجلست بجانبي وهي تقول له: إبعد عني مش عايزاك، مش عايزة أشوفك تاني.

وبدأت في النواح من جديد فاقتربت أنا منها وقلت لها: اهدئي يا طنط نانا علشان خاطري هو فيه إيه؟

فأخذتني من يدى وأدخلتني الغرفة التي كانت بها وهي تقول: تعالَ يا سعيد شوف بنفسك فدخلت معها لأجد بداخلها قطة أخرى مثل التي رأيتها من قبل وهما من النوع السيامي الجميل، وهذه القطة ترقد وحولها أربعة أبناء صغار غاية في الروعة، ولكن ليسوا من جنسها وزوجها وهي تنظر إليها وتقول: انظر إليها يا سعيد ماذا فعلت بنا، انظر أولادها بلدي يا سعيد، بلدي عارف يعني إيه بلدي، يعني خرجت وتقابلت مع أحد قطط الشوارع وحملت منه يا سعيد شُفت الكارثة، ووضعت هؤلاء مش عارفة أعمل إيه دلوقت.

فاتبسمت ضاحكًا وأنا يفتكني الحزن والمرارة.. كل هذا الصراخ والعويل والنحيب من أجل هذا؟ من أجل حياة القطط؟ فلملت قلبي من فوق سجاد الصالون العجمي، وتذكرت حال القطط عندنا فقلت في نفسي صحيح في قطط لها حظ.

وكانت مأساة «طنط نانا» هي ماذا تفعل بالصغار، فهي لا تستطيع أن تعيش معهم في نفس المنزل ولا يطاوعها قلبها على الإلقاء بهم في قارعة الطريق وهنا تدخل سيادة القبطان وقال خلاص يا نانا علشان خاطري زي ما أخبرتك سوف يبقون معنا

عـدة شـهور حتى يشتد عودهـم ثـم نطلقهـم في الصيف القـادم إن شـاء الله وماتزعليـش نفسـك مفيـش مشـكلة.

عدت معهم إلى الصالون وقد طار ما تبقى من عقلي.

شربـت العصـير وأخـبرت الكابتـن حسـن أننـي أريـد أن أكـون ضابـط احتيـاط، ولا أريـد عـن هـذا بديـلاً، فالقطـة اختـارت طريقهـا رغـم أنوفكـم وأنـا سـأخجل مـن حـالي. فنزعـت عنـي رداء الخجـل وهكـذا أخبرتهـم أنكـم تفكـرون يا سـاده بمنطـق عليـة القـوم والمرفهـون الذيـن يعيشـون في أبراجهـم العاليـة فينظـرون إلى مـا تصبـوا إليـه أعـين الآخريـن عـلى أنـه وحـلٌ مـع أنـه هـو منتهـى النقـاء الـذي تصنـع منـه قوامـات الأوطـان ثـم ودعتهـم وانصرفـت إلى أبي أقبِّـل يـده الطاهـرة وجبينـة النـدي صاحـب الأحـلام البسـيطة، أحـلام الغلابـة ولكـن العجيـب أننـي لم ألتحـق بالخدمـة العسـكرية مطلقًـا، وكُتِـبَ في شـهادتي للخدمـة العسـكرية لم «يصبـه الـدور».

****

أخيرًا

محمد سمير

أخـيرًا.. لم أصـدق عينـي وأنـا أشـاهد قمـم الأشـجار تعـدو أسـفل قدمـيَّ.. ينتابني شعور بالرهبة كلما اقترب قـرص الشـمس وأنـا جالـس داخـل ذلـك الصنـدوق المعـدني المكشـوف والـذي يصَّعّـدُ في السـماء متغذيًـا عـلى نبضـات كهربائيـة تتقافـز أيوناتهـا داخـل تلـك الكابـلات الضخمـة دون أن تراهـا العـين المجـردة..

في سرعـة رتيبـة أخـذت قمـة الجبـل الكائـن في خلـف المشـهد تقـترب أكثـر فأكثـر في حـين اختفـت الأشـجار تمامًـا تحـت هـذا الكسـاء المخمـليِّ المسـمى بالسـحاب..

تلـك السـعادة الغامـرة كانـت دخيـلًا امتـزج بشـعور الرهبـة الـذي كان لا يـزال يكتنـف أحشـائي عندمـا لامسـتُ أعـلى نقـاط الجبـل.. ومـع هـذا الخليـط المدهـش اكتنفنـي إحسـاس بسـلام نفسيّ أنسـاني جُـلَ معـاني الحـزن والإحبـاط التـي كانـت تمـلأُ وعائـي مـن قبـل..

يـا الله.. مـن الرائـع أن تتيقـن في لحظـة مـا أنـك لا شيء.. لا شيء بـكل مـا تحويـه الكلمـة مـن معـانٍ.. ليـس تقليـلًا مـن شـأني أو نكرانًـا لمـا يعتريني مـن عواطـف سبق وقـد مـلأت كيـاني ولكـن.. مـاذا تسـاوي تلـك المشـاعر المحبوسـة بـين جنبـات صـدري مهـما قـد رَحُـبَ اتسـاعًا أمـام ذلـك الخـلاء اللامتناهـي؟

تلك اللحظة التي شعرت فيها بالخجل وأنا أنظر حولي فلا أجد إلا عظيم خلق الله وقد بقي صامدًا صامتًا لسنواتٍ.. سنوات تفوق عمري بالكثير.. ربما أكثر مما قد دار بخلدي حينها..

أخذت شهيقًا محاولًا جذب جميع ما حولي من فراغ علّه يحل محل ما قد امتلأ به قلبي.. شهيقًا لمراتٍ ومرات قبل أن تراودني الهواجس من جديد فقد آن أوان الرحيل.. إنه طريق العودة مرة أخرى إلى ذلك العالم الضيق الذي قَيدنا فيه أنفسنا قسرًا وما لنا من سلطانٍ..

انتهت سريعًا تلك الرحلة وعدتُ حيًّا أُرزَق بعد أن عبرت بوابة السماء..

ياله من شعور.. أن تهزم نفسك..

التحدي الأكبر في هذا العالم هو تقهر خوفك الأعظم..

قبل المزيد من الاسترسال دعوني أعود بكم سريعًا عبر حاجزيَّ الزمان والمكان.. بالطبع أنا لا أملك عبقرية أينشتين حتى أشرح لنفسي هذا المصطلح، ولكني أملك ذاكرة حديدية تجعلني أتجول في ثنايا عقلي ذهابًا وإيابًا غير عابئٍ بذلك الزمن..

****

الخوف هو شعور لا إرادي خلقه الله في سائر المخلوقات لتخافه أولًا قبل أن تخاف بعضها البعض.. ذلك الشعور يتمخض دائمًا من رحم مختلف المواقف بدرجات تتفاوت من كائن لآخر ومن شخص لآخر وأكاد أجزم أنني أكثر مخلوقات هذا الكون خوفًا.. أخاف كل شيء وعلى كل شيء ولكن أشد ما يؤلم هو الخوف الزائد على مشاعر

الآخرين.. هذا النوع من الخوف يجعلك دائمًا وأبدًا في ذيل القائمة.. فأنت تفكر في كل شيء إلا أنت.. أنت آخر من تفكر فيه..

لا أنكر أن الجميع يمتنُ تجاه تلك المشاعر النبيلة ولكن بضع من الجميع يتحول امتنانه بعد فترة إلى حق مكتسب.. أنت لا حق لك..

بدون خوض في مزيد من التفاصيل فقد آن أوان التغيير.. لا مزيد من الخوف غير المبرر.. قد تكون تلك الخطوة متأخرة قليلًا ولكن أبدًا لا يوجد وقت متأخر..

من أين البداية إذًا؟ وهل من السهل ترويض رفيق العمر؟ بل السؤال الأكثر أهمية: أأستطيع يومًا أن أكون في مقدمة أولوياتي؟

حاولت كثيرًا وبشتى الطرق إلى أن أعيتني المحاولات..

النتائج مرضية إلى حدٍّ ما.. فها أنا أقاوم الخوف وأتحداه كطفل صغير ينتفض قلبه رعبًا وهو يبتسم في بلاهة..

هل تغلبت حقًا على مخاوفي؟ أم أنه عندٌ وكبرياءٌ؟

هل هذا هو شعور كل من لا يخاف بشدة مثلي؟ فقط يُظهر عكس ما يُبطن.. أم أني أخادع نفسي لا أكثر؟

لقد أصبحت أشعر بالكثير من التوتر ويا له من شعور.. لكان الخوف أبسط منه كثيرًا أو لعلي قد ألفتهُ.. ماذا بعد؟ أضاعفت مشاكلي بدلًا من معالجتها؟

تفتق إلى ذهني فكرة جديدة..

الصدمة..

يجب أن أواجه مخاوفي مهما كانت النتائج.. إن مرت بسلام دون أن يتوقف النبض فلا داعي للخوف مرة أخرى..

وقد كان..

ظللت أبحث عن أحلك المواقف رعبًا لأضع نفسي بها.. تارة أسيرُ في الشوارع المظلمة.. ألفتُ طريق الصحراء ليلًا..

كل يوم مغامرة جديدة ربما بعضها لم أواجهه من قبل حتى في أعنف الكوابيس.. ربما جننت.. لكن الأمر يبدو أفضل.. لم أعد أشعر بنفس الخوف.. لقد أصبح الشعور مغايرًا تمامًا وإن كنت لا أستطيع أن أصفه إلا أنه أقرب إلى المتعة التي يشعر بها المقامرين.. لذة الاستمتاع باحتراق الأعصاب ويا لها من لذةٍ.. إنه الجنونُ حتمًا..

تمر الأشهر سريعًا ك سُحب الصيف النهارية لا يعيرها أحد اهتمامًا.. فلا هي تترك علامات المطر ولا تقي قيظ القرص المتوهّج..

لا يزال الخوف يراودني بين الحين والآخر بينما أصبح التوتر سمة أساسية، ولكن ما زاد الطين بلة هو التفكير الدائم الزائد عن الحد.. عقلي لا يتوقف عن الدوران.. أصبح النومُ ضيفًا نادر الزيارة.. بلا شهية تقريبًا.. شبه إنسان أصبحت..

أخذت المغامرة حيزًا أكبر وأصبحتُ يوميًا أبحث عن جديدها حتى جاء ذلك اليوم..

كنت أتصفح الإنترنت كما هي عادتي حتى رأيت إعلانًا عن إحدى المدن الصينية.. هونان.. لم أُعِر الإعلان اهتمامًا في بادئ الأمر وإن أخذت أتصفح الرابط المصاحب له في لامبالاة.. خلب لبي تلك الصور للمنازل ذات الطابع الصيني التي كثيرًا ما رأيتها في التلفاز ثم شد انتباهي التداخل الرائع لتلك الألوان الزاهية ما بين المزارع المنتشرة بكثرة والممتدة إلى مرمى البصر ومن خلفها جبال شاهقة

الارتفاع بينهما يمر بينهما نهر ما.. ربما هو نهر اليانجستي الذي طالما درسناه دون سبب وجيه في مرحلة ما من الماضي البعيد..

كانت القاضية عندما رأيت الصورة الأخيرة.. بوابة السماء.. تلك المناظر الخلابة للجبال الشاهقة يعبرها ذاكَ الصندوق الطائر.. يا للروعة..

كنت لا أعلم أي شيء عن تلك المدينة بل وربما كانت المرة الأولى لأسمع عنها لذلك إستهواني البحث لمعرفة المزيد عنها.. لماذا؟ لا أدري..

أصبحت.. هونان.. أحد نشاطاتي اليومية المتكررة على الإنترنت مثلها مثل باقي التطبيقات المختلفة حتى أصبحت أحيانًا أعيش هناك.. فقط بخيالي..

هونان.. بوابة السماء.. يجب أن أذهب يومًا..

****

طبق منقوش!

إنجي أحمد

خَـرَجَ أحمـد وسـيف وآيـة مـن المدرسـة، اكتشـفوا في طريقهـم مكانًـا مهجـورًا . أحـب أحمـد التعـرف عـلي المـكان ، سـيف دائـما يتبـع أحمـد، لكـن آيـة، لا .. كانـت دائـمًا تعـترض، لكنهـا ذهبـت معهـم لحمايتهـم.. فقـد كانـت أكثرهـم فطنـة وذكاءً..

المـكان كان متهدمًـا أحجـارٌ وأعمـدةٌ متناثـرة عـلى الأرض وفـوق بعضهـا .

بعضها تزين بنقوشٍ فرعونيةٍ.

كان أحمد يقلب التربة بعصا.

سَألتْ آية: عما تبحثُ؟

حركَ أحمد يديه بحركةٍ توحي بأنه لا يعلم ماذا يفعل، وقال: كنتُ أرى جديِّ يفعلُ ذلك وأنا صغير فهو عَالِمِ آثار كما تعلمين.

انظر يا أحمد ماذا وجدت؟!

انتفض أحمد من مكانهِ.

ونظرت آية إلى سيف بتعجبٍ!

فأجابها: ماذا؟ كنت أفعل مثلهُ.

ربتَ أحمد على كتفه، وقال:

أحسنتَ ياصديقي إنه إكتشافًا رائعًا.

لكنهُ مجرد طبقٍ.

ضحكت آية إنه أثر يا سيف ألا تعرف معنى ذلك؟

أجاب سيف بسذاجتهِ المعهودة: أننا أغنياءٌ!

حاولت أن تبتسم مستنكرة.

لكن أحمد قاطعهم: يبدو أن النقوش على الطبق مهمة فهي من الذهب.

هل سيزيد هذا ثمنه؟ نظرت آية ثانيةً باستنكارٍ.

أجابه أحمد وقد بدا عليه التفكير العميق:

- بل معنى هذه الرموز هي التي ستحدد أهميتهُ.

- هل هذا يعني أننا نحتاج لمكتبة جدكَ؟

- نعم يا آية.

دخل أحمد إلى مكتبة جده وهي غرفة كبيرة بها مكتبة خشبية بطول وعرض الحائط وبها كتب كثيرة.

وتوسط الغرفة مكتب كبير ذو طرازٍ عربي قديم.

وعلى الحائط الآخر رفٌ خشبيٌّ مُعلق تراست عليه خمسة أطباق مثل الذي وجده أحمد وأصدقائه تمامًا، ماعدا النقوش، كانت الرموز مختلفة.

وضع أحمد الطبق وسط أطباق جده معتقدًا أنه لن يلتفت إليه أحدٌ. ثم ذهبَ لغرفتهِ.

وبعد أن نامَ كل من في البيت بدأ الطبق بالغناء:

«طبق طبأقوا مايدربش.

طبق طبقنا مايقدرش.

طبقنا مرسوم بالنقش

عليه كلام مابننسهش

كل الزمان ما بيمشي

طبقنا يغلا مايرخصش

طبق طبأقوا مايضربش

طبق طبقنا ميقدرش

اكتبها صح ماتندمش

بالعلم نعلا ما ننزلش

اقرأ التاريخ ما تكسلش

تعرف أكيد معنا النقش

طبق طبأقوا مايدربش

طبق طبقنا مايقدرش».

استيقظ الجد من نومهِ يبحثُ عن مصدر الصوت، واثقًا أن الصوت أتى من غرفة مكتبهِ، مَنْ يا ترى مستيقظًا في هذا الوقت المتأخر؟ آه.. لا.. أحد، هل كنتُ أحلم؟

عادَ الجد لنومهِ وبعد أن غاصَ في نومٍ عميقٍ، عادَ الطبق لغنائهِ من جديدٍ فهو لا يطيق أن يكون بين أطباقٍ مقلدة، وليست أصلية مثلهُ،

وعـادَ الجـد يبحـثُ عـن الصـوت مـن جديـد وهـو غاضـبٌ جـدًّا ويريـد أن يعـرف مـن يـصر عـلى إقـلاق راحتـهُ. وفي هـذه المـرة تنقـل عـلى أطـراف أصابعـه بهـدوءٍ شـديدٍ، كان الطبـق يواصـل الغنـاء حـين أطبقـت يـدُ الجـد عليـه وسـط الظـلامِ.

آه إذا أنـت مـن أقلقنـي.. نظـر الجـد إلى الطبـق بعـد أن أضـاءَ الغرفـةُ، ونظـرَ إلى باقـي الأطبـاق في ذهـولٍ هـذا.. هـذا الطبـق ليـس تقليـدًا.. آ.. آ.. النقـوش، جلـس الجـد عـلى المكتـب وفتـحَ بعـض الكتـب وأخـذ يـدرس النقـوش بتمعـن.

ولكن مَن أحضر هذا الطبق؟ وأين وجدهُ؟

أعاد الجد الطبق وانتظر ليرى مَنْ يعرف بأمرهِ؟

عادَ الأصدقاء من المدرسة إلى غرفة المكتب.

وقف الأصدقاء خائفين حين دخل الجد عليهم.

وقـال: مـاذا تفعلـون أيهـا الأشـقياء؟ مـاذا تمسـك خلـف ظهـركَ يـا أحمـد.

تلعثـم الأصدقـاء ثـم اسـتجمعت آيـة شـجاعتها وحكـت كل شيءٍ بالتفصيـل.

أخـذ الجـد الطبـق وجلـس عـلى المكتـب وقـال: هـل تعرفـون عمـر هـذا الطبق؟

ردَّ الأصدقاء بـ «لا».

فتـح الجـد كتبـه وعـادَ بالأصدقـاء ٤٥٠٠ عـام حـين قسـم ملـك مـن ملـوك الأسرة الرابعـة وهـو الملـك «سـنفرو مـصر» إلَى عشريـن مقاطعـة، كانـت «أتـرب» هـي عاصمـة المقاطعـة العـاشرة، وكان رمزهـا (الثـور الأسـود).

وكان ذلك شكلًا من أشكال حورس معبود أترب المفضل.

حيثُ كانوا يعتقدون أنه وهبهم هذه الأرض السوداء الخصبة.

وسأل سيف: وأين أترب هذه الآن ياجدي؟

أجاب الجد وهو يشير إلى كل مكان: إنها هنا ياسيف بلدنا «أتريب» التي نعيش بها الآن.

وكان يعيش بها أيضًا منذ زمنٍ بعيدٍ أسرة من العامة.

هم (حبو) و(أتو)، وقد رُزِقا بمولودٍ في آواخر عهد الملك (تحتمس الثالث)، أسموه (أمنحتب بن حابو) والذي نال اهتمامًا كبيرًا من الأسرة ومن الملك، وكانت أول وظيفة له مساعد كاتب الملك، ثم كاتب المجندين، ثم مشرف الكهنة، وبعدها كاتب ملكي، ثم مدير المباني الملكية وأخيرًا نائب الملك.

وأيضًا المهندس المعماري الخاص بالملك (أمنحتب الثالث) أو (أمينوفيس الثالث) والذي أُنشئ في عهده (المعبد الجنائزي). وكافأَ الملك مهندسه الوفي بالسماح بإقامة تمثال له في(معبد آمون)، وإقامة مقبرة له ومعبد جنائزيّ منحوت من الصخور بـــ «طيبة» وكان ذلك شرفًا كبيرًا حيث تساوى بالفراعنة الملوك. ولم ينسَ مسقط رأسه فأنشأ معبدًا لعبادة الإله (حورس).

ونقشَ هنا على الطبق اسمه ولقبه (رئيس كهنة أترب).

خرج الأصدقاء وهم فخورون بما سمعوا من تاريخ مشرِّف لابنٍ من أبناء بلدهم الحبيب.

****

القرار

محمد سمير

انقضى الليل كما انقضى لا أعلم كيف أو حتى متى.. لم أفق من شرودي إلا و قد ارتفع صوت أذان الفجر من المذياع..

يوم جديد يبدأ دون أن ينتهي البارحة..

يا الله.. أنت المعين يا ربي.. يومان متتاليان دون أن يطرف لي جفن.. هل أستطيع أن أواصل هكذا؟ بالطبع لا..

توضأت فلم أنل من صلاتي إلا جلوسًا من بعد قيام و قد انشغل ذهني بأمور دنياي الحائرة..

اليوم يجب أن أتخذ قراري.. لن أسمح لهم بتقييد آرائي والحجر على رغباتي مرة أخرى.. اليوم أنا صاحب الرأي فيما يخصني.. لهم المشورة لا أمانع و لكن لي ولي وحدي يعود القرار..

لن أفكر في مجرى الحوار كعادتي.. سأتكلم دون ترتيب لكلماتي.. دون تنميق.. سأرتجل ما يمليه عليَّ قلبي وليكن ذهني حاضرًا لإجابة أسئلتهم وتعليقاتهم دون تلعثم أو إبطاء..

تأملت أغراضي بعناية وقد أخذت أصفف شعري بأطراف أصابعي، عدلت من هندامي وخرجت لأواجههم مباشرة..

كانوا يجلسون جميعًا حول المائدة و قد تركوا مكاني شاغرًا.. نظروا إليَّ في ريبة عندما تركت المكان المخصص لجلوسي لأقف على رأس الطاولة في مواجهتهم.. بلعت توتري في صوت مسموع قبل أن أقول في كلمات سريعة شاخصًا بصري على أكبرهم منزلة..

صباح الخير يا بابا.. أنا عارف أن النهاردة السبت ميعاد تمرين السباحة بس أنا مش بحبها أنا عاوز ألعب كرة قدم..

****

أعترف أني..

ماهيتاب عبد الهادي

أعترف أني...

أعترف أني لست لي..

أعـترف أني لم أنـوِ لنفـسي خـيرًا ولا شرًّا، كنـت أمـضي في حيـاتي لا أنـوي أهدافًـا لهـا.

أعترف أني كلما قررت اعتزال الناس لم أستطع منع نفسي..

أعترف أني..

أني بداخلي قليل ولكن أعطيت الكثير، أكثر مما طلبوا!

نسيت أني مكعـب سـكر، سـوف يـذوب حتـمًا مـن شـدة حـرارة هـذا الكـوب مليءٌ بأوجاعـي.

نسيت أني حواء أني مخلوقة من ضلع أعوج، أني مثل القارورة..

أعـترف أني نتـاج مجتمـع شـكلني فقـط حسـب آرائـه، فـإذا ارتديـت حجـابي سـلمت وإذا خلعتـه فقـد ارتـددت. لا يعـرف مجتمعـي أني، ليـلًا قـد أقـود قومـي للانحـلال..

أنا نتاج مجتمع قررت أمهاته أن الجواز هو حلمي الوحيد.. قررت أمهاته لعب أدوارًا كثيرة بدلًا من رجالهن.

كبرت و عرفت أن في دنياي أكثر من تلك الأكاذيب!

أعترف أني اعتدت النسيان و،

تذكرت فقط أن آخذ مكانك يا آدم..

أرسم لك خطواتك، ألملم طموحاتك وأحققها، أواسي أيامك وأمر معها مرار الكرام.

أسوي وأطهي أحلامك وإن مللتَ أنت أخذ أحلامك وأطويها بداخلي و أبدأ يومًا جديدًا، لك و ليس لي!

نسيت أني طفلة لا تحتل البراءة مكانًا في حياتها، أشرب اللبن كي لا أُقحم في النار وأذاكر دروسي خشية لقاء الغولة..

أعترف أني نسيت البقاء، أعترف أني مثل الشجرة لكن تاهت جذورها في عمق نفسٍ تائهة..

أعترف أني وأعترف أني و لكني..

صرت أكره الاعترافات بأني كل تلك الأشياء..

وها أنا الآن، أعترف أني إنسان، يخاف، يتألم، يود اللعب مع الصغار، يعشق الهدوء ولا يخاف أن يخطئ..

أعترف أني لا أعرف الطريق ولكني أرى النور بداخلي..

أعترف أني..

طفلـة، أحـب عِنـدي وكبريائـي وشـغفي وأعشـق تفاصيـل فشـلي، فتلـك الأشـياء شـكلتني..

أعترف بأني كل شيء وعكسه ..

أنا من خفى السر وأنا من بُحت به..

أنا كل شيء كرهته في أشباح أمي مع الاعتراف أني شبحٌ منهم.

أنا من خاف الاقتراب من حلمه و أنا من دفع البشر للأمام..

أعـترف أني هممـت بالاختفـاء مـن حيـاة أصدقـاء حـين صعُـب الفـراقُ.. ولكـن قـد حـان وقـت الرحيـل..

أعترف أني وأعترف أني ،

أنا الماضي والحاضر والمستقبل..

أعترف أني من كلمت ربي فسمعها وبكرمه حقق أمانيها..

أنـا مـن تجاهـد ظـلام بداخلهـا وحولهـا لتشرق حيـاة الصغـار والكبـار لتكتمـل حياتهـا..

أعترف أني الإيمان نبض قلبي..

أني اليوم أقوى، لا أحتاج إلا الله و قلمي

أعترف أني...

****

المربوعة

محسن صالح

أشعة الشمس الحادة تأخذ في الخفوت التدريجي ليحل محلها بدء ظلال العصاري . الرمال الصفراء والتي اختلطت بالتراب تنتشر في محيط المكان وتشي بجلسات مساء صافية أو صاخبة محملة بالكثير من المعاني. التراب يعلو الكراسي الخرسانية المطلة على الجانب الآخر من الطريق الرملي كأنه مدق إلى إحدى الممرات داخل أحد الحقول.. النخلات المطلات على المكان هناك تحمل من البلح الكثير منه من تهدل ويبس كالعظام بل وتهاوى على الأرض كحصوات جرانيتية ومنه من استوى في مكانه تنقره الطيور وتبتعد عنه لتقترب منه في صخب غير حاد يخفف منه بقايا هجير الظهر ومنه ما يزال في سباطته كما هو بلونه الأصفر كلون الرمال عند بوابة المكان الحديدية.

الخطوات إلى المكان صاخبة، اللوحة الخشبية المعلقة ترتج في الهواء وأمام نظراتنا جميعًا بها كلمة واحدة ترن في أذني حتى الآن إنها «المربوعة» نتقبلها ونلوكها كما نلوك باقي الطعام ونحن نتذوق مذاقه. حينما سألت الرجل العجوز الجالس بالقرب من المكان وجدته يضحك ويريني وشمًا في يده أزرق ومكتوب بخط أخضر غامق باسم «المربوعة» وبجوارها

نخلتان. رجل عجوز تفوح منه رائحة الملح والبلح معًا. حرت في فهم معنى الكلمة «المربوعة»، هل هي من كلمة مربع حيث تتساوى أضلاع الخيمة أم أنها «المربوعة» من كلمة الربع أي المكان. أم إنها «المربوعة» أي تساوت قسماتها وسماتها فهي كاملة الأوصاف في التنسيق والتهذيب فلا ترى فيها شيئًا إلا وقد اكتمل؟ ملت في نفسي للمعنى الأخير وصرير قلمي يخط أول نبذة أكتبها في أول تكليف لي في هذه الورشة الهامة .

مرت الساعات سريعة خاطفة وظلال الكلمة لا تزال أمامي، وخطوط الاسم لا تزال تتألق على صفحات كراستي «المربوعة» عدت إلى حيث أسكن وفي رأسي أن أخط الاسم على عدة صفحات وأردده في نفسي عدة مرات. مرت ساعات ثلاث وقلمي لا يتوقف عن الكتابة لدرجة أنني أتممت أربع قصص قصيرة بالتمام والكمال ودونما توقف. بدأت في روايتي القصيرة «نجاة» والكلمات تنهمر عليَّ من كل مكان، والقلم يسرع في خط المشهد تلو الآخر كتدفق المياه من شلال عجيب لا تنفذ مياهه وأنا أتعجب من الحالة التي انتابتني لدرجة أنني فوّت العشاء وكأن طلسمًا سحريًا فرعونيًا تملكني ولا أعرف له سببًا.

استيقظت في اليوم التالي، وبي نشاط السنين كما يقولون، لأجد ضحكات الرجل العجوز الأسمر تملأ وجهه وهو يضغط على كتفي ويسلم على يدي اليمني التي ظللت أكتب بها لمدة سبع ساعات كاملة، وهو يقول:

- البركة في التكرار، لاتتوقف

أهداني العجوز بلحًا حلوًا غريب الطعم لم أتذوقه من قبل وهو يردد:

- هتأكل وتدعي لي..

مـرت الأيـام الثلاثـة في كتابـة مسـتمرة لدرجـة أننـي كنـت أنـام بعـد تنـاول منـوم خـاص بي. لم أرَ العجـوز بوجهـه الأسـمر ثانيـة في المكان إلا حينـما يممـت سيارتنا وجهتهـا خـارج المكان. لوَّحـت إليـه، فرفـع يـده ثـم تـوارى خلـف نخـلات قصـيرات عـن أحـد المنعطفـات ولم أره بعدهـا .

تحسسـت حقيبتـي الصغـيرة وثـلاث مجموعـات قصصيـة تملأهـا وروايتـان قصيرتـان وعـدة مقـالات وظـلال ابتسـامة تمـلأ وجهـي وأنـا أحلـم بالنـشر وحفـلات التوقيـع في معـرض القاهـرة الـدولي للكتـاب ووجـه الرجـل العجـوز الأسـمر يمـلأ عينـي ورائحتـه بطعـم الملـح تزكـم أنفـي.

حينـما حكيـت لزملائـي في الورشـة المهمـة أنكـروا أنهـم شـاهدوا أي رجـلٍ عجـوزٍ، فتشـت في حقيبتـي عـن البلـح فلـم أجـد للعلبـة أثـرًا ولا تـزال حالـة الكتابـة هـذه التـي تلبسـتني في قلبـي وعقـلي أريدهـا أن تعـود مـرة أخـرى ولكـن هيهـات لمـن فـات أن يعـود.

****

تحيـة واجبـة للكاتبـة / هـدى أنـور عـلى المعتكـف الكتـابي الرابـع الـذي عقـد في وادي النطـرون حيـث المربوعـة وهـي الخيمـة التـي ظللتنـا ثلاثـة أيام مـن أهـم وأثمـن لحظـات حياتنـا .

****

عِصمَت

شيرين سعد

قطراتُ المطرِ كانت تتساقط في الخارج قويةً، تُشبه دقَّات قلب إبراهيم المتسارعة. كان مستندًا برأسه على باب غرفة العمليات، لا يعي أي شيء من حوله، منتظرًا وصول مولوده الذي طال انتظاره، أمله الذي طال الشوق إليه. كان يسير ذهابًا وإيابًا ولا يجلسُ على مقعده. مدَّ يده إلى علبة سجائره يريد أن يشعل سيجارته، لولا أنه تذكر في اللحظات الأخيرة أنه في المستشفى، فأزاحها بعيدًا عنه وتمتم:

- همَّ اتأخروا كدا ليه؟

سرح بخياله مسترجعًا اليوم الذي سمع فيه خبر حَمْل زوجته زهرة، هذا الخبر الذي كان ينتظره منذ اليوم الأول لزواجهما. كان يحلم بهذا الولد الذي سيحمل اسم عائلته وسيرث كل هذه الثروة التي ورثها عن أبيه وأجداده، وخصوصًا مصنع النسيج الذي أفنى فيه كل شبابه، لكن هذا الحلم لم يتحقق بسهولة.

وبعد مرور خمس سنوات على زواجهما، ومحاولات عديدة من العلاج في الداخل والخارج، حَمَلتْ زهرة، وتحقق حُلم إبراهيم الذي تمنَّاه كثيرًا، وكان لا يترك زهرة لحظة، ويحثُّها دائمًا على الراحة وعدم الحركة.

ولكـن حـدث مـا لم يكـن يتخيلـه، أصيبـت زهـرة بمـرض الحصبـة ولم يكتمـل حَمْلُهـا، وهنـا أظلمـت الدنيـا في عينـي إبراهيـم، لم يعـد يـرى أي منفعـة مـن العمـل أو ذهابـه إلى المصنـع، سـيترك كل هـذا لمـن؟ أهمـل مصنعـه، حبس نَفسَـه في غرفـة مكتبـه التـي أَسـدَل سـتائرها منعـزلًا عـن كل أقاربـه ومعارفـه، ولم تعـرف زهـرة كيف تُخرجـه مـن حالـة الحـزن التـي سـيطرت عليـه.

شـهور مـرت وهـو غـارق في حزنـه، حريـق هائـل نشـب في مصنعـه انتشـله مـن حزنـه وجعلـه يهـرع لإنقـاذ مصنعـه الـذي يعشـقه، وبـدأ في ترميمه بعـد حادثـة الحريـق وأهمـل زوجتـه، وكان بالـكاد يعـود إلى المنـزل، حتـى أنـه كان يبيت في المصنـع بعـض ليـالٍ.

ثـم عـادت الحيـاة تـدُب فيـه رويـدًا رويـدًا بعـد أن تحسـن وضْـعُ مصنعـه حتى فاجأتـه زهـرة يومًـا بعد عودتـه مـن المصنع بالخبر الذي اشـتاق لسـماعه:

- إبراهيم أنا حامل.

ألجَمَـت المفاجـأة لسـانه، ولم يسـتطع أن ينطـق بكلمـة، وقـام باحتضـان زوجتـه، ولم يسـتطع أن يتمالـك دموعـه التـي سـقطت بغـرازة مـن عينيـه:

- زهـرة مـن فضلـك المـرة دي عايـزِك ترتاحـي خالـص وتقعـدي في السرير، والـلي إنـتِ عايـزاه يكـون عنـدك في ثـواني، بـس إنـتِ متتحركيش.

انتابـت زهـرة موجـة مـن الضحـك، ولكـن لم تحـاول أن تعـترض عـلى أوامـره لمعرفتهـا بأهميـة هـذا الحَمْـل بالنسـبة إليـه.

- حاضر يا سيدي اللي تشوفه.

ومـرت شـهور الحَمْـل بسـلام، وكان إبراهيـم سـعيدًا بهـذا الحَمْـل، وتجـدَّد الأمـل لديـه بتحقيـق حلمـه القديـم بإنجـاب الولـد الـذي سـيرث ثـروة أجـداده. ومـن ناحيـة أخـرى كانـت زهـرة تحلـم بوصـول طفلهـا،

وتدعو الله أن يكون طفلًا مُعافى وبصحة جيدة، وكانت لا تبالي إن كان ولدًا أم بنتًا.

وجاء اليوم المرتقب الذي ينتظره إبراهيم، هاتفته زهرة قائلة:

- تعالَ بسرعة يا إبراهيم، أنا شكلي بأولد.

ترك إبراهيم كل شيء وأسرع لأخذ زوجته إلى المستشفى، متمنيًا من الله أن يَرزقه بالابن الذي يحلم به.

مرت ساعات وأخذ صبره ينفد، حتى جاءته الممرضة تحمل المولود.

- مبروك يا باشا، بنت زي القمر.

- بنت! بنت! إزاي يعني؟

أخذ يصرخ في الممرضة التي ركضت هاربة بعيدًا عنه، مخافة أن يؤذي الطفلة.

خرج مسرعًا من المستشفى، لم ينتظر خروج زهرة من غرفة العمليات ليطمئن عليها، ولم يُلقِ حتى نظرة على ابنته. لم يبالِ بالمطر الذي كان يُغرق الطرقات، لا يرى أين يذهب. انطلق بسيارته بعيدًا عن المستشفى كأنما يحاول أن يفر من قدره الذي لا يستطيع تغييره. طفلة، لقد رُزق بطفلة. ظلَّ يلف في الشوارع دون هُدى حتى أنهكه التعب فذهب إلى منزله، وارتمى على السرير، متمنيًا من الله أن يكون هذا الذي حدث منذ قليل مجرد كابوس سيستيقظ منه.

لم يغادر غرفته طيلة ثلاثة أيام كاملة، ولكنه في النهاية اضطر للذهاب لإحضار زوجته وابنته.

انفرجت أسارير زهرة عند رؤيتها إبراهيم قادمًا لاصطحابها من المستشفى.

- أهلًا إبراهيم، إزيك؟ أخيرًا ظهرت. همَّ في انتظارك علشان تنهي إجراءات خروجي من المستشفى وتطلَّع شهادة ميلاد بنتنا.

رد إبراهيم باقتضاب:

- أنا رايح أهو، وعلى فِكرة أنا هسميها عصمت.

عندما سمعت زهرة هذا الاسم لم تتمالك نفسها، وانفجرت:

- إيه عصمت دا! مش اسم ولد برضو؟

- دة اللي عندي، ومش هغيَّر رأيي.

كتمت دموعها وحضنت ابنتها وأخذت تفكر في مستقبل هذه الابنة التي رفضها أبوها منذ اللحظات الأولى لميلادها.

****

فِرَاق

شيرين سعد

بعد يوم طويل، عاد «عادل» من عمله وقد أنهكه التعب، ليس تعبًا جسمانيًا، ولكن من كثرة التفكير ومحاولة استيعاب الذي حدث بالأمس بعد مشاجرته مع زوجته «منى». كعادتهما لم يصلا إلى حل لمشكلتهما، فالتزما الصمت وذهب كل منهما في اتجاه. منى ذهبت لمشاهدة التلفاز وهو ارتمى على السرير وراح في سُبات عميق، وعندما أستيقظ في الصباح التالي وجد منى قد سبقته إلى عملها، ولم يُبالِ كثيرًا لذلك، بل العكس تمامًا، فقد ارتاح من المواجهة التي كان يهرب منها، وقرر أن يتركها لتهدأ كعادتها بعد كل شِجار بينهما.

وبعد انتهائه من عمله، عاد إلى منزله ووجده غارقًا في الظلام، والصمت يحيطُ بالمكان، ولم يفهم لماذا لم تعد منى حتى الآن من عملها؟

أخذ يُنادي:

- يا منى.. يا منى، أين أنتِ؟

ولكنه لم يحصل على إجابة لسؤاله. ذهب إلى غرفة النوم وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها، ثياب منى اختفت. بُهتَ للحظة في مكانه، لم يعرف ماذا يفعل. جلس على حافة الفراش ووقعت عيناه على ورقة

مطوية على وسادته، فتحها بسرعة ولم يجد غير كلمة واحدة «لا تبحث عني».

لم يصدق عينيه، وقرأ الورقة مرة ثانية، وهو مذهول، أيُعقل هذا؟ أين ذهبت منى؟

- هيَّ أكيد راحت لمامتها، وبتدلَّع على علشان أصالحها.

ثم قام يبحث عن جهازه المحمول، وطلب منى، ولكن وجد تليفونها خارج نطاق الخدمة، ثم تحدث إلى والدتها التي أكدت له أنها لم تتحدث معها اليوم.

أخذ يبحث عنها في كل مكان، سأل كل أفراد عائلتها، أصدقاءها، حتى زملاؤها في العمل، اندهشوا من سؤاله لأنها لم تحضر إلى العمل اليوم، الجميع ردهم كان واحد «لا نعلم عنها شيئًا».

هل تركته منى بعد كل هذا الحب الذي جمعهما؟ بعد كل هذه العِشرة؟ مستحيل أن يحدث هذا، عقله رفض أن يستوعب هذا الأمر.

قصة حبهما كانت محل حديث كل الأوساط العائلية، عشر سنوات من السعادة، لا، تسعة فقط، هذه السنة العاشرة كانت مليئة بالشِجار وعدم التفاهم.

كل الذي جمعهما كانت العِشرة. بحث عن الحب داخله وجده فاترًا، موجودًا ولكنه هزيل، حاول أن يتذكر متى كانت آخر مرة قال لمنى إنه يحبها أو حتى متى تبادلا أي حديث حميم، ولكنه لم يتذكر.

تسرب الحب من بين أصابعهما دون أن يدريا، الحياة الروتينية والعمل والشجار بسبب ودون سبب أضاعوا حبهما.

الحب يحتاج إلى الارتواء، إلى الكلمة الحلوة، إلى اللمسة الحانية، إلى الاهتمام، إذا لم نهتم بالحب سيضيع تحت أنقاض الإهمال.

نـام في مقعـده وهـو لا يـدري مـاذا سـيفعل غـدًا. استيقظ فجـأةً عـلى صوت المـؤذن مناديًـا لصـلاة الفجـر، قـام ليصـلي وأخـذ يُناجي ربـه داعيًـا أن يجد منى في القريـب العاجـل.

أضنـاهُ البحـث عـن منـى الأيـام التاليـة، كان سـيُجنْ لعـدم معرفتـه أيـن ذهبـت، هـو لم يتخيـل هـذه اللحظـة، ولكنـه في أعـماق قلبـه كان يعلـم أنهـا ستعود يومًـا، هـو واثـق أنهـا ستعود، يجب أن تعـود. ولمـاذا يجب أن تعـود؟! هـو أضاعهـا بسـبب إهمالـه لمشـاعرها وبسـبب انغماسـه في حياتـه الخاصـة «الأصدقـاء، البـلاي ستيشـن، عملـه»، وأيـن كانـت منـى مـن كل هـذا؟ لا، مسـتحيل، سـتعود، يجـب أن تعـود إليـه، إلى حياتهـما، كل شيء سيكون عـلى مـا يـرام عندمـا تعـود.

ستعود، هو متأكد من عودتها إليه. ستعود.. ستعود.

****

بعد الأوان

عبد المنعم فوزي

وقف مزهوًّا أمام مكتب التمريض الذي يشغل هذا الحيز في مُنتصف الممر الطويل المليء بغرف المرضى وبجواره ثلاثة أطباء من أعمار مختلفة. هنا يشعر بنفسه وبسطوته التي تَظهر جَلية في توزيعه للأدوار وإلقاء الأوامر على الأطباء وطاقم التمريض. ربما لم يكن هؤلاء الأطباء الثلاثة أصغر منه سنًا بشكل ملحوظ، بل إن أحدهم كان زميله في نفس الدُفعة، ولكن أخيرًا استطاع أن يستمتع بما كان يومًا يمقته، يستمتع بالأقدمية المُطلَقة سواء في التعيين أو في الحصول على شهادة، وهو بعد أن نجح في الحصول على شهادة الماجستير في الجراحة بدأ يشعر بأنه الأهم في هذا المكان ما دام الاستشاري غائبًا كما اتفق.

- دكتور حسام، أنا مش قُلت الحالة بتاعة غرفة ٦٠٤ تتحضر عمليات لستة بكرة؟ ممكن أعرف عرض التخدير متمش لحد دلوقت ليه؟ ولا هوَّ خلاص إحنا هنقضي النبطشية دلع وتهريج مع التمريض وخلاص؟!

جاءه رد الدكتور حسام مبرِرًا:

- يا محمود أنا بلغت التخدير تلات مرات بس الضغط عليهم جامد النهاردة، وهمَّا اتنين بس شايلين المستشفى كلها.

- أولًا اسمي الدكتور محمود، ثانيًا شغل الزحلقة بتاع التخدير دا يدخل عليك إنتَ، تخلص المطلوب منك يا بيه قبل الساعة تمانية وتتصرف، إلا لو كنت عايز تطبَّق يوم كمان، واللي أقوله يتنفذ، مش عايز حِجج فارغة.

قالها ولم ينتظر ردًا، وترك جماعتهم دون أن ينظر إلى ردود أفعالهم التي لا تعنيه ولا يهتم بها أصلًا، تاركًا زميله حسام الذي تعمد إهانته بهذا الأسلوب الفج يحوقل متعجبًا من تبدُّل حال هذا الشخص الذي يتحول إلى حَمَل وديع عند ظهور من هو أكبر منه سنًا أو منزلة. شعر باهتزاز هاتفه فالتقطه ليجيب على والدته وهو يسير مستكملًا مروره داخل مملكته المزعومة. هذا الاتصال الذي كثيرًا ما لا يجيب عليه بحجة انشغاله.

- أيوة يا حاجة، إزيك؟

- أيوة يا محمود يا حبيبي، عامل إيه في الشغل؟

- أهو ماشية يا حاجة، مطحون كالعادة، خير فيه حاجة؟ مش عوايدك تكلميني دلوقت، ما أنا لسة نازل من البيت من ساعتين تلاتة!

- عمك حسين تعب تاني ونقلوه المستشفى.

- إيه الجديد يعني؟ ما هو الحاج حسين بقى تعبان على طول.

- أبوك عايز ينزل يروح له النهاردة ضروري.

- يروح فين بس؟! هو بقى قادر يتحرك يروح لحد بنها بالموصلات.

- يا ابني هو كدا ولا كدا هيروح. ما إنتَ عارف دماغه، وبعدين دا أخوه الوحيد اللي فاضله، ما أنا بكلمك من وراه عشان تروح معاه، هو قال لي متشغليش محمود عشان مشاغله كتير وربنا يعينه.

- طب ما عنده حق. أروح فين وآجي منين بس؟ وأسيب الهم اللي عندي دا لمين؟

- يا ابني ماهو دا ظرف طارئ، وبعدين هوَّ يعني مفيش دكتور غيرك ولا حد من زمايلك يغطيك الكام ساعة دول.

- كام ساعة إيه بس؟ أنا دكتور يا حاجة مش واقف في محل. عمومًا أنا مش هعرف أسيب الشغل النهاردة خالص.

- براحتك يا محمود، ربنا يقويك يا ابني وينولك اللي في بالك، بس بالراحة على نفسك يا ابني شوية، مش هناخد إلا اللي من نصيبنا ومش عايزاك تنسى نفسك وتنسى حياتك وتضيع اللي في إيدك وتفضل تجري في الدنيا كدا.

صمت محدثًا نفسه: «ابتدينا بقى المحاضرات، الكلام اللي يجيب ورا».

- حاضر يا حاجة، سلام بقى عشان عندي شغل.

استكمل طريقه إلى غرفة العمليات، حيث كان ينتظره مريض لإجراء جراحة الزائدة الدودية، استبدل ملابسه ودخل إلى منطقه غرف العمليات مسرعًا لا يُلقي بالًا لتوجيه إحدى الممرضات عن إهماله لبس غطاء الشعر والماسك قبل دخوله غرفة العمليات، مشيحًا بوجهه ومتمتمًا بصوت تعمد أن يكون مسموعًا:

- محسساني إننا في مايو كلينيك! إحنا في مستشفى حكومة يا ماما، خلينا نخلص، دا هيَّ كلها زايدة، هو أنا داخل أشتغل قلب مفتوح!

دخل إلى غرفة العمليات بعد غسيل سريع للأيدي، أشار له طبيب التخدير باقتضاب ظاهر:

- اتفضل يا دكتور محمود، إحنا جاهزين.

انتهى من الجراحة سريعًا، لا يَعتبر استئصال الزائدة الدودية جراحة تحتاج لأعشار مهاراته التي اكتسبها سريعًا رغم صغر سنه، خبرات اكتسبها على حساب كل شيء، فتحول إلى كائن جُلَ همِّه تحصيل العلم واكتساب المهارات مُلقيًا وراء ظهره كل شيء بدءًا من علاقته بأصدقاء العمر إلى حتى وجوده بجوار والديه كبيري السن اللذين رُزقا به بعد طول حرمان واعتبراه من وقتها كل حياتهما، لم تحدث يومًا منهما شبهة تقصير ولا وصف كافٍ يُعبر عن الإيثار لشرح ما كانا -ولا يزالان- يفعلانه ليصبح ما هو عليه الآن، حتى مكافأة نهاية الخدمة لوالده الموظف الحكومي اُستغلت لشراء سيارته رغم أنه قد أصبح «دكتور قد الدنيا» كما تقول والدته دومًا، وأصبح دخله كافيًا ويزيد لشاب مثله غير مسئول إلا عن نفسه.

- الدكتور محمود عبد الصمد؟ التوجه للطوارئ للأهمية.

سمع النداء في الإذاعة الداخلية عند خروجه من غرفة العمليات وتوجه مهرولًا إلى الطوارئ، وبمجرد اقترابه وجد هرجًا ومرجًا شديدين، مشهد معتاد ومتكرر في هذا المستشفى القريب من عدة طرق ومخارج للقاهرة، هذا الاعتياد على استقبال حالات الحوادث الذي أصابه وغيره من الأطباء بشيء من اللا مبالاة لرؤية سيارات الإسعاف تتوالى على المستشفى لتُلقي ببعض الأجساد وتفر مسرعة لإحضار البقية.

سأل سريعًا:

- الحادثة دي إيه بالظبط؟

جاءه ردٌ مقتضب من أحد أفراد طاقم التمريض، لم يهتم أو يلتفت للمجيب:

- ميكروباص اتقلب في أول الزراعي.

بدأ بالتعاون مع زملاء التخصصات الأخرى المتواجدين، في محاولة لتنسيق وتنظيم العمل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وترتيب أولويات التدخل السريع.

مر سريعًا بنظرِه على الحالة وبدأ في التعاون مع الأطباء والتمريض في إسعاف شابة تبدو في درجة وعي جيدة، وتركها بعد أن وجد أن إصابتها بكسور متعددة تُخرجها من دائرة اهتمامه فهذه مسئولية أطباء العظام.

- ده واصل ميت يا سعد، بُص على اللي لسه داخل.

- اتنين كانيولا بسرعة ومحاليل ملح.

- الأشعة الأول وبعدين نبقى نشوف الجروح اللي محتاجة خياطة.

كلها أصوات متداخلة ترِن في أذنيه، يدور في المكان الذي تحول في دقائق لساحة معركة منتهية.

- دكتور محمود، في راجل كبير على الترولي برة مفيش سراير فاضلة، الراجل ضغطه بيقع.

ذهب مسرعًا لخارج الغرفة ليجد رجلًا سبعينيًا بملابس ممزقة، اختلط سواد الأرض بحمرة الدم على قميصه الأبيض أو بقاياه، لم يتبين ملامح الرجل في البداية وعندما اقترب وجده هو؛ أباه.

مرت حياته كاملة أمام عينيه في لحظات بقي فيها مُتجمدًا كمن لم يُسعف مريضًا من قبل، قبل أن يضع يده أعلى رسغ والده بيد مرتعشة مُتمنية أن تجد أملًا.

- يا حاج، أنا محمود يا حاج، أنا ابنك يابا، كلمني يا أبويا.

نظرة منه على الوجه المتغضن الذي يملؤه الألم، ومُغمض العينين يكسوه هذا الشحوب الذي يعلم معناه جيدًا.

بدأ المُسعفون وزميله حسام بالتدخل ومحاولة إيجاد أي موضع لتركيب محاليل وريدية عندما وجدوه مُتسمرًا لا يقدر على فعل شيء غير إبقاء قبضته المتحجرة على يد والده ومحاولاته المُضنية للحديث معه وحمله على استعطافه للرد.

- خلِّي بالك من أمك يا محمود.

أطلقها الرجل بوهن ووضوح قبل أن يغلق عينيه اللتين جاهد أن يفتحهما لوهلة، ليُلقي على ابنه النظرة الأخيرة.

****

عبد العاطي

عبد المنعم فوزي

أنهت أعمالها اليومية المعتادة، ودخلت إلى غرفة النوم الوحيدة بالمنزل لتبديل هذا الجلباب، الذي تستخدمه لإنهاء أعمال هذا البيت المتواضع، لترتدي الجلباب الآخر، لا تملك غيره بالإضافة للعباية السوداء التي تستخدمها للخروج، سواء لزيارة المدينة أو حتى في المناسبات. كانت ستينية، وإن كان جسدها الهزيل ووجهها المتغضن يُضفي عليها سنًا أكبر. لمحة جَمال برئ أخفتها الهموم والمسئوليات، ألقت نظرة بدت سريعة على الصورة المعلقة بجوار الباب، ولكنها نظرة تكفي أن تملأها بكل ما يرضيها من ذكريات وفخر وعزة نَفس يعرفها عنها الجميع. خرجت لتجلس على المصطبة الصخرية أمام هذا البيت المتواضع الذي تبقى لها بعد كل هذا العمر من الكَد. تحبه رغم صغره الشديد وتحب هذه الجلسة التي لا يجد فيها نظرها إلا فراغًا مليئًا بخَضار مخلوط بلون تَفتُّح ثِمار القطن الأبيض. تعشق هذا الوقت من اليوم، الذي يسبق الغروب، تعشقه رغم ما يحمله لها من إحساس أنه يمثلها بكل تفاصيله. هل أصبحت في هذه المرحلة من حياتها؟ حتى وإن كان، ما يضيرها؟ لقد أدت ما عليها كاملًا بنفسٍ راضية ونجاح تام. ألم يأنِ الوقت لتحقيق ما تتمناه منذ أكثر من أربعين عامًا؟ ألم يحِن وقت اللقاء مع محبوبها؟ هذا الإنسان الذي

انتقلت إلى بيته طفلةً لم تكن تعرفه ولم تره إلا مرة واحدة قبل زواجها منه. عبد العاطي أو سي عبده كما كان يحب أن تناديه. تزوجته فلاحًا تعلَّم حتى حصل على الدبلوم الزراعي حتى يكون فلاحًا كما يريد ويتمنى. كان يعشق أن يُتقن كل شيء وأهمها إتقانه الاعتناء بها وحبها. لم تكن تعلم أي شيء. كانت طفلة، سنًا وعقلًا وخبرةً في الحياة، كانت الأخيرة في منزل أبيها المُسِن، وتحولت حياتها لكل شيء جميل بعد زواجها من عبده. علَّمها كل شيء، علَّمها القراءة والكتابة، أعمال المنزل، وقطعة الأرض الصغيرة التي كان يستأجرها يقومان بها سويًا. لم يكن يومًا ثريًا أو حتى ميسور الحال، ولكنهما دومًا كانا مستورين، والأهم، كانت السعادة التي تعيشها مع مثل هذا الإنسان، لم تشعر يومًا بمجرد ضيق من تأخرها في الإنجاب، وكان دائم القول:

- يا ست الستات إنتِ كفاية عليَّ، مش عايز حاجة من الدنيا غير إني أكمل حياتي معاكِ.

لم يكن يُحزنه أو ينغص جلسته إلا ما يقرأه في الصحف التي لم يتوقف يومًا عن متابعتها، وكانت ثورته المكبوتة عندما يذكره أحد أو خبر بما حدث من سنوات قريبة. منذ بدء زواجها تشعر أن عودته من فترة التجنيد دون المشاركة في الحرب هي نقطة ضعفه وسبب ألمه، فقد كان أثناء حرب ١٩٦٧ في نهاية فترة تجنيده، ولعلاقات عائلته يخدم في القاهرة بعيدًا عن الأحداث، وكان ممن تم تسريحهم رغم طلبه الاستمرار، ظلت هذه فترة غامضة لم يكن أبدًا على استعداد لاستعادة ذِكراها أو التحدث في أحداثها.

شعرت وهي تتذكر، أنها قضت معه عمرًا كاملًا. نعم هذه هي الحقيقة، رغم أنه بحسابات الزمن لم تقضِ معه سوى ثلاثة

وعشرين شهرًا. شعرت بحملها قبل نهاية هذه الأشهر، شعرت بهذا الحلم ينمو داخلها، وأخبرته بأسعد أخبارها، وقابلها بفرحة شابَها الاضطراب. كان لتوه عائدًا من زيارة المدينة التي تكررت زيارته لها على غير العادة. لاحظت فرحة تملأ ملامحه حتى قبل أن تخبره، حتى ظنت أنه علِم بالخبر من أختها التي رافقتها للوحدة الصحية، ولم يطل أمَد عدم قدرتها على تمييز سبب النور الذي كان يملأ ملامحه عند دخوله البيت أو سبب فرحته المضطربة عند إخباره. تتذكر كلماته التي مر عليها أربعة عقود، بل تتذكر تعبيرات وجهه:

- أنا اتطوعت في الجيش، وهسلم نفسي في الإسماعيلية يوم الخميس الجاي.

قالها بغبطة واضحة لم يؤثر فيها إلا قلق مفاجئ على ابنه الذي علم للتو أنه في الطريق إلى الحياة، قلق لم يؤثر على فرحته، أخذها بين ذراعيه لمدة شَعرَت أنها دهرٌ.

انسابت من عينيها قطرات سلسة جعلتها تشعر تمامًا بنفس ما شعرت به في هذا اليوم منذ سنوات طويلة، اختلاط مشاعر عجيب بين فرحة لفرحِه وانقباضة في أحشائها لا تدري أهي ممن بدأ ينمو برحِمها؟ أم هو خوف مما هو قادم؟

توقف تفكيرها للحظات، وتوقف سيل الذكريات كأنها تأخذ هُدنة للراحة من عناء كل هذا.

شاهدته قادمًا من بعيد، عبد العاطى، حفيدها الذي تبقى لها من هذه الدنيا بقامته الفارعة، تعرفه من مشيته التي تشبه مشية جده. يشبه جده في كل شيء، نعم كانت تتمنى أن يشبه جده، ولكن هيهات،

لا يشبه أحد سي عبده حتى لو كان حفيدها الذي تبقى لها في هذه الدنيا، بعد أن سافر وحيدها إلى الخليج بعد وفاة زوجته، وبعد أن ترك لها عبده الصغير طفلًا، وبعد أن انقطعت أخباره تمامًا حتى عادت هذه الأخبار مرة أخيرة بسفره إلى أفغانستان وانضمامه إلى جماعات لم تكن تعلم عنها شيئًا، وحتى عندما حاولت أن تفهم جاءت المعلومات متناقضة. أحيانا تجدهم يقولون إنهم مجاهدين في سبيل الله يقاتلون الكفار ويسعون لرفعة شأن الإسلام ويدافعون عن أرضه، فيصيبها الفرح والنشوة حين تشعر أن وحيدها يستكمل طريق والده، وأحيانا أخرى تجد من يتحدث عنهم كإرهابيين متطرفين يفسرون دين الله على أهوائهم ويقتلون الأبرياء.

مرت عليها فترات عصيبة تتحسس فيها أي أخبار عن وحيدها التي فقدته هو الآخر، هل هو فراق الأحباب؟ هل هذا ما كُتب عليها في هذه الدنيا؟ هل هناك فراق آخر ستجبرها الحياة عليه؟

وقف أمامها عبد العاطي مبتسمًا:

- إيه السرحان دا كله يا ستي؟ أنا واقف قدامك بقالي شوية وإنتِ في ملكوت تاني، رُحتِ لحد فين؟

انحنى لتقبيل رأسها ويدها كما اعتاد أن يفعل، ابتسمت:

- مروحتش في أي حتة يا ضنايا. كنت قاعدة مستنياك يا غالي يا ابن الغالي، حمد الله على السلامة يا حبيبي.

نظرت له نظرة يملأها الحنان والحنين والفخر، الحنين له ولأبيه وجده، والفخر الذي بثه بداخلها زيه الميرى:

- طمني عليك يا حضرة الصول، عملت إيه؟

– صول مرة واحدة! يا ستي دا أنا حتة عسكري عادة.

رد عليها حفيدها بضحكة مرحة أطلقها.

– عـادة ولا مخصوص ميفرقش معايا. دا إنتَ عسكري حفيد الصول عبد العاطي البطل.

– رجعنا بقى تاني للذكريات.

– اتلـم يـا واد، هـو إنتـو كنتـوا هتبقـوا بنـي آدمـين أصـلًا مـن غـير الذكريـات الـلي مـش عاجبـاك دي.

– ماشي يا ستي، على عيني وراسي.

كان زيّـه يذكرهـا بحـب عمرهـا، الرجـل الـذي لم تـر مثلـه، والـذي تتأكـد كل يـوم أنـه لا يوجـد حتـى مَـن يقـترب مِـن أن يكـون مثلـه. يذكرهـا اسـمه المُعَلق عـلى زيّـه بهـذه القطعـة المعدنيـة التـي اسـتلمتها عنـد إعلامهـا بخـبر استشـهاده، وبشـهادة التكريـم التـي حصلـت عليهـا والتـي وضعتهـا بجـوار صورتـه. تذكـرت مـن زارهـا مـن زمـلاء الشـهيد لتعزيتهـا ومـا حكـوه عـن بطـولات الشـهيد التـي لم يـروا أو يسـمعوا مثلهـا، هـذه الحكايـات التـي لم تدهشـها لأنهـا تعلـم جيـدًا أن هـذا هـو حبيبهـا وهـذا مـا تعلمـه عنـه. حكايـات ظلـت ترددهـا في ذهنهـا حتـى حفظتهـا بـل وشـعرت أنهـا عاشـتها ورأتهـا بعينيهـا. حكايـات حَكَتهـا لابنهـا وحفيدهـا مـرات ومـرات، لأنهـا شـعرت أنـه ليـس هنـاك مـا هـو أفضـل لتربيتهـم مـن أن تحكـي عـن هـذا الرجـل وعـن كل حياتـه.

لم تشـعر بـأي خـوف أو رهبـة عندمـا تـم اسـتدعاء حفيدهـا للتجنيـد، ليـس لأنهـا كانـت فـترة سِـلم معلـوم ومتوقـع اسـتمراره، حتـى رغـم علمهـا بانخـراط الجيـش في محاولـة للسـيطرة عـلى هـؤلاء الذيـن يُطلـق عليهـم إرهابيـين، وإنـما كان اطمئنانُهـا يرجـع لقناعتهـا التـي تكونـت

على مدار السنوات بأن الحذر والخوف والقلق لن يمنعوا الفراق، ربما حتى أنها تمنت أن يشارك حفيدها في عمل مهم يقوِّي من عوده ويشعره بأهميته ويملأ نفسه بالعزة التي تعلم جيدًا أنها تُكتسب ولا تُورث. قامت بما استطاعت مع حفيدها، ربما لضيق الحال واحتياجه للعمل مبكرًا، لم تستطع أن تجعله يصل لأعلى مراتب التعليم كما كانت تتمنى ولكنها لن تنسى أنها استطاعت إنقاذه عند انخراطه في الالتزام بحضور دروس في مسجد القرية المجاورة عندما لاحظت عليه تغيرات أضاءت لديها إشارات الخطر، خوفًا من أن يسير في طريق والده التي لا تعلم إلى أين أو كيف انتهى. كانت فترة عصيبة أن تتعامل بما تملك من خبرات ووحدها مع شاب في هذه السن وكيف تُبعده عن هذا الطريق، رغم اضطراب تفكيرها الشديد بين ما هو صحيح وبين ما هو أمان، وبين أنها تتمنى أن يظل حفيدها ملتزمًا قريبًا من ربه وفي الوقت نفسه بعيدًا عن طريق لا يعي عقلها وثقافتها وخبراتها مدى صوابه، ولكنها استطاعت في النهاية أن تسير بحفيدها في الطريق الآمن، حتى لو كان ذلك على حساب أشياء تمنت أن تُنشئه عليها.

- رُحتِ فين تاني؟ إيه موضوع السرحان دا؟ إنتِ عجزتي يا حاجة شكلك كدا.

انتزعها حديث عبد العاطي من تفكيرها:

- سيبك مني، واحكي لي بقى اتوزعت فين وعملت إيه التلات أسابيع اللي فاتوا؟

- اتوزعت يا ستي مع ظابط.

- مع ظابط؟! يعني إيه يا ابني مع ظابط؟ همَّ مش الناس في الجيش كانوا بيتوزعوا على منطقة وسلاح والكلام ده؟

- أيـوة يـا سـتي، مـا أنـا اتوزعـت في الجيـزة هنـا، والحـاج قاسـم بتـاع المجلـس المحـلي كان مـوصي عشـان عـارف الظـروف ربنـا يكرمـه، فاتوزعـت عسـكري مـع سـيادة العميـد في وحـدة قريبـة.

- أيوة يعني مع سيادة العميد دا بتعمل إيه؟

- أبـدًا والله، شـغل زي الفـل، بقعـد عـلى بـاب المكتـب وأعمـل لـه هـو وضيوفـه شـاي وقهـوة، ولمـا بـيروح بسيَّق المكتـب ودورة الميـة، وببـات في الوحـدة. وسـاعات بيبعتنـي مـع زميـلي السـواق نـودي حاجـات البيـت ونشـوف طلبـات الهانـم والـولاد. بـس كـده.

اسـتمعت لـه وشـعرت أن مـا ذكـره في لحظـات مـر عليهـا كدهـر، مـر معـه شريـط حياتهـا كامـلًا بأحداثـه، شـعرت معـه بانقباضـه في صدرهـا، قامـت مـن مجلسـها صامتـة إلى الداخـل، أغلقـت بـاب الـدار خلفهـا متجهـة إلى فَرشـتها بـرأس خاويـة لا تسـتطيع التفكـير في أي شيء، إلا أن تسـتلقي عـلى فِراشـها تنتظـر النهايـة التـي تتمناهـا، والتـي لم تـرجُ أن يسـبقها مـا تشـعر بـه الآن.

****

بكُلِ سرور..

صلاح عبد الله

«محطة القطار من فضلك»، رفع الأستاذ سرور صوته لكي يسمعه سائق الميكروباص الذي رد عليه ردًا روتينيًا «حاضر يا باشا، حضَّر نفسك». وقد كان الأستاذ سرور قاصدًا محطة القطار حيث السفر للمقر الرئيسي لشركته لتقديم تقريره السنوي عن مُجمل مساهمته في العمل للعام الماضي إلى الادارة، والحصول على التقييم الخاص به. كان يجلس في آخر صف في الميكروباص، وسط ثلاثة ركاب آخرين، ليس بالنحيف ولا بالممتلئ، ولكنه كان محشورًا في مكانه، وبذل بعض الجهد لكي يحضِّر نفسه ويغادر موقعه. كان لديه من الذوق العام ومراعاة الإحساس، ألا يدهس لراكب قدمًا أو يطرف له عينًا بالمظروف الورقي الكبير الذي يحمله في يده، فقام مُقوسًا من جلسته خافضًا رأسه كي لا يصطدم بسقف العربة، وتخطى موقعه ثم تحرك جانبًا بنفس الوضعية، فتجاوز الصف الذي أمامه ثم استقر وهو شبه كاتم أنفاسه موجهًا رأسه لأسفل كي لا يؤذي من يواجِه وجهَه، واستند إلى الباب الجانبي للعربة متأهبًا ومنتظرًا لحظة الوصول، وبدا له أن الدنيا أوشكت أن تُظلم وهو يشعر بنقص الأوكسجين في هذه المساحة الضيقة فقاوم وتماسك، وأخيرًا توقف السائق وأعلن عن وصول الميكروباص لمحطة القطار. وفي نفس الوقت كان الأستاذ سرور تناول

ليان للنشر ولتوزيع

مِقبض الباب ففتحه ونزل وهو يشكر السائق ويغلق الباب خلفه.

بمجرد نزوله، قارب ما بين حاجبيه ليخفف من حدة الضوء النافذ إلى عينيه بعد الظلمة التي كان غارقًا فيها منذ ثوانٍ، ثم التفت يمينًا ويسارًا ليتبين موقعه، فجال ببصره جولة دائرية حتى استقر بصره على مبنى محطة القطار والساعة الكبيرة التي تحتل أعلى المبنى، وتمَّمَ على ساعة يده ليتأكد من تمام توقيته، فتبسم وتوجَّه إلى المبنى وهمَّ ببدء الرحلة.

وضع الأستاذ سرور يده في جيبه، وأخرج التذكرة الورقية التي كان قد أتمَّ حجز الرحلة بواسطتها حينما اشتراها بالأمس، وكان توقيت رحلته في الثامنة صباحًا. ساعة المحطة كانت تشير إلى الثامنة إلا الثلث، وما كان قطاره قد وصل بعد. لا يزال أمامه متسع من الوقت، فانتهزها فرصة وأخذ يتمشى قليلًا في أرجاء المحطة متأملًا تلك اللوحة الحية النابضة بالإيقاع والحياة. أول ما وجَّه إليه نظره هو الأعلى، فنظر إلى السقف ووجده مصنوعًا من ألواح زجاجية كبيرة تسمح بنفاذ الضوء وتجنِّب المسافرين حرارة الشمس، ثم لفت انتباهه أن السقف نظيف، مما يوحي بمجهود من عمال الصيانة. نزل ببصره إلى الجدران التي تزينها لوحات جميلة من مناظر طبيعية ولوحات أخرى لبعض أنماط القطارات وعربات الجر العملاقة، وهنا انتبه للصخب الناتج عن حركة الناس أنفسهم. المسافرون من هنا وهناك، وهرولتهم وسعيهم ما بين جيئةً وذهابًا. ضجيج الناس حوله وتداخُل كلمات الحوار حوله أعطياه مزيجًا مدهشًا من الفرحة والتأمل في نفس الوقت. استفاق من بحر أفكاره على نفير قطار قادم إلى الرصيف الواقف عليه، فتهلَّل وجهه، وهو يتأكد من رقم القطار المكتوب في مقدمته مع الرقم المكتوب في تذكرته، فلما تطابقا أخذ يشد على المظروف

الورقي الذي بحوزته وانتظر خلو القطار من الذين وصلوا، ثم اتخذ خطواته ليصعد دَرَجه ويحشر نفسه مع الذين سيرحلون.

مع دقات الثامنة تمامًا، انطلق الصفير المميز للقطار، وتحرك بتؤدة أولًا ثم شيئًا فشيئًا، أخذت سرعته تتزايد حتى استقرت على سرعة كبيرة، ولم تزد بعدها ولم تقل. ومضي الوقت متشابهًا وهو ينظر من النافذة، فعيناه تقعان على القضبان الحديدية المقابلة لاتجاه سفره، ولقطات متتابعة سريعة بسرعة الحركة، فكأنه يحدث نفسه، ويقول صامتًا بداخله «زرع، شجر، أرض خضراء، أنواع مألوفة من أشجار الخضر أستطيع التعرف عليها، ساقية وعليها جاموسة تدور حولها مُغمية العينين، وبيوت متفاوتة الارتفاعات، غبار متطاير وبعدها بثانية سيارة محملة بأقفاص الفاكهة، مصرف مائي وبعده ترعة أكبر حجمًا، أعمدة الكهرباء وبرج إرسال لشركة محمول. وسرحت بأفكاري في حالي، فأنا سرور مجاهد، أعمل محاسبًا في شركة مصرية ذائعة الصيت في مجال الإلكترونيات والأجهزة الكهربائية، في فرعها بإحدي محافظات الوجه البحري، لا أدَّخر جهدًا في عملي وعليه فإن تقييمي سنويا «جيد جدًا»، ومن ثم استحقيت تجديد عقدي لثالث عام، وبقيت في موقعي حتى أن طموحًا مشروعًا بدأ يتنامى في مخيلتي لكي أنتقل إلى الفرع الرئيسي لمقر الشركة في العاصمة، حيث التدرج الوظيفي والمكانة الاجتماعية، وذيوع السمعة على مستوى الشركة كلها، ومن يدري؟ لعلِّي أصل إلى منصب المحاسب الخاص للسيد صاحب الشركة كلها».

تك تك تك، انتبه سرور من خيالاته وشلال أفكاره على طرقعة مفتش التذاكر وهو يطالبه بالتحقق من تذكرته، ناوله سرور التذكرة وهو يسأله عن المسافة المتبقية لنهاية الرحلة. تأكد المفتش من صحتها

ورد عليه قائلًا وهو يعيد إليه التذكرة أنه يتبقى محطتان أو حوالي ساعة، فشكره سرور، وعدَّل من وضع جلسته، وتمَّم مرة أخرى على المظروف الورقي الذي يضعه على رِجله، وتحسس ما بداخله من مجموعة أوراق، وكأنه يؤكد لنفسه ما يحويه من تقارير عن مُجمل أعماله التي أنجزها خلال العام السابق، وعدَّد الدراسات التي أجراها، ومُجمل التقارير المحاسبية والإحصاءات الخاصة بالمنتجات، ومجموعة أفكار مما ساهم بها لتحسين وزيادة الدقة في العمل ونتائجه، وتذكر أيضًا أنه أرفق مع مجموعة الأوراق خطاب الشكر الذي حصل عليه من موزع كبير كان قد أرسله لإدارة الفرع شكرًا له وعرفانًا بقدرته على تذليل عقبات العمل وابتكار حل لمشكلة طرأت أثناء التعامل، ثم ابتسم في زهوٍ، فقد تحسس طرف شهادة إتمام دورة تدريبية في المحاسبة باللغة الإنجليزية، وقد راوده إحساس ما، أن هذه الورقة تحديدًا قد تكون أهم ورقة في تقريره السنوي هذا العام. عند هذه النقطة استشعر هدوءًا نسبيًا في سرعة القطار، ثم انتبه أنه يقلل من سرعته تدريجيًا، فأدرك أنهم مقبلون على محطة للتوقف. وبالفعل أبطأ القطار أكثر وأكثر حتى بدا صرير المكابح واضحًا وتفريغ ضغط الهواء بات مسموعًا جليًا، وتوقف القطار تمامًا، فقام من جاءت محطته وحان دوره وخرج من القطار، كلٌ قاصد وِجهته، وبعد ما هدات حركة النزول بدأت للتو حركة الصعود إلى القطارمن الركاب الذين كانوا ينتظرون ليُحملون إلى وِجهاتهم. وها هي الوجوه تتبدل والأبدان تتغير ويبقى القطار في مكانه ساكنًا لعدة دقائق أخرى ثم يعاود النفير انطلاقه معلنًا مواصلة الرحلة، وتنتاب القطار هزَّة بداية الحركة، فتخطف القلب لجزءٍ من الثانية، ويذهب هذا الإحساس بسرعة بعد ما يذوب في إيقاع القطار الذي يبدأ هادئًا ثم يأخذ في

التصاعد حتى تستوي السرعة ذاتها ويطوي الأرض تحت قضبانه طيًا، فيقربه إلى مقصده ويدنيه من هدفه ليستكمل رحلته.

«شاي أم قهوة أم مشروب بارد؟»، مر عامل البوفيه بجوار الأستاذ سرور وهو يدفع عربة الشاي والقهوة، فطلب منه سرور كوبًا من الشاي. انتظر قليلًا حتى تهدأ سخونته لكي يشربه. أخذ يتأمل في وجوه المسافرين من حوله، نظر للجباه ونظر إلى العيون، تعجب من اختلاف الشكل واللون، واستغرب أكثر أن هذا الخاطر لم يلمسه من قبل إلى هذا الحد، هو يدركه ولكنه لم يكن يعطيه أي وقت ليتأمله. بدأ يرتشف الشاي بهدوء وهو يتفحص الملامح وتعبيرات الوجوه، فهذا يُجري حوارًا مع من يجاوره، وهذان صديقان يتذكران موقفًا مشتركًا، فيضحكان ضحكة صافية، وشاب وفتاة يبدو أنهما خطيب وخطيبته يتهامسان بعيونهما مع بعضهما البعض، وهذه فتاة تُجري حوارًا على هاتفها المحمول. حوارات وتعبيرات شتى، ولكنها متفقة في شيء ما، لم يدركه بالكامل في حينه ولكن في صميم أعماقه كان يشعر به ويُلح عليه إلحاحا. أخذ رشفة أخرى من كوب الشاي، ووجَّه نظره إلى النافذة ليتابع طريق سفره. نظر نظرة طويلة إلى القضبان، زوجان متلازمان من الحديد ممتدان بامتداد البصر، متماسكان سويًا بألواح قوية من الخشب السميك، وكل لوح مثبت بمسامير كبيرة في الأرض، يحملان القطارات التي تحمل بني البشر وتنقلهم لوجهتهم من وإلى ما يقصدون. شعر بسرعة القطار تنخفض مرة أخرى ففهم أنهم مقبلون على محطة أخرى ليتوقف القطار عندها، فيغادر من يغادر القطار في هدوء، ويركب من يركب فيشاركه الرحلة داخل القطار الذي يسير على قضبان حديدية خُيل إليه أنها تمتد إلى ما لا نهاية.

أنهى كوب الشاي ووضعه في المكان المخصص له والملتحم بمسند ظهر كرسي الراكب الذي أمامه. توجه برأسه إلى النافذة ورفع نظرِه إلى السماء، وأشبع عينيه من زرقتها الصافية في ذلك الوقت من العام، ودارت في نفسه مناجاة خالصة، فيها من الحمد والشكر على ما ولَّى ووُفق فيه، وفيها ما يُمني النفس بتحقيقه والوصول إليه، مع رجاء إلى من يؤمن بأنه وحده الذي بيده الأمر. واسترجع ذكريات رحلته في العام الماضي، هو يحفظ العنوان عن ظهر قلب، ويعرف جيدًا الطريق إلى المركز الرئيسي حيث مقر إدارة شركته، فهو عليه أن يستقل سيارة أجرة لمسافة قصيرة، ثم ينزل منها فيسير على قدميه لعدة دقائق أخرى حيث الوصول للشركة في قلب الميدان المزدحم، ففي السير سهولة وسرعة عن البقاء راكبًا. تذكر وقوفه أسفل المبنى الزجاجي الشاهق، لم تزل ذكرى دقات قلبه من الرهبة تتردد في داخله، فليس سهلًا على الإطلاق أن تقف أمام باب من سيقيم أداءك، وليس سهلًا -مهما بلغت ثقتك في نفسك وفي عملك- أن تنتظر حُكمًا عليك، فبكلمة رضا ستستمر وتبقى في موقعك، وبحُكم تشوبه القسوة والتسلط من الممكن أن تفقد كل شيء.

هنا توقف عن الاستمرار في خيالاته وذكرياته، فقط بمجرد ورود مجرد الهاجس لاحتمال عدم بلوغه النجاح أو عدم نيله الرضا. أفاق مما كان فيه. تطلع إلى المناظر التي يُطل عليها من النافذة، وقد تبدلت الخضرة وأراضي الزراعة بالمنشئات والعمارات التي تشير إلى المدينة، والكباري التي تظهر بين الفينة والفينة، ثم السيارات والطرقات الأسفلتية، ففهم أنه قد اقترب كثيرًا من نهاية رحلته، وهنا بدأ قلبه ينبض بايقاع مختلف، وبشعور مختلف، إيقاع أسرع بنكهة الرهبة.

خـرج الأسـتاذ سرور مـن سـيارة الأجـرة وتمـَّم للمـرة الأخـيرة عـلى المظـروف الورقـي في يـده، ثـم توجـه سـائرًا عـلى قدميـه إلى شركتـه. لم يدعـه ذلـك الشـعور بالرهبـة، بـل عـلى العكـس كان يـزداد بطريقـة طردية كلـما خطـا خُطـوة باتجـاه مبنـى إدارة عملـه. لم يشـعر بقدميـه وهـو يسـير في طريقـه بـل كان ذهنـه وتركيـزه منصبـان عـلى شيء آخـر تمامًـا، ولسـبب أو لآخـر، مـر أمـام عينيـه عامـه السـابق ومـا أنجـزه فيـه وعملـه الـذي قـام بـه، واسـتعرض شريـط أعمالـه جـزءًا جـزءًا. شـعر ببعـض الزهـو ينتابـه لمـا قـام بـه سـالفًا، وطبعًـا لم يكـن كل مـا قـام بـه كامـلًا متكامـلًا، قطعًـا أخطـأ ولـو خطئًـا بسـيطًا، صحيـح أنـه لم يسـبب خسـارة فادحـة، بـل عـلى العكـس، تعلـم منـه وتجنبـه حينـما تعـرض لـه مـرة أخـرى ولكنـه في النهايـة يُسـمَّى خطـأً، وبلـغ بـه التأنيـب مبلـغ أنـه داخليًـا وفي مسـتقر شـعوره اعتقـد أن رئيـس مجلـس الإدارة سيتجاهل كل التقريـر وسيحاسـبه عـلى ذلـك الخطـأ فقـط، بـل محتمـل أن يؤثـر ذلـك عـلى تقييمـه بالكامـل وربـما.. ربـما لا يجـدد لـه عقـده فيرفـده مـن عملـه. انتبـه عـلى صـوت آلـة تنبيـه مـن سـيارة مـرت بجـواره بسرعـة كادت تصدمـه، فقـد عـبر الـصراط دون أن يتفقـده، فأخـذ حـذره وعـبر الميـدان متجهًـا لشركتـه، فوصـل إلى مـا كان قـد بـدأ رحلتـه لأجلـه، حيثـما سـيتحدد مصـيره، ولـو لعـام قـادم عـلى الأقـل.

دلـف إلى البهـو الرئيـسي لمبنـى الشركـة وقـد قـام بتعليـق بطاقـة تعريفـه الخاصـة بعملـه عـلى صـدره، وتوجَّـه للمصعـد حيـث ضغـط الـزر المـؤدي إلى مكتـب السـيد رئيـس مجلـس الإدارة، والـذي يقـع في الطابـق الأخـير مـن المبنـى الشـاهق. بـدأ المصعـد في الحركـة، وظلـت عينـا سرور متعلقتـان باللوحـة الرقميـة الموجـودة أعـلى بـاب المصعـد، وكلـما اقـترب دورٌ ازدادت رهبتـه. لم يهـدأ قلبـه أبـدًا ولم يـزداد إلا خفقانًـا، حتـى أنـه، ليهدأ قليـلًا، أخـذ نفسًـا عميقًـا ثـم زفـره مضمـوم الشـفتين في هـدوء، وفي أطـول قـدر ممكـن،

لكي يخفف من حدة التوتر لديه. رن المصعد معلنًا وصوله وانفتح الباب فخرج منه إلى ردهة متوسطة المساحة، تنتهي بصالة استقبال كبيرة ذات أرض رخامية تضفي جوًا من الهيبة مع الأضواء المناسبة لديكور يليق بسكرتارية رئيس مجلس الإدارة، على يمينه ويساره مكتبان متوسطا الحجم، تجلس عليهما فتاتان متأنقتان لهما إطلالة أنيقة، وفي المقابل عند نهاية مكان الاستقبال، مكتب كبير الحجم بمكتبة فخمة، إنه مكتب السكرتير الخاص لرئيس مجلس الإدارة، وكان مرتديًا بدلة كاملة داكنة اللون، فتوجه لأقرب مكتب على يمينه والذي تجلس عليه مساعدة السكرتير الخاص، التي استقبلته بهدوء، فعرَّف نفسه وأخبرها بسبب زيارته، فرحبت به ودعته للجلوس على الكرسي المقابل لها، فناولها الظرف الخاص به، فأخذته وفتحته وأخرجت الأوراق التي بداخله، راجعتها وقلَّبتها أكثر من مرة، وهي تنظر تارة إلى العناوين الرئيسية لتقريره، وتارة أخرى تُراجع بعض التفاصيل الصغيرة. وهو جالس في مكانه خُيلت إليه الدقائق التي تمر عليه فيما تتفقد أوراقه كالأيام في داخله. راقب عينيها وهي تشاهد تقريره وحاول جاهدًا ان يكتشف من ملامحها أي رد فعل لما قام به، ولكن للأسف كان وجهها لا يحمل أي تعابير تشي بأي ردة فعل. رتبت الأوراق ونحَّت مظروفه الورقي جانبًا ووضعت تقريره في حافظة جلدية لائقة، وقامت متوجهة إلى المكتب المقابل لها، إلى السكرتيرة الأخرى وتمتمت لها ببعض الكلمات، فأخرجت الأخرى علبة من دُرج مكتبها ومن داخلها تناولت خاتم شعار الشركة ثم اعتمدت التقرير وأمرتها أن تقدمه للسيد السكرتير الخاص. نَبَض قلبه بسرعة شديدة وكأن صدى نبضه يعلو فوق صوت خطوات الموظفة وهي تخطو فوق الأرض الرخامية، متجهة لمديرها. ومن هنا انتقل المقياس

الزمني بداخله من خانة الأيام إلى الشهور، فمرت عليه الدقائق أثناء تفقد السكرتير الخاص لتقريره كالشهور بداخله، ولما اعتدل واقفًا من خلف مكتبه، لا شعوريًا قام سرور من جلسته ووقف متأهبًا لأي أمر أو حتى إشارة من السكرتير الخاص، ولكن الأخير أشار له من بعيد وبهدوء، فجلس مرة أخرى، ولكن من توتره حتى لم يسند ظهره إلى مسند كرسيه، وظل هكذا ومن توتره أخذ يهز ساقه في حركة ارتدادية عصبية، ولكن لم يكن الأمر بيده.

طرق السكرتير الخاص طرقتين متتاليتين على باب رئيس مجلس الإدارة، ثم فتح الباب فدخل ثم أغلقه خلفه بهدوء، فسطعت فوق الباب لمبة حمراء تدل على علامة واحدة ولديها دلالة واحدة، أن مصيره الآن قيد التحديد. للمرة الثانية تغير المقياس الزمني لشعور سرور بالوقت، فتمر الدقيقة في انتظار تقرير مصيره من قِبل رئيس مجلس الإدارة كالسنة في عمر نفسه ونفسيته، واستعجب كيف أن الثانية هي الثانية والدقيقة هي الدقيقة، ولكن الهدف المرجو من الانتظار هو الذي يحدد الإحساس بها. لم يحول عينيه عن اللمبة الحمراء التي لا تزال ترسل لهيبها إلى قلبه. مرت عشر دقائق كأنهن عشر سنين، وقد فعل به الانتظار والترقب ما فعلاه. وفجأة انطفأت اللمبة، وأجهزت الثواني التالية على البقية الباقية من أعصابه. انفتح الباب وتوجه السكرتير الخاص إلى الأستاذ سرور مباشرة، فهب سرور ووقف منفعلًا مرتعشًا رعشة داخلية لا تتعدى مظهره الخارجي. مدَّ السكرتير يده وناول سرور ورقة واحدة أخذها بيمينه وقرأها من أولها لآخرها، وما إن بدأ في قرائتها حتى تهللت أساريره ارتياحًا، فشكر السكرتير الخاص ثم شكر مساعدتيه واستأذن في الإنصراف، يحمل في يده صحيفة نجاحه التي تحوي تقييمه «جيد جدًا»، مع شكر

له على مجهوداته وتمديد عقده لمدة عام قادم. بدأ رحلة عودته مرة أخرى إلى مدينته وفرع شركته فرِحًا مسرورًا بعد ما تم التأشير له بالنجاح وحيازته القبول من قِبل رئيس مجلس الإدارة. ودَّ لو أنه أخبر كل من قابله أثناء رحلة إيابه أنه نجح في تقييمه. تفحص الوجوه التي صادفها وقد شعر أنها كلها هو، أنهم كلهم متجهين لرؤساء مجالس إدارة أعمالهم لتقديم تقاريرهم، فتمنى من صميم قلبه النجاح للجميع والفوز للجميع، لكي يعودون ويستمرون في حياتهم، ويكملون الرحلة على قضبان قطاراتهم بكل سرور.

****

«فنجان قهوة.. مظبوط»

صلاح عبد الله

«لبييك سيدي»..

سـارعتُ بالـرد بصـوتي الجَـمادي المبحـوح عـلى رئيـس المسـتخدمين في ذلـك الفنـدق الفخـم، و مـن فـرط الرهبـة مـن هيبتـه، شـعرتُ كأننـي أتزحـزح مـن مـكاني عـلى الـرف المُخَصـص للفناجـين، حتـى صرت في مقدمـة الصفـوف، فتناولنـي عامـل القهـوة بعدمـا تلقـى الأمـر بإعـداد فنجـان قهـوة مضبـوط. «كـم أنـا نظيـف ولامـع»، تباهيـت في خيـلاء وأنـا في يـد «الجرسـون»، هكـذا يطلقـون عليـه في هـذه الأماكـن الفخمـة. وضعنـي بعنايـة في صينيـة فضيـة لامعـة، ثـم أفسـح مجـالًا لكـوب مـن المـاء البـارد، فوضعـه برفـق ودقـة. نظـرت نحوهـا ووجدتهـا مبتسـمة منتعشـة، فتبادلنـا التحيـة والابتسـام، ومـا هـي إلا لحظـات حتـى أتـى بكنكـة البُـن المحـوَّج، ذو الرائحـة النفـاذة، وصـبَّ في أعـماقـي صبًّـا، فاستشـعرت البُـن المغـلي وهـو يمـلأني شـيئًا فشـيئًا، ولا زلـت أتابـع صبَّـه حتـى تشـبعَت جوانبـي بالقهـوة، وأخـيرًا امتـلأت إلى حافتـي. حمـل الصينيـة بـكل سـهولة، وتقـدم واثـق الخطـوات ليضعنـي أمـام ذلـك السـيد، وهـو الزبـون المسـتديم لهـذا الفنـدق، فقبعـت أمامـه لفـترة وجيـزة، ومـا لبـث أن شرب القهـوة التـي بداخـلي، تـاركًا بقايـا البُـن الـذي لم يـذُب ترقـد في أعـماقـي،

فانتظرت عـودة الجرسـون، ليأخـذني مـرة أخـرى إلى حيـث أنتمـي، فتتـم العنايـة بي وتنظيفـي، ثـم وضعـي عـلى الـرف المخصـص للفناجـين. أنتظـر الأمـر التـالي مـن رئيـس المسـتخدمين، لينـادي بصوتـه الرخيـم آمـرًا «واحـد فنجـان قهـوة مظبـوط».

❋❋❋❋

«فنجان قهوة.. سادة»

صلاح عبد الله

«تمام سعادتك يا فندم..»

تردد صدى الكلمات التي أجاب بها العامل المسئول عن إعداد القهوة في مطبخ الفندق الفخم الذي يحتل مكانًا استثنائيًا على ضفاف نهر النيل. ومن موقعي هذا -وبكل حماس- تهيأتُ واستعديتُ أنا فنجان القهوة لتلبية النداء، وقد تخيلت شكل المهمة التي أنا مقبل عليها من واقع خبرتي كفنجان متمرس. حتمًا هكذا، فمن أسلوب رد العامل فهمت أنه كان بناءً على تلقيه الأمر بإعداد فنجان قهوة «سادة».

سادة!! يا لحظي التعس، فلا بخت لي بالحصول على قليل من السكر أو أنتعش حتى ولو بحفنة قليلة منه. هل مكتوب في مفردات حياتي، إما أن أبقى خاويًا مركونًا على رف أو منزوع من جنباتي الإحساس بطعم السكر؟ ما هي الأزمة ليُمزج بالبُن المحوَّج ثم أمتلئ به حتى! يا إلهي، تم انتزاعي من أفكاري انتزاعًا وأنا أستقبل البُن المغلي في أعماقي فجأة، يا لهؤلاء الطُهاة وقلبهم القاسي، ألا يرفقون بالفناجين؟!

كتمتُ ضحكة ساخرة بعدما سمعت فتى القهوة يتمتم «أوامر، أوامر.. وليس لديَّ إلا تمام يا فندم»، ثم حملني في صينية براقة مع كوب ماء بارد وزفني زفًا إلى من أرادني «سادة». ممم..

تجمدت الكلمات في حلقي وأدركت كينونة من أُوضع أمامه، فمن موقعي هذا صادفتني قبعة رسمية، فحييتها بتحية لائقة، ورفعت ناظري لأعلى في حرص وروية، فوجدت الزي الرسمي كاملًا تزينه الأوسمة الخضراء والحمراء التي أضافت هيبة إلى الهيبة، ثم الوجه الحليق فالعينين البُنيتين الداكنتين.

وأدركت أن السادة لا يشربون إلا السادة، وعذرًا، فلا أستطيع أن أتفوَّه بحرف آخر، فكل ما أفكر فيه لأقوله أو حتى أنوي قوله محظور يا سادة، فالسكر معروفة طريقه فقط للسادة، لكي يناله السادة، وفي داخلي يبقى المذاق «سادة.»

❋❋❋❋

«فنجان قهوة.. على الريحة»

صلاح عبد الله

تفقدتُ زملائي الفناجين وقمت بالتأكد من وجودهم جميعًا على الرف المخصص لفناجين القهوة بجانبي، ولمعت في عيني ابتسامة سعادة من لونهم الأبيض المبهج، الذي من فرط جماله ونظافته يتلألأ ويبرق بشدة بفعل انعكاس الأضواء البيضاء الآتية من مصادر الإضاءة في مطبخ الفندق الفخم. ذلك الفندق المتواجد في منطقة وسط العاصمة والذي يأخذ جزءًا من جمال نهر النيل بموقعه الرائع وطاقة المكان التي تأسِر وتُبهر كل من يأتي كنزيل أو زائر، حتى أن سحر الطاقة قد يمتد ويشمل من يسير بجواره.

فنجان قهوة «على الريحة» من فضلك. سمعت صوت كبير المستخدمين وهو يأمر بإعداد فنجان قهوة، وراقبت عامل القهوة وهو يكرر كي لا ينسي «على الريحة.. على الريحة. كنت أعلم أنني من سيذهب بهذا الطلب وتأهبت للانطلاق وأنا متحمس لعملي ومقبل عليه، وقد دارت في ذهني بعض التساؤلات عن شكل الزبون الذي طلبني «على الريحة». ما شكله؟ وما وصفه؟ وما هي حكاياته التي سوف يؤنسني سماعها خلال فترة عملي؟ ها هو العامل قد أعدّ
البُن المحوَّج بتوليفة فائقة الدقة من مكونات شتى كالزنجبيل والقرنفل والمِستكة وبعض الأسرار الأخرى، ثم بعد أن أضاف له ما يساوي

قدرًا قليلًا جدًا من السكر، وضعها على نار هادئة فصارت قهوة مميزة برائحة خيالية عبقرية، يعجز وصف الكلمات عن استشعارها، فلا بد من تذوقها لإدراكها. حملني على صينية لامعة ونظيفة بعد أن وضع كوبًا من الماء البارد بجواري، واتجه بخطوات متزنة نحو قاعة الطعام وخدمة الزبائن، ثم قدمني إلى الزبون.

إحم، أقصد الزبونة التي اختارت المنضدة في ركن القاعة والتي تقع بجوار النافذة مباشرة، مما يوحي أنها اختارت عزلة مؤقتة لتستمتع بي وبوقتها في تناولي. وضعني العامل بهدوء على مائدتها ومن ثم وضع كوب الماء وسألها هل ترغب في أي خدمات أخرى، فردت بصوت هادئ رقيق وشكرته. راقبتها في هدوء وقد لفت انتباهي ملامح البراءة في وجهها على الرغم من أن هيئتها توحي بأنها في منتصف العقد الرابع من العمر، شعرها أصفر فاتح تتخلله بعض الشعرات البيضاء في مقدمة رأسها، بشرتها بيضاء مائلة إلى اللون الوردي، عينان زرقاوان بلون السماء الصافية، أنفها متناسق مع شفتاها التي أتمت زينتهما بطلاء شفاه بني داكن، مع عطرها الفرنسي، الإيحاء جعلني مخدرًا في مكاني لا أستطيع حراكًا، وما هي إلا ثوانٍ حتى رأيتها تمد يدها لتتناولني وقد انتابتني رعشة مكتومة وهي ممسكة بي وتدنيني رويدًا رويدًا من شفتيها. ولن أنسي أبدًا تلك النظرة التي رأيتها في عينيها، ساعتها أدركت اختيارها لهذا المكان المنطوي، إنها حزينة، نعم هذه نظرة حزن، وكم يضفي الحزن من براءة على ملامح بني البشر؟ وكأن الحزن وبراءة الملامح توأمان لا يفترقان أبدًا. قربتني أكثر من شفتيها وقد فعل بي عطرها ما فعل، فلم أحتمل المزيد واستسلمت تمامًا لأناملها بالغة الرقة، فوضعتني على شفتيها ورشفت رشفة طويلة وهي مغمضة العينين وكأنها تحادث القهوة التي تحتسيها،

واستبقتني على شفتيها وكأنها تشتكي لي مما ألمَّ بها، ومن حرارة شفتيها أدركت ما لم تبُح به، وبمنتهى الرقة والنعومة أعادتني مرة أخرى إلى مكاني على المائدة، وقد فتحت عينيها الزرقاوين على دمعة محبوسة، وما إن فتحت عينيها فانفلتت عَبرة واحدة اتخذت طريقها إلى قلبي مباشرة، فاندمجت ببقايا البُن الموجود بداخلي، وعلى حافتي أثر مطبوع من طلاء شفتيها، الذي حتمًا لم يمهلني كثيرًا، فقد بدا وكأنه يتخللني ويذوب في جزيئاتي، فزادني من المعاناة ما يفوق احتمالي. وما هي إلا ثانية واحدة حتى أتى الجرسون وقد همَّ بأخذي من على المائدة من أمام هذا الملاك الحزين، تاركًا كوب الماء ليؤنسها. أرجوك، أمهلني قليلًا، فلا تأخذني الآن. ودعتها بحزن جم، وأوصيت عليها عطرها أن يهتم بها، وأقسمت على طلاء شفتيها ألا يهمل رعايتها ورونقها، وكم تمنيت لحظتها لو كنت بشرًا إنسانًا فقط، لأكون طوع يدي هذا الملاك، فأزيل همها وغمها، وأبدل أحزانها بفرحة، ودموعها بابتسامة، وأضيف لحياتها عطرًا وطعمًا مفعمًا بمزيد من سكر السعادة، بدلًا من أن تقضي عمرها «على الريحة.»

****

«فنجان قهوة.. فرنساوي»

صلاح عبد الله

«أنا هنا يا سيدي..»، أجبتُ بسرعة على رئيس المستخدمين في ذلك الفندق الفخم، بعدما وجه الأمر بإعداد طلب قهوة، وخشيت أشد الخَشية من أن يكتشف من صوتي الناعس أنني ذهبت في غفوة سريعة، بعدما بقيت قابعًا في مكاني لعدة ساعات لا أفعل شيئًا، فهرولت في بضع ثوانٍ ألملم جزيئاتي وأجمع ذراتي، فأستعيد حيويتي ونشاطي بعدما استفقت من حلم جميل قد أضاف إلى متعة الراحة طيفًا رقيقًا من الاستمتاع بالغفوة. ولكنه كان قد أصدر الأمر والتفت خارجًا ثم مضى إلى الردهة الرئيسية لاستقبال الزبائن.

آه من قلة الانتباه»، أحاسب نفسي لأني لم أنتبه إلى نوع الطلب المنشود، ولا أخفي سرًا إذا أفصحت عن أن فضولًا عظيمًا يتتابني لمعرفة رحلتي التالية، فأصغي كل الإصغاء مع إصدار الأمر بنوع الطلب، فأستشعر لذة التفكير في شكل الشخص وشخصية من سأقوم بخدمته خلال الدقائق المقبلة. وهذا التمرين يضيف البهجة إلى عملي من ناحية ويرفع -إحم- من مستوى ذكائي بكل فخر وتواضع من ناحية أخرى. ركزت مع عامل القهوة وهو يشرع في إعداد مكونات القهوة. ممم.. ها هو يتناول القهوة ويضع هذا الإناء المخصص لها، ثم قليل من السكر مع مقدار من نصف معياري ماءً، ثم النصف الآخر من

معياري من الحليب، وقلَّب المزيج أمام عيني تقليبًا جيدًا لكن بهدوء، فتأكد من امتزاج المحتويات جميعها. آه.. عرفتُ أنه يعد فنجان قهوة مظبوط «فرنساوي». ألقيت التحية، وأنا في طريقي، على قطعة من الشوكولاتة الغامقة التي استضفتها على طبقي الخاص فردت التحية بهدوء وتبادلنا حديثًا بسيطًا، ثم تم وضعنا أمام فتاة رقيقة الملامح تنكشف بعض شعرات ناعمة من مقدمة رأسها بفعل تزحزُح عفوي لغطاء رأسها الناعم أيضًا. نظرت إليها من مكاني فوقعت عيناي على عينيها الواسعتين فسبَحت في بحر ممتد أُفُقه إلى ما بعد الغروب. بنعومة تفحصت ملامحها وأنا أحدث نفسي عن سر ابتسامتها، تُرى أهي قد سمعت خبرًا أسعدها؟ أم أحرزت نجاحًا في عملها؟ أم هي متفائلة بطبعها لما هي مقبلة عليه؟ أم تواري خلال تلك الابتسامة ما لا يجب أن يعرفه أحدٌ عنها؟ الوردة الحمراء القابعة قريبة من يدها ألقت بعبير قد أضاف عطرًا لمحيطها، غدا يعبر إلى أعماقي ويمتزج بالسكر والحليب، فيرسل ذبذبات الرقة لتشكل حاجزًا شفافًا حول مائدتنا، فيعزلنا عن المحيط، فلا ترى إلا خيالًا ولا تسمع إلا همسًا ولا تحس إلا بأنامل رقيقة.

ترفع فنجانًا مملوءًا بالبهجة والفطرة في آن واحد، «فنجان قهوة.. فرنساوي».

****

«فنجان قهوة.. زيادة»

صلاح عبد الله

استمر العامل المختص بصنع القهوة يحدق فيَّ لمدة ليست بالبسيطة، حتى أنني بدأت أتوتر، فسألت زميلي الفنجان القابع على يميني، هل ترى أي شيء غير مضبوط؟ تفحصني زميلي بهدوء وقال «لا أبدًا، فنجان قهوة، نظيف، أبيض، متوسط السعة، يجلس على الطبق الخاص به في مطبخ فسيح، في هذا الفندق الشهير، الذي يعد اسمه أحد أهم أسماء الفنادق على مستوى العالم». شكرته ثم أدرت بصري مرة أخرى إلى العامل، وشعرت أنه ينظر لي بزيادة، فتحسست حافتي وأذني وأنا أتمم على بعضي، ولما لم أجد ما يفسر تحديقه لي، قبعت في سكون واستسلمت، فليس بيدي من الأمر شيئًا. ولحسن حظي أنه بعد بضع دقائق دخل رئيس المستخدمين إلى ذلك المطبخ الفخم، وعلى إثر دخوله انتفض العامل مرتبكًا فسأل رئيسه بماذا يأمر؟ فرد رئيس المستخدمين بصوته الرخيم آمرًا العامل أن يفيق من شروده وأن يولي الانتباه لعمله، وطلب منه أن يقوم بإعداد فنجان قهوة زيادة. شرع العامل المختص بإعداد طلب القهوة، على حسب رغبة الزبون بأن يكون زيادة. وبينما هو منهمك في وضع السكر والبُن والماء والتقليب، سرحت بأفكاري قليلًا في

نوعية الطلب، وفي داخلي فكرة معينة، هي باختصار أن الزيادة قد تكون غير مطلوبة في كثير من الأحيان، فمن الوارد أن تفقد الأشياء هويتها. ومن موقعي هذا أؤكد أن القهوة الزيادة تذهب بشخصية البُن، فيتلاشى المذاق المميز ويحل المذاق المُحلَّى مكانه. ولوهلة استرجعت طول فترة تحديق العامل في ملامحي، وتذكرت أنها كانت بزيادة، فتعدت مرحلة التأمل وأصبحت مجرد سرح خيال. على أية حال، ها هو قد فرغ من إعدادها وقام بصب القهوة في داخلي وحملني مسرعًا إلى الزبون الذي ينتظرني وقدمني اليه مبتسمًا ثم انصرف. رجل في أواخر الخمسينيات حسَن المظهر نظيف الثياب، يكسو شعره البياض وتجري بعض خطوط العَجَز على جانبي فمه، ولكن تزين وجهه ابتسامة خفيفة فتضفي بعض الحيوية والبهجة لمن ينظر إليه. دنوت منه وهو يطالع هاتفه المحمول، وكأنه يقرأ أو يشاهد شيئًا ما، ومن آنٍ لآخر يمرر أصابعه بهدوء على الشاشة المقابلة له، وكأنه يغير ما يظهر له مما يظهر له، لعلَّه يطالع صورًا تم التقاطها في وقت سابق وتحمل ذكرى معينة لديه، أو محادثات تم تبادلها مع صديق أو عزيز، ليتني أستطيع مشاركته ما يقرأ أو يشاهد، فالفضول يلتهمني لكي أكتشف ما تقرأه عيناه، أقصى ما يمكنني هو تتبع ردود فعله ما بين ابتسامة حانية أو دمعة مترقرقة لا تكاد تومض فيختفي وميضها. وبأصابع تشوبها ارتعاشة خفيفة نظرًا لحالته الصحية، رشف رشفة ذات صوت ليس بالهامس مما سبب إحراجي لجزء من الثانية، ولكن ضاع هذا الإحراج في الجزء التالي من الثانية، بعدما رأيت نظرة الرضا تملأ عينيه عن آخرهما، فتيقنت أن بعض الزيادة قد تقوم بالتعويض، لا ضرر منها إطلاقًا،

فمن الممكن أن تبرئ بعض الزيادة ما قد يكون قد تسبب به بعض النقصان. رجع الرجل إلى هاتفه وتابع ذكرياته، وأنا أتابعه، ولم يلبث إلا قليلًا ثم رفعني مرة أخرى، ورشف آخر رشفة ثم وضعني مكاني على المنضدة مرة أخرى، وعلى وجهه الابتسامة تزداد اتساعًا، ولكن في عينيه يتلألأ الحزن بزيادة.

****

أوانُ الياسمين

مروة رشدي

أحبَتـه هنـا وعاشـت أجمـل قصـص العشـق، وحدهـا تعـرف كـم كان حبـه جارفًـا، وكـم كانـت مشـاعرها بِكـر، تختبرهـا للمـرة الأولى. ذات المقعـد لا يـزال يحمـل عبـق حبهـا الأول، لا، ليـس فقـط الأول، لكنـه الوحيـد.

كان لاجئًـا عراقيًـا وكانـت طالبـة دراسـات عُليـا مصريـة، تعارفـا في دروس اللغـة الألمانيـة ولم تسـتطع كتـمان حبهـا، كل قسـماتها كانـت تـشي بعواطفهـا تجاهـه، تفضحهـا نظـرات عينيهـا، رجفـة يديهـا وارتعاشـة شـفتيها، فيهـم جميعًـا كان غارقًـا. علمـت حـين أهداهـا ديوانـه الأول والوحيـد، كان يحمـل اسـم «أوان الياسـمين»، اسـمها. أجمـل أبيـات الشـعر كتبهـا في وصـف عينيهـا، جدائلهـا، حنانهـا وكبريائهـا، ضعفهـا وأنوثتهـا، إلهـي! كان حلـمًا، ليـس حبًـا فحسـب.

أفاقـت مـن ذكرياتهـا عـلى همسـات بجوارهـا ويـد حانيـة عـلى كتفهـا، نظـرت فـإذا بـه أمامهـا، نعـم إنـه هـو، وإن بـدا أصغـر عمـرًا، أتوقـف الزمـان بـه وحـده؟ أم عـاد معـه إلى الخلـف بينـما مـرق بهـا إلى الأمـام؟ يـا إلهـي! أأنـت هـو؟ أهـلاوس أرى وأسـمع؟ أجننـتُ أنـا مـن فـرط تتابـع الذكريـات؟ إلهـي أنقذنـي.

– ويحي من أنت؟

– لا تقلقي يا خالة، أنا عمر العراقي ابن أخته.

– عمر! بحق هو أنت؟ لقد كبرت كثيرًا.

– كان يعلم أنك ستعودين، لكن القدر لم يمهله لقاءكما.

وقفت ذاهلة، فاغرة فاها، وكأنما وقفت الكلمات في حلقها.

– ترك لك خالي غسان ديوان شعر باسم «رحيل الياسمين»، وآخر وصاياه ألا ينشره غيرك، فإن لم تعودي فليبق في طيات النسيان كأوراق الياسمين الغائبة عن بلادنا منذ الرحيل.

بكت، كانت تحبه، بل لا تزال، هو حَبَة فؤادها وتوأم روحها.

على فراش الموت لم يذكر غيرها والوطن، هكذا كان يقول لها «أصبح فؤادي فارغًا إلا من حبكِ أنتِ وأمي الراحلة والعراق». ويوم رحلت قالها لها ثانية، وأضاف «وكلكم عني ترحلون».

– أتبكين يا أمي، أهلا عمر، ماذا حدث؟

– زينة وعمر؟! كيف ومتى تعارفتما؟

– إنه ذلك الشاب العراقي الذي سردت لكِ قصته والذي يدرس معي الألمانية.

اعترفت لها ابنتها بعد أيام قليلة من التحاقها بالجامعة الألمانية في برلين بحب شاب عراقي.

يا لسخرية الأقدار، أسخرية القدر بحق هي أم أن الزمان يداوي جرحها بحب ابنتها لقطعة غالية من غسان وفي ذات المكان؟ رحمك الله يا غسان، كنت رجلًا ولا مكان للرجال في هذا الزمان.

رفعت ياسمين ناظريها لترى نفس نظرات عينيها السابقة التي فضحتها، في مقلتي زينة، رجفة يديها وارتعاشة شفتيها، وشروع غسان! بل عمر هذه المرة، في كتابة قصيدته الأولى «محلاكِ زينة العرب».

هنا رفعت كفيها إلى السماء بتضرع، اللهم إني أُشهدك أني باركت حبهما فاجمعهما بحلالك في ديار العرب يوم توحد بلاد العرب.

****

وذابت قطعةُ الشيكولاتة

مروة رشدي

ضحكت نور لكلمات يونس، منذ زمن لم يداعبها بكلماته ويحاورها بفلسفته، جلساتهما معًا دائمًا لها مذاق خاص.

- لكنكِ تغيرتِ كثيرًا نور، لا زلتِ جميلة ما في ذلك شك، ولكن بعمقٍ خالٍ من المشاحنة، أصبحت أكثر روحانية وميلًا للعزلة، بل وفقدتي الكثير من وزنكِ برغم أن المتعارف عليه أنه مع العمر يزداد الوزن.

نظرت نور في عينيه وتأملت كلماته ومعانيها، كان على حق، أجابته منبهرة بنفاذه إلى أعماقها، دائمًا يفعل مهما تغيبا عن بعضهما البعض. ابتسامة عذبة على شفتيها الممتلئتين:

- كلما اقتربتُ من أحلامي كلما أدركت كم صعبت الأمور على ذاتي، ولم يكن الأمر يحتاج كل هذا الضيق والمعافرة، كان من الممكن أن يكون الأمر أكثر بساطة واستمتاعًا، ولكني كنت صغيرة جدًا وحمقاء.

قهقه يونس وهو يداعب خديها بكفيه في حركة اعتاداها منذ أول لقاء حب بينهما:

- ستبقين لـديَّ تلـك الطفلـة الصغـيرة جـدًا الحمقـاء جـدًا، التـي أحببتهـا جـدًا جـدًا.

تـوردت خجـلًا كالصبيـات، وأطرقـت تـداري نبـض قلبهـا الـذي سـكنها عـشرة أعـوام مـن المكابـرة والعنـد. أردفـت لتسـتكمل، ولكنـه باغتهـا بقُبلـة، قُبلـة الحيـاة لكليهـما.

ذابـت أخـيرًا نـور العنيـدة بـين شـفتيه كحلـوى تمناهـا أعوامًـا أو كقطعـة شـيكولاتة محرمـة نالهـا فقـط بفـردوس أحلامـه.

❋❋❋❋

وردة

مروة رشدي

«فاجعة.. فاجعة»، كلمات رددها فاروق من حجرته المفضلة بالدور السفلى للفيلا التي يقطنها وحيدًا، والتي قرر أن تكون موطنه بعد وفاة والدته وصراع إخوته على الميراث. يضرب بكلتا يديه على المكتب، ويصرخ من جديد وقد ازدادت حدة السعال.

الشمس تتكبد سماءً ملبدة بالغيوم، رائحة الأتربة تملأ المكان، وأجواء الخماسين تخنقه، تبًا لحساسية الصدر.

لأول مرة لا يعبأ فاروق بالجري على بخَّاخ التنفس حين تداهمه الأزمة. عاود قراءة الخبر مرارًا وتكرارًا بالجريدة، دار بالحجرة مرتين ثم انهار على كرسيه الهزاز، ذات الكرسي الذي بقي مُسجًّى عليه عشرين عامًا حتى أخرجته وحدها من عزلته.

منذ عامين ونصف العام تعرف إليها، كان على مشارف الخمسين وكانت روحًا تمشي على قدمين، غضَّة، جميلة وشهية، كتلة من الحماس والنشاط، شعلة طاقة لا تنطفىء ولا تخبو. ليس هو فقط، ولكن كل من عرفها ناله قدرًا لا بأس به من طاقتها.

هذا الأمل المتدفق، والحنو العذب، الخير الجاري كماء النهر. كانت وردة اسمًا على مُسمى، بل كانت وردته أجمل وردات الوادي الخصيب.

في أول لقاء بينهما، صارحته بصدمتها في هذا الكم من الانهزامية الذي تلقَاه كل يوم، وسألته إن كان يعرف سببًا لهذا. ضحك مترددًا وأجاب «لعلها الظروف الاقتصادية وغياب الأمل». صرخت ساعتها بحماسها الطفولي «بل أعرف أن الانهزامية شعور داخلي، له أسباب خارجية ما في ذلك شك، لكن مفيش حاجة أبدًا تقدر تهزم الروح».

تعجب لكلماتها، انطلاقها، مبادئها التي تؤمن بها وتعمل لأجلها، ما كان لشيء مهما كَبُرَ أن يطفئها، دائمًا متوهجة هي كنور البدر في الاكتمال.

أعادت له وردة الروح، معها يشعر أن كل ما فات يستطيع تعويضه، العمر لم يمر، وبوجودها بجواره لم يخنه.

تخلص من انهزاميته هو الآخر والتي تعمد إخفاءها في كل لقاء بينهما، كم خذلها، تلك الوردة اليافعة النضرة.

حماسها في مساعدة اللاجئين وإثارة قضاياهم لم تكن كأي صحفي عادي أو مراسل مهني «هم أناس شهدوا الموت ألف مرة ويقدرون الحياة آلاف المرات، معهم تُسحق الانهزامية وينتحر الفشل». كانت بكلماتها تلك تبرر ضرورة مد الأيدي لهم وتستدل بما فعله السوريون بمصر من رواج تجاري وحرفي حبًا في الحياة والأمل والنجاح.

في كل مرة كانت تتبنى قضية وتطلب منه تصميم شعارات لها ولحملاتها ودعواتها، كان لها منطقها وأفكارها وإيمانها الخاص، كانت تزوده بالروح، وكيف لا وهي روح تمشي على قدمين؟

أحبها فاروق، تعلق بطفولتها، براءتها في التعرف على الكون، اختياراتها الإنسانية وسط كومة من المادية، طاقتها، جمالها، عطائها الذي لا ينفذ. وعدها أن يشاركها كل الأحلام، كل القضايا والعطايا،

صارحها أنها وردة أيامه وتجلِّي كرم المولى عليه، ثم رحل، رحل مهزومًا غير مأسوف عليه.

رحل لأن بداخله خَرِب، لم يستطع مجاراة الأمل، رحل خائفا من هذا الكم من العطاء والحب، رحل جبانًا دون كلمة واحدة.

لا يزال يذكر تلك الليلة السوداء، ليلة وَعَدها أن يتقدم لخطبتها وطلب يدها من أهلها، كان سعيدًا جدًا وخائفا، بعد أن اكتمل هندامه، لبس بدلته متانقًا وربطة عنقه، أحس نفسه وحيدًا، وحيدًا جدًا، كيف له أن يطرق بيوت الناس بلا إخوة، بلا أهل، بلا عِزوة؟ أحس فجأة بيتمه، وتملكته كل المشاعر السابقة لمعرفتها.. ورحل.

عرف بمتابعة أخبارها أن وردته لم تذبل، حزنت ولكنها كعادتها لا تأفل. ارتاح وندم وبقي على كرسيِّه متدثرًا بهزيمته مرتضيًا انهزاميته.

اليوم.. يقرأ نعيها، اليوم تُوارى الثرى وردة الوادي الخصيب.. أي مصيبة تلك وأي فجيعة!

جاءتها فرصة مراسلة القنوات الأجنبية بما يحدث في ثورات الربيع العربى، كانت تتنقل كفراشة بين خرابات الموت ورائحة الدم، مؤمنة برسالتها كعادتها. حاول الأهل منعها ولكن هيهات، هل سمعتَ عن رياح أوقفت الأعصار؟

انتقلت في إحدى زياراتها لليبيا عبر الحدود المصرية لتغطية أحداث الحرب على داعش بعدما قتلت العشرات من المصريين المقيمين بليبيا. وهناك، داهمت الصحفيين جماعات مسلحة بشعة أبادت الموجودين جميعًا بالمكان وأغلبهم مراسلون أجانب، لتكون الضربة في مقتل. تكتموا الخبر عدة أيام حتى تم التعرف على الأسماء والتأكد من

مقتلهم على يد التنظيمات الإسلامية الإرهابية التي أعلنت عن الحدث في حفل بهيج.

رحلت وردة وهي تحقق حلمًا من أحلامها النبيلة التي لم يمهلها القدر أن تكتمل. لم يقتلها الحب كباقي الفتيات ولكنها تلك الانهزامية التي باتت تبث فيها الأمل والحياة، غافلة أن قد أسمعت لو ناديت حياة ولكن لا حياة لمن تنادي. عاشت تتمنى محو الانهزامية من قاموس العرب، طعنتها بغدر مئة مرة وقاومتها وردة آلاف المرات. وفي جسارة اتخذت قرارها الوردة أن تخضب الأرض دماؤها، عسى وردات يافعات تنبتن من كفاحها.

أفاق فاروق من أفكاره وهو لا يزال على كرسيِّه الهزاز بجانب الغرفة يسعل، تدثر بالانهزامية سريعًا وقام ينفث البخَّاخ علَّ السعال يسكت، علَّه يستفيق ويرتاح.

****

ليسَ بعد..

سحر الجميل

قال: وأنا أيضا أحبكِ!

كان رده على جملتي وأنا ثائرة!

ما جعلني أعيش معك طوال هذه السنين حبي لكَ وبقائي على عِشرتنا، ولكن لم أعد أتحمل أكثر، لم تترك لي خيارًا آخر.

حقًا تحبني؟ هل ما تفعله معي هو الحب في نظرك؟ دعني أرى الحب في أفعالك ومواقفك معي.

هل الحب في نظرك كلمة تُقال أو قُبلة تضعها على شفتيَّ مع لمسة من يدك تتحسس بها جسدي حتى يخضع فريسة لكَ، تلتهما في التو والحال؟

أجبني، ماذا يعني لكَ الحب؟ ماذا تعني لكَ سعادتي أو روحي التي لم تعد تشعر بكَ؟

أما عن قلبي فمنذ زمن أصبته بجرح عميق ظل ينزف دون شعور منكَ، حتى استنفذت جميع دمائه. هل تعلم على ماذا يدل هذا؟

لقد أصبح قلبًا ميتًا، قتلته أنتَ ودون أدني رحمة أو رأفة.

جاء صوته قائلًا «قتلتُ قلبكِ! أنا؟ متى وماذا فعلت؟ ما هذا الهراء الذي تتفوهين به؟!

نعم أعلم أنك لا تدرك ذلك، ولمَ لا وأنتَ تملك ذكاءً ودهاءً تحايلت بهما على قوانين وعدالة عقلي، وجعلته يصدق أنه كان قتلًا بالخطأ وليس مع سبق الإصرار والترصد، وجعلتني أحكم عليكَ بالبراءة.

وأيًا كان الحكم، ففي الأخير القتيل قد قُتل ولا أي شيء يمكن أن يحييه من جديد، حتى حكم البراءة!

واقفًا أمامي، يحدق بعينيه متعجبًا بل ومصدومًا، فهذه المرة الأولى منذ زواجنا الذي دام خمسة عشرة عاما، أقف أمامه أشق عن صدري وأُخرج جميع أوجاعي وأحزاني التي كان هو السبب فيها.

كنتُ في ريعان شبابي عندما تقدم لخطبتي، بالغة من العمر الواحد والعشرين، لا أزال فتاة جامعية. دامت خطبتنا سنةً حتى أُنهي دراستي. كان يتفنن في إسعادي، يجلب لي الهدايا، يقدم لي ما أحب.

كانت لي أحلامًا وطموحات، ولكنه أسَرني واصطادني في شباك حبه، فهو صياد ماهر يعرف كيف يروِّض فريسته. اكتفيت به ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا. تخليت عن كل شيء، إلا هو.

كنت أحلم باليوم الذي يجمعني به في بيت واحد، لأحظى، ليس بحبه فقط، بل وبه، كي تكتمل علاقتنا ونصبح أنا وهو شيئًا واحدًا.

أحلام فتاة خدعتها أفلام الرومانسية التي أشعلت بداخلها نيران الحب والعشق، كنت لا أدري أنها أفلام وخيالات بعيدة عن الواقع المرير.

ومع أول ليلة زواج، وأنا أراك كالوحش الكاسر الذي يلتهم فريسته بقسوة حتى يشبع لذته وجوعه.

ولم تعطني الفرصة، ولو للحظة، في الاستمتاع بكَ أنا أيضًا!

ولكني لم أبالِ، فظننت أنه هكذا تكون العلاقة، فكيف لي أن أدرك غير ذلك؟!

ودائمًا كنت أنتَ المُبادِر، لأنك ببساطة أنت الرجل، عفوًا قصدت الذكر، فشتان بينكَ وبين الرجولة الحقة.

ماذا تقولين؟ عاد صوته بكثير من الحدة ردًا على جملتي.

واصلتُ قائلة «دعني أكمل ولا تقاطعني».

قلتها بحدة أقوى جعلته يخضع لسماعي دون اعتراض.

أذكر ذلك اليوم، بعد مرور شهر على زواجنا، عندما بادرت أنا، كيف استنكرت ذلك مني قائلًا «لا يجوز للمرأة أن تكون المُبادِرة، فربما يظن زوجها فيها السوء».

السوء! عن أي سوء تتحدث؟!

هل هناك أسوأ مما أوصلتنا إليه؟ ولكني بدوري اقتنعت بكلامك، فأنت الإله الذي يقول وأنا أسمع وأطيع.

ومع الوقت، أصبحتُ كالجثة الهامدة، تعتليها لتفرغ بداخلها حيواناتك التي كانت تشعل بجسدي النيران. كنت أتمنى أن تكون نيران الحب والنشوة ولكنها كانت نيران الحزن والألم!

وبعد أن تنتهي تستدير موليًا، لتنام كالحيوان الذي أنهى مهمته في التهام فريسته لإشباع جوعه، غير مبالٍ بالجراح التي تنزف من الفريسة.

قتلتَ حبكَ داخلي شيئًا فشيئًا، مرة بأسلوبكَ البهيمي في تعاملك معي، بل ربما أكون ظالمة للحيوانات إن شبهتكَ بها، ومرة أخرى بعلاقاتكَ المشبوهة التي كانت تجعلكَ تتسحب من جواري في منتصف

الليل تاركًا وسادتك خالية - وهذا لا يهُم فقد أصبح وجودك من عدمه سواء- لتجري مكالمة هاتفية تتبادل فيها الهمسات والكلام المعسول الذي انتهيتَ عن إسماعه لي بعد مرور شهر من زواجنا، وكأن المهمة انتهت بامتلاكك لي!

كم كنتَ تشك في ذكائي، بل إحساسي؟ وكيف لرجل مثلك أن يعلم شيئًا عن إحساس المرأة؟

دائمًا ما كنتَ تجرح مشاعري غير مبالٍ، وأنت تتغزل في إحداهن في حديثك معي، كم أن فلانة ذكية وأخرى تدير شركة وثالثة جميلة لكنها قوية، وببلاهة مني ظننت أنك تحترم عمل المرأة، ففكرت في أن أعمل، ربما أحظى بالثناء والاهتمام منكَ كما تحظى به العميلات بمكتبكَ؟

وبمجرد أن فكرت في هذا، ثرت عليَّ مستنكرًا تفكيري، طالبا ألا أعاود التفكير في هذا الأمر مرة أخرى.

كم كنتُ غبية ولم أدرك أن الرجال أمثالك يريدون خادمة، بل جارية بالمنزل، مجرد جارية كل مهمتها في الحياة إسعاد سيدها.

وقد أصبحت لكَ هكذا بالفعل، حتى في تفكيري بالعمل، لم أفكر فيه إلا لكيفية إرضائك. كنت لا أدرك أن النساء العاملات في نظر الرجال أمثالك هن للإعجاب، ولا يصلحن لأن يكن جوارٍ؟

تبًا لكم أيها الرجال، لا أعلم إن كان كل الرجال مثلك، أم فيكم من هم حقًا رجال، ولكن ما المهم في الأمر؟ فمثلك كفيل بأن يجعل امرأة مثلي تكره من يُدعَون رجالًا، والرجولة عنهم بعيدة.

ولكن ليس بعد الآن، لن أتحمل أكثر، سوف أتحرر منكَ، لم تعد تمتلكني بعد الآن، من الآن سوف أعيش لنفسي، ولنفسي فقط.

****

وداعُ حُلم

ولاء عبد الرازق

أمام الشاشة الملونة أقف..

أتابع الأرقام المتراصة التي تتغير كل عدة دقائق.

شاشتي السحرية هذه، تنقل لي ما يحدث داخل الأجساد الممددة فوق أفرشة المرض.

تترجم وظائفهم الحيوية لأرقام، وتترجم حيواتهم لإشارات ومنحنيات.

هنا، في هذا الحيز الصغير من العالم.

في هذا الدرب الضيق بين الحياة والموت، بين البقاء أو الرحيل.

هنا، أقضي حياتي.

ممرضة بقسم الرعاية الفائقة بأحد أكبر المستشفيات.

هنا، فوق أسِرَّة المرض، يتجرد العالم من كل مقاييسه ومحدداته.

يتجرد الإنسان من اسمه وعمله، من سلطاته وانتماءاته.

يعود جسدًا، يرتدي أردية ضعفه، ويُسمَى باسم مرضه.

هنا، يتنازل المرء مرغمًا عن مظاهر حياته، ويخلع عنه هالات طال ارتداؤها، من أسوار وثوابت المجتمع.

هنا، تتجلى حقائق الروابط الإنسانية.

فهذه دموع الحقيقة، تذرفها عيون ولد، طالما كانت تدَّعي الاستغناء.

وهذه ارتعاشة لوعة، يختلج بها قلب حبيب كان قد انتوى الرحيل.

وهذه ابتسامة وِد زائفة من صديق جاء مجاملًا.

وهذا غضبٌ مفتعل من قريب ينتظر الإرث الوشيك.

وهذا جزعٌ هائل من نَفْسٍ ترى في الفراق آخرةً لدنياها.

هنا لوحة بديعة الصُنع من مشاعر الخلق.

هنا كتاب سحري من حكايا البشر.

وهنا رأيته، هنا أراه كل يوم من أسابيع طويلة، ذلك العجوز الثمانيني. منحنِ القامة، متوكئًا على عصاه.

أنيق تتجلى في مُحيَّاه وسامة ماضٍ بعيد.

حزين القسمات، رغم عينين مشرقتين تطلان من خلف نظارته وتجاعيد الزمن.

يأتي في اليوم مرتين، في كل موعد زيارة، يتسرب في هدوء إلى جوار فراشها.

هذه المُمَددة في غياهب الغيبوبة العميقة، هي زوجته، هي شمسه التي تغيب ولكنه لا يكف عن الدوران في أفلاكها.

يجلس بجوارها، يحدثها وكأنما تسمعه وتراه، يحكي أخبار الناس وأحداث الدنيا.

يحكي عن أبناء يقل ظهورهم كلما طال أمد المرض، يخبرها كم هم منشغلون.

عن أحفاد يسألون عنها، عن كل يوم فيه يكبرون.

ولا يخبرها عن أصدقاء اختطفهم الموت، أو أقارب ابتلعتهم الغربة.

يُقبِّل يديها في رقة صبي، يمشط شعرها ويربطه بشريط بنفسجي من لونها المفضل.

ويعطِّرها بعطر الياسمين الذي طالما عشقته.

كل يوم يأتي، كل يوم تتحول المرأة العجوز في الفراش إلى لغز سحري.

يود الجميع لو عرفوها قبل المرض،.يود الجميع لو رأوا هاتين الروحين في لحظات سعادتيهما.

في أيامهما الأولى، في جلستهما بشرفة بيتهما.

في رقصهما يوم زفاف ابنتهما، في فرحتهما يوم مولد أول حفيد لهما.

كل شخص يمر في هذا المكان لا يسعه إلا أن يقف أمامهما مُلهَما.

حين يأتي هذا الطبيب العاشق لزوجته، يقف أمامهما في ألم وهو يدعو ربه ألا يأتيه الاختبار في حبيبة عمره وألا يعيش ليودعها.

وحين تمر من أمامهما تلك الممرضة الصغيرة التواقة للحب، تتساءل هل تُراها تستحق حبًا مثل هذا؟ هل سيرسل الله لها حياةً في قلب رجل مثلما أنعم على تلك المسكينة الراقدة؟

أما هذه الطبيبة الثلاثينية رائعة الجمال التي تعلم أن زوجها وحب حياتها خائنًا، فهي تشاهدهما بأعين تختلج فيها دموع الحزن والانكسار، تخاف أن يحين لها يومًا كهذا، فتقضي ما تبقى من نهايتها وحيدة.

يأتي الرجل كل يوم فلا يرحل عند انتهاء موعد الزيارة، ولا يجرؤ أحد أن يطلب منه الرحيل.

يقـرأ لهـا، يقـرأ كلـمات مـن مفكـرة زرقـاء، ربـما هـي كلماتـه، و ربـما كلماتهـا.

ينثر على مسامعها أشعارًا من كتب قديمة.

و يقرأ لها قرآنا، ويكرر آيات السكينة مرات عديدة.

يُسبِّح على عُقلات أصابعها باسم الله الشافي.

يضـع رأسـه فـوق صدرهـا، يرتشـف مـن عطرهـا، يغفـو أحيانـا في هـذا الوضـع وكأنـما يعـود إلى مهـده الأثـير.

يرطِّـب كفيهـا بيديـن مرتعشـتين مـن علبـة كِريـم الفراولـة خاصتهـا، يحتضـن كفهـا مغمضًـا عينيـه.

نتمنـى جميعًـا أن نتسـلل إلى عقلـه في تلـك اللحظـات لننعـم بـما يمـر بهـا مـن ذكريـات العشـق.

نغبـط كلُنـا هـذه المـرأة رغـم محنـة المـرض، ويبـدو لنـا أن مـا عاشـته مـن حـب مـع هـذا العاشـق قـد اسـتنفذ قراريطهـا الأربعـة والعشريـن.

ونشـفق عـلى هـذا العجـوز أضعـاف شـفقتنا عـلى مريضتنـا، فمـع غـرام كهـذا الـذي يحملـه سـتأتي لوعـة الفـراق قاتلـة.

وتنتهي النهاية، يتوقف قلبها عن الخفقان، وتنهار مؤشراتها الحيوية.

يحـارب الأطبـاء والتمريـض لإنعـاش قلبهـا، تتحـرك أجسـادهم وأرواحهـم في اسـتماتة لإنقاذهـا.

وتتسـاقط دمـوع الأسـى مـن أعـين بعضهـم، سـاعة كاملـة وهـم لا ييأسـون، وكأنهـم يعملـون عـلى إنعـاش شـابة في العشرينيـات مـن عمرهـا، وليسـت سـبعينية ترقـد في غياهـب غيبوبـة لا يُرجـى منهـا شـفاء.

هل كانوا يحاولون إنقاذها حقا؟

أم أنهم ينقذون عاشقها العجوز من فراق محتوم؟

أم هو حلمهم جميعًا ما ينقذون؟

وفي حين يبحث البعض عن أرقام هواتف أبنائها لاستدعائهم، نجده وحده أمامنا.، العجوز الثمانيني، بلا عصاه التي يتوكأ عليها، وبلا نظارته السميكة.

مشعث الهيئة، نجده أمامنا.

لم يخبره أحد، ولكنه أدرك وحده، أخبره قلبه، وساقته روحه إلى مرقدها.

أخبرته مدارات روحه أن شمسه قد أفلت، وأن قلبًا كان يحمل اسمه قد توقف عن النبض.

وهنا، هنا فقط، ينهزم الأطباء في معركتهم.

يتحركون في بطء مغادرين مواقعهم حول فراشها، يتركونه وحده ليعيش لحظات الوداع.

يودعها، يودع عمرًا مضى وفرحة ولَّت.

ونودعهما نحن.

نودع حكايةً من سِحر.

نودع حُلمًا.

****

ذاكرةُ جُرم

ولاء عبد الرازق

تتحرك الجدران حولي وكأنما تنوي الانهيار..

يعتصرني البيت الذي طالما احتضنني وكأنما يلفظني.

دقائق طويلة تكاد تخنقني.

ثم يعود كل شيء لطبيعته، تتوقف الحركة ويعود بيتي ناعمًا دافئًا، وأعود أسبح منعمًا من جديد.

مرة أخرى يعود الانهيار، وتعود الاعتصارات القوية، أعنف من المرات السابقة، وهناك خارج بيتي تنطلق صرخات حادة.

إنه صوتٌ أعرفه، صوتٌ أحبه، صوتٌ سمعته ينتحب طوال عمري، وسمعته يبكي، وسمعته يهذي.

و لكن اليوم الأمر يختلف، الصوت يصرخ صرخات عنيفة، ربما كان متألمًا، بل إن الصرخات تبدو مرعوبة، تبدو مُلتاعة.

تزداد الاعتصارات قوة، ويتحرك جسدي بعنف، بفعل انهيار بيتي، تنحشر رأسي بممر ضيق رطب، يضغط الممر على رأسي حتى أشعر به وكأنه يتحطم.

تزداد الصرخات حدة، ويزداد الممر ضيقًا، وتزداد الاعتصارات، لتؤكد لي أن بيتي يلفظني.

ينفلت رأسي من الممر الضيق إلى...، إلى مكان لا أفهمه، إلى فضاء واسع به كائنات كبيرة كثيرة وأصوات عالية.

وينزلق جسدي فجأة خارج الممر هو الآخر، أصبحت كلي خارج بيتي، لفظني منزلي.

أحد الكائنات الكبيرة يحملني، يحركني، يؤلمني بيده على باطن قدميَّ.

صراخ جديد، و.. ، وشيء يتسرب إلى داخل جسدي.

إن الصراخ مِنِّي، وذلك الشيء الذي تسرب إلى جسدي، إنه...، إنه جميل .

أستمر في الصراخ، ويستمر ذلك الشيء اللا مرئي في الدخول والخروج إلى ومِن جسدي، ينعشني، يبث بجسدي القوة بعد هذه المعركة التي خضتها في طريق الخروج من بيتي.

يدثرني الكائن الكبير في غطاء ناعم حانٍ، ولكنه لا يشبه بيتي في الدفء والحنان.

يحملني، يضعني بين ذراعي كائن آخر لا يشبه الأول في شيء، وجهه شاحب وعيناه غائرتان، وجسده مستلقٍ في تعب.

يحرك الكائن الثاني شفتيه، و...، وينتحب.

نَفْس النحيب الذي كنت أسمعه في بيتي طوال حياتي.

ومن جسده أسمع نفس الدقات التي كانت تصاحبني في بيتي، الدقات المنتظمة السريعة الجميلة.

إذن هذا هو بيتي، هذا المخلوق هو بيتي.

ياه.. كم كنت حزينًا مُلتاعًا حين لفظني بيتي.

ولكنني الآن، ها هنا أجده ثانية، أنا الآن مع بيتي، مع الكائن الكبير الذي أحبه ويحبني.

ولكن بيتي لماذا يبكي؟! لماذا ينتحب؟! أليس من المفترض أن يكون سعيدًا فرِحًا هو الآخر لرؤيتي؟

لماذا يُغرقني بيتي بدموعه؟ لماذا كان يبكي طوال الزمان الماضي؟!

لماذا يبكي كل من في هذا العالم؟! لماذا ينتحبون جميعًا؟ لماذا هذا القدر من الحزن يا هؤلاء؟

يضعني بيتي بجواره، يتركني، فلا يَقربني أي من الكائنات الحزينة البكَّاءة.

يظل كياني حائرًا، أبحث عن ذاكرة تحملني إلى ما قبل استقراري في بيتي الذي لتوي لُفظت منه، ذاكرة ما قبل الذاكرة.

ليس عندي سوى ذكري قدومي إلى بيتي.

كان حولي الكثير والكثير ممن يشبهونني، وكنّا صغارًا إلى حد اللا مرئية.

انطلقنا جميعًا بداخل ذلك الممر الذي يشبه كثيرًا الممر الذي عبرته حين لفظني بيتي.

أتذكر أن هذا كان وقتَ سمعتُ صوت بيتي أول مر، صرخات، وعويل، وكلمات مرعوبة تبدو توسلًا.

وبعدها ساد صمتٌ هائلٌ إلا من نحيب بيتي، وتأوهات ألم وعجز وحزن.

والتقيت أنا وأقراني بتلك الكرة الناعمة الكبيرة، رائعة الجمال.

تجذبنا نحوها في رقة، فنظل نحلق حولها، يحاول كل منا الفوز بتلك الفاتنة.

نتعاون جميعًا حتى نصنع بها ثقبًا دقيقًا، أنفذ أنا وحدي منه، ويختفي باقي رفاقي.

أنعم أنا بفوزي، شيئًا فشيئًا أصبح أنا وكرتي كيانًا واحدًا، وكأننا اندمجنا. ونتدحرج سويًا حتى نصل إلى بيتي.

وهناك أرتاح، أنعم بالدفء والحنان والغذاء.

لولا ذلك النحيب الذي لا ينقطع..

لولا ذلك النشيج الذي يعلو أحيانًا..

حزينة مُلتاعة دومًا تلك المخلوقة التي هي بيتي، ولكنني أحبها كثيرًا.

يحملني أحدهم ليضعنا بين ذراعي بيتي، تضع جزءًا ناعمًا لينًا من جسدها داخل فمي.

ألتقمه، يحمل لي سائلًا لذيذًا وكأنه سائل الحياة.

دموعها ما زالت تتساقط على وجهي، تنزلق إلى فمي، طعمها يؤلمني، أبكي وأصرخ أنا الآخر.

هذا ما يفعله الجميع بهذا العالم، ربما إذا فعلت مثلهم أفهمهم.

يمتلئ الفضاء الذي أسكنه أنا وبيتي بكثير من هذه الكائنات.

يُصدرون أصواتًا كثيرة، يبدون غاضبين، أو حَزانى، لست أدري.

أحاول أن أفهم لغتهم، أنصت ولا أفهم.

- «زنزانة»

- « عار»

- « عسكري»

- «ابن حرام»
- « غصب»
- « جامع»
- « شارع»
- « كلاب السكك»

و مع استمرار الأصوات الصارخة يزداد نحيبها، يزداد احتضانها لي، ويزداد الصراخ، وأزداد حبًا لها، فهي بيتي.

****

وَهمٌ

نسرين سليمان

جلسَت هادئة في مكانها تتأمل لهيب الشمعة الخافت أمامها في مطعم فاخر. ظلت ترمقها وهي تذوب وترحل في صمت، تُنير لمن حولها وتضفي على المكان أجواءً رومانسية هادئة. تأملتها تذوب شيئًا فشيئًا، وكانت إضاءة المطعم خافتة، تنزوي في حياء تاركة لأضواء الشموع دور البطولة. امتزجت الأضواء المرتعشة بموسيقى كلاسيكية، ما جعلها تسبح بين أمواج أفكارها، موجة تربِّت بحنوٍ على وجهها الملائكي وموجة أخرى تصفعها بشدة، وأخذت تحدث نفسها، كم تشبه تلك الشمعة، تتلاشى في سكون في محاولات مستمرة لاستمرار الحياة في هذا المنزل الذي طالما تعبت مع زوجها في بنائه. تحارب بشتى الطرق لإسعاد زوجها وصغارها، وأيضًا لا تنسى نصيبها، فهي لا تتوقف عن الكَد في تطوير ذاتها، وقد نجحت في ذلك، فالجميع يشيد بها وبجمالها الرقيق وتفوقها الدراسي وأيضًا نجاحها في عملها وترقيتها عبر السنوات. عملها الدؤوب على تحسين نفسها وعلى حرصها الدائم على تربية أطفالها تربية صالحة، فتنجح بذلك أيضًا في مهمتها كأم.

جلسَت في المطعم القابع في وسط المدينة، كانت تحدق بتركيز شديد في أضواء الشمعة المتراقص على نسمات هواء خفيفة. لو تعلمين أيتها

الشمعة أنه بإنارتك للطاولة تمشين بخطوات ثابتة نحو العدم، نحو النهاية، لكنتِ بالتأكيد آثرتي الركون بلا ضوء، غير مبالية بوظيفتكِ كشمعة. لقد خُلقتِ لتنيرين طريقك نحو اللا وجود، تمامًا مثلي، خُلقت حتى أُسعد من حولي ولكي أقوم بعملي على أكمل وجه وعلى تربية أبنائي الصغار، ولكن هل كنت أعلم أنا الأخرى أنني أدنو بذلك من النهاية؟ نهاية سعادتى، ونهاية حلمى.

«سيدتي، هل تريدين الطلب الآن ؟».. أفاقت على صوت النادل المهذب، وقالت في حزم «لا، إني في انتظار شخص ما». أومأ براسه إيجابًا وهو يبتسم في أدب تاركًا إياها تعود من جديد إلى خيالاتها وتعلو في سماء ذكرياتها.

نعم، إنها تنتظر زوجها، لقد أعدَّت كل العُدَّة حتى تستطيع التحدث معه، فضَّلت أن يتم ذلك بعيدًا عن المنزل وفي غياب الصغار. انتظرته طويلًا وسوف تنتظره لا محالة، لقد انتوت أن تصارحه بما يختلج به فؤادها، إنها تحبه بكل جوارحها ولكنها سئمت حماقاته، وملَّت من انتظارِه وهي تحترق وتذوب تمامًا مثل تلك الشمعة الراقدة أمامها.

عادت تذوب في أفكارها، تذكرت يوم زفافها، كم كانت سعيدة ومبتهجة مُعلنة عن شغفها وبكل خلجاتها، وكم كان هو منطلقًا مُفعمًا بالفرح والحب، وكان حولها المتراقصون على شكل دائرة تتوسطهم هي وحبيبها، لقد جاءوا ليشاركونها ليلتها الساحرة. وتذكرت أيضًا الشهر التالي، شهر العسل، بل شهور العسل، كان دائمًا ما يسقيها من شراب حديثه المُسكِر وحنانه المفرط، وعاشا حياتهما على وتيرة هادئة ولكن يشوبها القليل من المنغصات، حياة أشبه بالروتين، حتى رُزقت بمولودها الأول مما اضطرها أن تقضي معظم وقتها بالمنزل، وهذا الذي

سهل عليها اكتشاف المفاجئة، مفاجئة خبأها لها القدر، واكتشفت أن حبيبها ومن يسكن قلبها، من صارت تحمل اسمه، يخونها. خان حبها، وخان قلبها، خان سنين عمرها. اكتشفت خياناته مرات عديدة، بالمصادفة أحيانًا حينما كان يدعوها باسم معشوقته خطأً، ومرات أخري كانت هي من تعبث بهاتفه المحمول وتقرأ رسائل العشق الأسود. إنه لم يقم حتى بأدني مجهود لمحو آثار جريمته، بل ترك الهاتف برسائله ظانًا أنها لن تكتشف أبدًا كذبه.

سيدتي، هل اتخذتي قرارًا بشأن طلبك؟».. نظرت إلى النادل بعينين واجمتين وألقت نظرة على ساعة يدها، لقد عانقت عقاربها الساعة العاشرة، لقد مضى على موعده أكثر من ساعتين.

«نعم، أرغب في كوب من العصير من فضلك»، أجابته بابتسامة حائرة.

عادت تدور بعينيها في أرجاء المطعم الرومانسي، لقد اختارته بعناية حتى يتسنى لها محادثته في هدوء، هي تحبه وتريد أن تستكمل مسيرة حياتها بجواره، ولكن لا بد من أن تصارحه. كانت تخشى من أن يأتي يومًا إليها معترفًا بأن أخرى قد ملكت قلبه، وبأنها ليس لديها أدنى ذنب في هذا، وأنه أحب تلك الأخرى رغمًا عنه، ولكن حتى تلك المخاوف كانت أفضل بكثير من حقيقة عاشتها لسنوات عديدة.

لم يعشق أخرى، بل أخريات، يسبح معهن في تيارعشق ملعون، كم يعتصر قلبها عندما يعتذر لها لتمضية بعض الوقت مع أصدقائه، إنها متأكدة أنه على موعدٍ مع إحداهن، وتتألم عندما تتخيله معها ويداعبها و...

لقد انقلبت حياتها إلى جحيم الشك والغيرة، وكان ذلك قُبَيل أن

تُـرزق بمولودهـا الثـاني، جحيـم عاشـته بمفرهـا، فلـم تكـن ترغـب في مصارحتـه، وإن كانـت تذكـرت لتوهـا أنهـا ذات ليلـة مـن ليـالي الخريـف، وكان صغارهـا قد غطُّوا في نومهـم، أنهـا طلبـت التحـدث إليـه وأن تمضي في أحضانـه بعـض الوقـت، لم تكـن تنتـوي إشـعال فتيلـة مشـاجرة أو مـا شـابه، فقـط تريـد البـوح بعذابهـا وبمكنـون قلبهـا.

ومـع ذلـك لم تصارحـه، ولكنـه أحـس أن هنـاك شيئًا مـا يعكـر صفوهـا، ولكنـه علَّـل ذلـك بأنهـا ربـما كانـت تشـعر بالملـل، فهـي لا تـزال في إجـازة مـن عملهـا لرعايـة أطفالهـا، فطلـب منهـا أن تسـامحه عـلى تقصيـره معهـا، فظـروف عملـه في مجـال البورصـة تنتزعـه منهـم، وقبَّلَهـا واحتضنهـا في حنـان واستسـلمت هـي الأخـرى لـدفء ذراعيـه، فهـي تحبـه مـلء السـماء بـما رحبـت.

قطـع استرسـال أفكارهـا صـوت رسـالة نصيـة أرسـلها لهـا زوجهـا «حبيبتـي، أعتـذر عـن عـدم مجيئـي، طـرأ ظـرف عاجـل في العمـل، كـم كنـت أرغـب حبيبتـي في ملاقاتـك والتحـدث معـك، ولكنـي سـأدخر ذلـك لحـين عـودتي للمنـزل، وعندهـا سـأقبِّل راحتيـك الرقيقتـين، وأنـتِ غارقـة في أحلامـكِ، أحبـكِ».

كـم تحبـه وتحـب انتقـاءه لعبـارات الغـرام وتعشـق اختيـاره لكلماتـه وإبداعـه في مداعباتـه اللغويـة بـكل تفاصيلهـا. ولكـن لمـاذا اختـار اليـوم تحديـدًا للعمـل، إنهـا تنتظـره بفـارغ صـبرٍ حتـى تُنهـي معاناتهـا، وحتـى لا تضطـر إلى إنهـاء حياتهـما الزوجيـة. تريـد أن تسـتمر في تربيـة أبنائهـما سـويًا ولكنـه يـبرر عـدم اكتراثـه لهـا بعملـه. تبًـا لعملـه ذلـك. وتذكـرت عندمـا لم يمتلـك في بدايـة زواجهـما مـالًا كافيًـا واضطـر أن يبيـع سـيارته، وبعـد فـترة طويلـة قاربـت العـام، قـرر أن يبتـاع أخـرى واضطـرت هـي أن تُقرضـه مـن

مدخراتها، وعلى الرغم من أنها شاركت في أكثر من ثلاثة أرباع ثمنها، إلا أنه كتب السيارة باسمه، كانت تلك من ضمن بعض الإشارات لها، بأنها لا تمتلك قلبه كاملًا، ولكنها ومِن شدة عشقها له، تجاهلت تلك الرسالة تمامًا كمثيلاتها، وجاءت إشارة أخرى عندما اشترى شقة متوسطة في الإسكندرية عقب توفيقه في اختياره الاستثماري لمهارته الشديدة في عمله، اشتراها لتكون مصيفًا لهم وكتبها هي الأخرى باسمه. بخل عليها بها، حتى كهدية عشق أو كرسالة شكر وامتنان.

كم أنتَ أناني يا حبيبي، كنت أتمنى أن تَغرق أنت الآخر في أحضاني ونسبح في بحار حبنا الأبدي، بدلًا من أن تُلقي على مسامعي بعذبِ الكلام وأنت تسبح مبتعدًا عني!

عادت إلى أرض الواقع على إثر رسالة أخرى وصلتها بالخطأ على ما يبدو «تمام يا حبيبتي، خِلصت خلاص من مشوار مراتي، وهقابلك في معادنا، أنا في الطريق».

****

لا

إنجي طارق

هـل هنـاك رجـلٌ مثـل هـذا الآن؟ أم إنـه آخـر الرجـال المُحبـين؟». لا يـزال يحبهـا عـلى الرغـم مـن كل مـا حـدث، لا يـزال يحبهـا عـلى الرغـم مما فعلتـه بـه طـوال هـذا العمـر، لا يـزال يتذكـر حديثهـا الـذي تشـع منـه السـخرية. حـاول كريـم نسـيان كلماتهـا التـي مـا زالـت تـتردد في أذنيـه. كانـت كلماتهـا يملأهـا الغضـب. «هـل سـترفض هـذا العمـل أيضًـا مـن أجـل محاولـة إرضـاء هـذه الفتـاة المدللـة؟»، «هـل سـتترك عملـكَ مـن أجـل هوايـة سـخيفة مثـل هـذه؟»، «أنـتَ السـبب في وفـاة ابننـا بسـبب إهمالـكَ لـه»، «أريـد أن أظـل حـرة دونـك في الحيـاة يـا كريـم»، «مـا هـذا العُقـد البشـع؟ أن لا أحـب هـذا الشـكل». «إنهـا ليسـت فتـاة مدللـة إنهـا ابنتـك التـي رأت حـادث وفـاة صديقتهـا العزيـزة المرعـب أمـام عينيهـا في عمرٍ صغير، إنهـا ليسـت هوايـة سـخيفة بـل إنهـا هوايـة أحبهـا وأفـرِّغ بهـا طاقتـي. إذا أهملـتُ أنـا ابنـي فـماذا فعلـتِ أنـتِ في ابنتـكِ الوحيـدة؟ إذا تريديـن أن تعيـشي بمفـردك فلـماذا تزوجتينـي؟ أنـا لم أجلـب لـكِ الشـكل الـذي تحبينـه؛ لأنني لم أكـن أملـك المـال الـكافي ولكـن عندمـا أصبـح حـالي ميسـورًا اشـتريته لـكِ. أنـا أحبـكِ يـا رشـا ولا زلـت أحبـكِ لدرجـة الجنـون، ولكـن مـاذا فعـل حبـي لـكِ بي؟ لقـد رمـاني حبـكِ في بحـر الظلـمات الـذي كنـت قـد نسـيته مـن بعـد مـا رأيتـك، أحبـك ولكننـي أريـد أن أعيـش

حياتي دونك أو حتى دون روحك وذكرياتك التي تحوطني. قلتِ لي هذا وأنتِ أمامي وأنا كنت أرفض والآن أقوله لكِ وأنتِ حتى لا تستطيعين أن تعترضي على ما أقول، سأرمي هذا العُقد -الذي كنتِ تريدينه وفضلته على حبي- على قبرك؛ لكي أتخلص من مخاوفي، كنتُ أكره نفسي؛ لأني لم أكن أستطيع قول لا في وجهكِ أو حتى التأفف، ولكن الآن لا يا رشا، سوف أنساكِ وأعيش وأحاول أن أكرهكِ». بعد هذه الكلمات سقط كريم على الأرض، فنزلت وراءه ابنته جميلة تصرخ وتبكي وتحاول إيقاظه، فتمتم كريم بكلمات غير واضحة «جميلة أنا أحبكِ، ولكني آسف سأتركك فالله يريدني بجانبه، ولكن لي شرط، أريد أن أكون بجانب رشا حتى عند الممات؛ لأن بعد هذا العمر وهذه السخرية ما زلت أحبها ولم أستطع قول لا لها أو حتى لروحها». لقد ذهب كريم إليها؛ لأنه لا يزال يحبها حبًا جنونيًا مثل حب قيس لليلى، «الحب ليس ضعفًا، بل نحن الضعفاء.

****

مَن أنا؟

إنجي طارق

أيـن أنـا؟ مـاذا أفعـل أنـا هنـا؟ أنـا! مـن أنـا؟ مـن هـذه الفتـاة التـي تتكلـم؟ مـا هـذا الجهـاز الغريـب؟ مـا هـذه الورقـة؟ هـذه الآلـة ستنقلكِ أينما تريدين، حتى تستطيعي أن تعرفي من أنتِ وماذا جاء بكِ إلى هنا. ما هذا الهراء؟ أنا حتى لا أعرف اسمى، هناك مكان للبصمة، سأضع يدي لأرى.

«الاسـم: فريـدة محمـد سـعيد محمـد النجـار. السـن: ٢٧ سـنة. الحالـة الاجتماعيـة: متزوجـة. المهنـة: ممثلـة. أي عـام تريديـن؟ «سـأختار عـام ميـلادي: ١٩٩٠ م. مـاذا يحـدث؟ مـا هـذه الضوضـاء؟ آه، إنـه المـكان الـذي وُلـدت فيـه. هـل هـذا أبي؟ «أسـتاذ محمـد مـبروك بنـت». «الحمـد لله إن فريـدة جـت سـليمة، بـس الأم عاملـة إيـه؟». «الأم ماتـت وقـت الـولادة، آسـف». لقد ماتت أمي عند ولادتى، إذن من هذه المرأة التي توفيت في حـادث مع أبي منذ عامين؟ لقد خُدعت طوال هذا العمر! أريد عـام زواجى؟ «عـام ٢٠١٣ م». هـذا يـوم زواجى، يـوم سعدى. إنها غرفـة زوجى. «أخيرًا هتجوز فريـدة بنت محمد سعيد رجل الأعمال». «هـو إنـتَ مـش بتحبهـا؟». «بحبهـا بـس الفلـوس مطلوبـة برضـو». حتـى الـزواج والحـب خدعـة، حتى أنتَ يـا أحمد خدعـة كبـيرة! أريد عـام ولادة طفـلي، «عـام ٢٠١٤ م «، نعـم بـدأت في التذكـر، هـذه هـي المستشـفى،

«هـا يـا دكتـور إيـه الـلي حصـل؟»، «المدام وقعـت مـن السـلم فالطفـل مـات، وهـي مـش هينفـع تخلـف تـاني»، «أنـا عايـز أي ولـد ضروري أرجـوك، وهنربيـه أحسـن تربيـة»، «خـلاص هاخـد الطفـل بتـاع الغرفـة الـلي جمبكـم»، إنـه ليس طفـلي بـل طفـل هـذه المرأة المسكينة التي رأيتهـا تبكـي بحرقـة عـلى طفلهـا! أنـا أريـد أن أرى كواليـس مسلسـلي الجديـد «عـام ٢٠١٧ م»، «متخافيـش مـش هنديهـا فلوسـها، هنخلـص الشـغل ونطردهـا ونفضحهـا بـس هـي تقبـل بـس المسلسـل». مـا هـذا الهـراء؟ إن أمـي خدعـة، زوجـي خدعـة، عمـلي خدعـة وحتـى طفـلي خدعـة.

هـذه الآلـة هـي الخدعـة الكبـيرة، أريـد أن أعـود إلى حياتـي، أريـد الواقـع الـذي كنـت فيـه، مـا هـذا النـور الكثيـف؟ مـن أنـتَ؟ «مـش لازم تعـرفي أنـا مـين، بـس إنـتِ في يـوم قُلـتِ نفسـي أشـوف الغيـب ونفسـي أشـوف إيـه الأحـداث الـلي بتحصـل في الناحيـة التانيـة وأنـا مـش عارفاهـا، وأنـا حققـت لـكِ الأمنيـة دي»، «أنـا غلطـت وعايـزة أرجـع حيـاتي»، «تمـام بـس المهـم تكـوني عرفـتِ إنـتِ مـين؟» أيـن أنـتَ أيهـا الرجـل؟ مـاذا يحـدث الآن؟ سـأفقد وعيـي.

بعد ساعة..

«فريـدة، قومـي يـا حبيبتـي»، «أحمـد، الحمـد لله، أنـا رجعـت»، «رجعـتِ منـين يـا حبيبتـي؟ إنـتِ بقـى لـك أكـتر مـن ١٢ سـاعة نايمـة، إنـتِ كويسـة؟»، «آه بـس جيـب لي كشـكولي». أمسـكت بالكشـكول وكتبـت اعتـذارًا عـن دوري في المسلسـل الجديـد،ناديـت عـلى طفـلي واحتضنتـه، أمسـكت بالكشـكول مجـددًا وكتبـت «لـو اطَّلعتـم عـلى الغيـب لاخترتـم الواقـع».

****

لَم يَكُن وهمًا

إنجي طارق

استيقظتُ على صوت أمي وهي تغرد كالبلبل الجميل. ذهبت إلى الحمام لكي أتوضأ وأرتدي ملابسي ثم ذهبتُ لأصلي. جلست على الطاولة وأنا أستمع إلى حديث أمي وأبي المعتاد وأشاهد أخي وهو يأكل في صمت، منذ عشرة أعوام وأنا أشاهد هذا المنظر، لم يجذب انتباهي لحديثهما سوى اسمه «علي»، صديقي منذ الصغر، ووالدته صديقة والدتي منذ سنوات الدراسة الطويلة. في طريقنا إلى المدرسة اجتمعوا جميعهم على الحديث عن «علي»، المشكلة أنني وجدتهم يعرفون أسرار لا يعلمها سواي. عندما وصلنا، دخلنا إلى المدرسة وركضت على مكان كرة القدم، ناديت على «علي» فجاء راكضًا «شفتِ يا أمينة اللي حصل؟»، «طنط سنية عرفت إن إنتَ مصاحب، صح؟ »، «عرفتِ منين؟»، «مِن ماما وبابا»، «في الآخر فاطمة سابتني أصلًا»، «غيرانة مني برضو؟»، «آه يا أمينة»، «أنا عندي فكرة بس يلا نطلع على فصولنا». «علي» يكبرني بعامٍ واحد، وعامين في الدراسة، لقد تربينا مع بعضنا البعض ولكن لا توجد فتاة تفهم هذا الوضع، ليس هناك فتاة تفهم أن من تحب «علي» يجب عليها أن تحبني. بعد انتهاء اليوم الدراسي نذهب إلى البيت أنا و «علي»، أما حسن أخي فيذهب إلى الدرس الخصوصي. في الطريق عرضت عليه خطتي الذكية، أُعجب بها

واتفقنا أن ننفذها من الغد؛ لأن الغد يوم عيد ميلادي ويوم مناسب، يمكن أن تكون الفكرة كبيرة عليَّ ولكن «علي» يحب فاطمة ويجب أن أساعده. في اليوم الثاني، بدأنا بتنفيذ خطة تمثيل الحب على فاطمة، كانت فاطمة ستموت من الغيظ ولكن كبرياؤها كان فوق كل شيء. مرت ثلاثة أعوام وأصبح «علي» وفاطمة في الجامعة وأنا في الثانوية العامة ونحن على نفس الخطة، وتزداد فاطمة غيرة ويزداد تعلقي بـ«علي». كنت أحذر نفسي دائمًا أن «علي» يحب فاطمة ويفعل كل ذلك من أجلها، لم يستطع أحد التقرب مني بسبب «علي» على مدار الثلاثة أعوام، سوى «شريف». «شريف» انتقل إلى المدرسة في المرحلة الثانوية وتقرب مني بشكل ملحوظ. مر هذا العام على خير وأصبح «علي» في العام الثالث من كلية هندسة، وأنا في عامي الأول من كلية فنون جميلة، كنت أظن في بعض الأحيان أن «علي» يحبني وتتملك منه الغيرة من ناحية «شريف»، وأنا أيضًا أملك نفس هذا الشعور، ولكن كنت على الفور أقول إن هذا وَهم من العشرة والتمثيل المتقن، كنت دائمًا أقول إن تمثيلنا متقن لدرجة أن الجميع صدقه، حتى أنا، حتى أنا صدقت سرابًا ووهمًا. كنت أجتمع أنا و «علي» كل يوم تقريبًا للكلام عن التفاصيل وما سنفعله في اليوم الذي يليه حتى يوم عيد ميلادي. اتصل «شريف» بي وطلب مني مقابلته وعندما ذهبت، وجدت المكان مجهزًا بشكل جميل والورود تملأ المكان. «إيه اللي بيحصل يا شريف»، « تتجوزيني؟؟». عندما سمعت هذه الكلمات ركضت إلى الخارج، لا أعرف إلى أين أذهب؟ فذهبت إلى بيت «علي». عندما فتح الباب، دخلت وأنا مبتسمة، أخبرته بـ«شريف» وطلبه الزواج مني، استقبل هذا الخبر بغضب وعصبية مبالغ فيها وعندما سألته عن السبب هدأ واعتذر لي «مبروك يا أمينة»، «وفاطمة إيه بقى مفيش أخبار»،

«خطوبتي أنا وفاطمة الخميس اللي جاي يا أمينة». أسوأ عيد ميلاد في حياتي؛ لأنه دون «علي» معي، مثل الأربعة أعوام السابقة. في يوم الخطوبة، ارتديت فستانًا أسود وكنت أبكي وكلما زادت المباركات كنت أبكي أكثر، لا أحد يعلم لماذا، فإن «علي» صديق الطفولة. جاء شريف فوقفنا في الخارج وفجأة وجدت «علي»، جاء وخلع البيبون ودبلة الخطوبة وجاكيت البدلة وقال لـ»شريف» شيئًا في أذنه فترك المكان. أمسك «علي» بيدي وأنا أبكي ولكن من الفرحة، وجدت «علي» ينظر لي في عيني وهو يقول «عندما بدأنا التمثيل كنتِ صديقتي وعندما ظهر شريف في الصورة، بدأت الغيرة، كنت أظن أنها غيرة صداقة وكنت أسمعكِ تقولين دائمًا أن ما نشعره سراب ووهم، وأنا كنت أقول ذلك أيضًا، حتى اليوم اكتشفت أن مشاعرنا حقيقة يا أمينة، اكتشفت اليوم أن ذلك لم يكن وهمًا».

****

صُدفة

نسرين سليمان

كانت كل صباح تذهبُ إلى عملها باكرًا، وتُلقي بابتسامتها الرقيقة على كل من يقابلها في حيِّها، من جيران وأصحاب محال، وكانت كالملاك يمشي على الأرض. ملامحها هادئة رقيقة جميلة. كانوا يسمونها وجه الملائكة، وساعدها في هذه التسمية عملها في المستشفى كطبيبة.

مصادفة غريبة جمعت بينهما في صمت. كانت دائمًا تمر من شارع منزلها متجهة إلى عملها، ويجمعهما نفس الوقت، فكان هو يقف دائمًا عند ناصية ذات الشارع ينتظر بشرود سيارته الأنيقة حتى تقلَّه هي الأخرى إلى عمله في المصرف، حيث يرأس فرعًا من فروعه المائة بوسط المدينة.

كان يراها كل يوم ويستقبل ابتساماتها بلا مبالاة، وهي لا تلقِ له بالًا، فكانت برغم هدوئها غارقة في بئر أفكارها من مرضى وأمور حياتها الاعتيادية.

ظلت الأيام تتوالى بهما، متشابهةً، كل صباح تمر عليه وعلى وجهها ابتسامتها الطبيعية مرسومة بجمال وإتقان على وجهها الملائكي، ويرسل إليها هو نظراته الشاردة، حتى تخلَّل أفكارها.

تُرى من هو؟ وماذا يعمل؟ وما اسمه؟ وتسللت في خفاء هي

الأخـرى إلى قلبـه وظـل يسـال نفسـه، تـرى مـن تكـون تلـك الحسـناء الباسـمة؟ كـم كان أنيقًـا ووسـيمًا وكـم كانـت جميلـة ملائكيـة. تعلَـق بهـا وأحبتـه هـي في صمـت، حتـى أنهـما كانـا ينتظـران تلـك اللحظـات الصباحيـة حتـى يرتـوي مـن نبـع حبهـا، وهـي تسـتغرق في أمـان نظراتـه. ومـرت الأيـام حتـى اتخـذ قـرارًا بـأن يتحـدث إليهـا، وقـد كان. انتظرهـا وظـل يراقبهـا تتجـه إليـه مـن بعيـد، ومـا إن اقتربـت منـه ألقـى عليهـا تحيـة الصبـاح، فنظـرت إليـه وحيتـه بدورهـا. كـم هـي جميلـة ملامحهـا، هـي بالتأكيـد ليسـت بـشرًا، وكـم هـو هـادئ يحمـل في عينيـه دفئًـا بسـيطًا.

تعارفـا أكثـر وتقاربـا، وبـدأ الحـب الصامـت يـصرخ، حتـى جـاء اليـوم الـذي طلـب فيـه منهـا أن تصبـح شريكـة حياتـه، فتراقـص قلبهـا فرحًـا وذاب بـين كلماتـه المُحبـة. ذهـب إلى أهلهـا وطلـب منهـم أن يهـدوه جوهرتهـم ووافقـوا، فهـي لا تنفـك تحكـي لهـم عـن حبهـا ورغبتهـا في اسـتكمال طريقهـا تحـت ذراعيـه.

وتزوجـا، وقدراتـه الماديـة سـمحت لهـما بالسـكن في نفـس الشـارع الـذي جمـع عشـقهما الصامـت. وعـادت تذهـب إلى عملهـا كل صبـاح بابتسـامتها الرقيقـة ولكنهـا متعلقـة بذراعـه.

****

ليلة سعيدة

هبة زنون

تدفقت أشعة الشمس الفرِحة عبر نافذة المطبخ العريضة، بينما وقفت ندى أمام الطاولة المربعة تضع اللمسات الأخيرة على كعكة عيد الميلاد. لقد أصرَّت أن تصنعها بنفسها تعبيرًا عن حبها وتقديرها العميقين لأبيها. وبينما هي منهمكة كليةً في عملها، دخل عليها ابنها الأصغر مصطفى، ذو السنوات الثَمان، وهو يقذف بكرته الصغيرة من إحدي يديه إلى الأخرى. أخذ يتحدث إليها بصوت مرتفع أزعجها فوبخته، بعد أن أعيتها كل الحيل في السابق عن صرفه عن هذه العادة. أخبرها أنه عرف هديتَيّ أختَيه وأولاد عمَّيه، فأمرته ألا يخبر جده بما عرف، كعادته في عدم الكتمان، حتى لا يفوِّت عليه المفاجأة.

لقد خططت ندى مع أسرتها وأبناء أخويها لهذا الحفل العائلي، الذي سيكون مفاجِئًا لأبيها، لأنهم أرادوا أن يُدخِلوا على قلبه بعض الفرح والسعادة، فلم يكن ما مر به خلال العامين الماضيين هينًا بالمرة. لقد فقد ابنه الأكبر كامل في حادث طائرة، وكانوا جميعهم يعلمون أنه كان الابن الأثير لديه، بل إن كاملًا كان شخصًا محببًا لدى الجميع، وذلك لفرط حنانه، وعطائه المتدفق لكل من حوله. لقد تركت وفاته جرحًا غائرًا في قلب أبيه، الذي بكاه أشد ما يكون البكاء. وما زاد من مأساة هذا الموقف العصيب، أنه كان قد فقد

زوجته قبل ذلك الحادث بخمسة أعوام، فلم تشاطره ألمه، وقد كانت رفيقة دربه الودود المخلصة، والشريكة له في السراء والضراء. وألمت به وعكات صحية منذ فقدانه كامل، كان أشدها آخرها، ونجا منها بعد أن كان على شفير الموت. وفي أثناء ذلك المرض الأخير، انشغل أحباؤه بالدعاء المتواصل له، فاستجاب الله لدعائهم، وأخرجه من حلكة المرض المميت. وقررت الأسرة أن يكون احتفالها بذكرى ميلاده هذا العام استثنائيًا، فقرروا أن يخالفوا القواعد الصارمة التي فرضها عليهم على مدار السنوات الفائتة، إذ كان ممنوعًا عليهم إحضار كعكة عيد ميلاد أو هدايا له، لأنه كان يري نفسه دائمًا كبيرًا على مثل هذه الأمور، إضافة إلى أنه كان يري أن الهدايا تشكل عبئًا على مُقدِميها، ليس فقط من ناحية التكلفة المادية، ولكن أيضًا بسبب الحيرة التي تصيبهم خلال البحث عن الهدية الملائمة. ونظرًا لكل ما مر به، ولأنهم رأوا أنه في أمس الحاجة إلى الإحساس بالحب والاهتمام، فقد وجدوا أن ترتيب حفل مفاجئ له في اليوم السابق لذكرى ميلاده، مع تقديم الهدايا التي رأوا أنها يمكن أن تُدخل السرور على قلبه، يمكن أن يكون لهما أثرًا إيجابيًا على صحته النفسية، ومن ثَم صحته البدنية، التي أصبح الخوف عليها يشكل هاجسًا لديهم.

أخبرته ندى أنها سوف تعد عشاءً عائليًا هذه الليلة، يتضمن صنوف الطعام التي يفضلها، وأنها سوف تنتظره لتزدان الجلسة به.

هلل الجميع وصفقوا فور وصوله مساءً مع حفيده كريم، نجل أصغر أبنائه علي الذي يعمل ويقيم في الخارج مع زوجته، وكان قد مر على جده ليصحبه في سيارته إلى بيت عمته. كان الجميع في انتظارهما، ندى وزوجها، وابنتاها الكبيرتان، ومصطفى الصغير، وعادل نجل كامل المتوفي. جلس وسطهم سعيدًا مبتهجًا بحضورهم جميعًا، وأخذ

يداعبهم ويداعبونه بعبارات مرحة. كان رغم أحزانه يفضل الابتسام والمرح في أثناء تواجده وسط الأهل والأصحاب، حتى لا يكون مصدر هَم ونكد لمن حوله، فيكفيهم ما تحملوه خلال فترات مرضه. وكانوا لشعورهم بحرصه على رفع أحماله عنهم، يحاولون إسعاد قلبه من الداخل.

مضت ثلاثة أرباع ساعة وهم يتحدثون في شتى الأمور، فتارة يعلق مع ابنته وزوجها على حدث سياسي ما، وتارة يحكي أحد الأحفاد عن آخر موقف طريف تعرض له، وكاد مصطفى الصغير أن يفضح المخطط لولا نظرة الزجر التي رمته بها أمه.

أعدت ندى مع ابنتيها كل شيء، ثم دعت الجميع لتناول العشاء على مائدة الطعام. كانت الجلسة العائلية حول الطعام من أروع ما يكون، فقد بذل الجميع جهدهم لكي يكون المرح والبهجة هما الروح السائدة في هذه الليلة الاستثنائية. كان الجد هو محور الاهتمام والرعاية. وبعد أن انتهوا من تناول العشاء، ساعدت الفتاتان أمهما مجددًا في إزالة آثار الطعام عن المائدة، بعد أن طلبت الأم من الجالسين أن يظلوا في أماكنهم حتى تأتي بأطباق الحلو.

صفق الشباب حين هلَّت عليهم ندى، حاملة الكعكة بيديها وقد غُرِسَت في وسطها شمعة صغيرة مشتعلة. نظر أبوها صوبها وأدرك على الفور أنه هو المقصود بهذا الحفل، فاتسعت ابتسامته، وبدا عليه الامتنان من نظراته التي وزعها على الجميع شاكرًا إياهم بما هو أعمق من الكلمات. وحين وضعت ندى الكعكة على المائدة، نظر إليها بحنان قائلًا:

– أتعبت نفسكِ يا ندى. هذه الكعكة صُنع يديك.

أقبلت عليه ابنته وقبَّلت وجنتيه ورأسه ويده، وقد اغرورقت عيناها بالدموع. لاحظوا لمعة عينيه وخشوا عليه من التأثر الشديد. لم يتوقع أن يزيد الأمر على ذلك، لكنه تفاجأ بغنائهم له، فضحك مسرورًا بما يفعلونه، وبرغم تعليماته السابقة لهم بخصوص هذه المسألة. وبعد أن تناول كل منهم حصته من الكعكة، عادوا إلى غرفة المعيشة حيث استأنفوا حواراتهم اللطيفة، ولم تنس ندى أن تعد لوالدها كوب الشاي، الذي يعد مشروبه المفضل على الإطلاق، ثم كانت المفاجأة الكبرى له، حين اختفى الأحفاد في مكان آخر من البيت، ثم عادوا محملين بالهدايا، التي اختاروها بعناية. شعر بالإحراج الشديد ولكنه في داخله كان مغتبطًا بكل ما يجري، لما تحمله مظاهر هذا الاحتفال الاستثنائي من أمارات الحب والاهتمام والحنان. وفي أثناء ما كان يفتح الهدايا تحت إلحاحهم، اختفت ندى بدورها لثوانٍ، ثم عادت بهديتها التي كانت عبارة عن قميص كلاسيكي من الطراز الذي يفضله أبوها. لاحظ أن حفيده عادل ظل جالسًا مكانه لم يأت له بهدية مثل الآخرين. لكنه شك أن في الأمر شيئًا، أولًا لأن عادل لم تكن لتفوته المشاركة في مثل هذا العمل الطيب، خاصة وأنه شاب طيب ودود، مثل والده الذي توفاه الله، وثانيًا لأنه كان يعلم أنه يتمتع بمكانة خاصة لدى جده، وإن لم يفصح جده عن هذه الحقيقة جهرة أمام الباقين، حتى لا يغار باقي الأحفاد، وهم كلهم قطعة من قلب جدهم المُحِب.

كان الجد قد وصل إلى أعلى درجات الاسترخاء والراحة وهو يرتشف الشاي من كوبه باستمتاع شديد. وفي هذه اللحظة خرج عادل عن صمته ووجه إلى جده سؤالًا:

– أنا أعرف يا جدي أنك عاشق للشاي، وقد قصصت عليَّ حكاية الشاي وأنا صغير، ولكني نسيتها، فهل لي أن أسمعها منك مجددًا، فأنا أذكر أنها كانت قصة لطيفة.

ابتسم الجد وتطلع في وجه حفيده قليلًا، ثم قال وهو يهز رأسه:

– قصة الشاي.. نعم، هي قصة لطيفة فعلًا ولكنها لا تخلو من طرائف. فهي تحوي مزيجًا بين الحقيقة والأساطير، فمما يُحكي أنه في وقت ما قبل الميلاد اكتشف الشاي أحد الأباطرة الصينيين، وقد كان عالمًا أيَضًا، وكان ذلك عن طريق المصادفة، حيث كان يجلس في حديقته يغلي بعض الماء، ثم سقطت ورقة من شجرة برية في إنائه، وحين ذاق هذا الماء الذي اختلطت به ورقة الشجرة، أعجبه المذاق كثيرًا واستمتع بالمشروب، وشعر بالانتعاش والقوة يسريان في عروقه، وقد دفعه ذلك الحادث الحسن الذي وقع مصادفة إلى إجراء أبحاث على هذا النبات، واكتشف أن للشاي خصائص طبية معينة. هذه بالطبع واحدة من الأساطير. وهناك أسطورة أخرى هندية تَنسُب اكتشاف الشاي إلى أحد القديسين الهنود، والذي كان أميرًا، ثم ترك الهند للدعوة إلى البوذية في اليابان، ولإثبات بعض المبادئ التي يدعو إليها، أخذ على نفسه عهدًا بالتأمل لمدة تسع سنوات، وعندما اقترب من نهاية تأملاته، غلبه النعاس، وعندما استيقظ أصابته حالة هياج، لدرجة أنه قطع جفنيه، ونشأت شجرة شاي من المكان الذي سقط فيه جفناه الملطخان بالدماء على الأرض، كتقديس للتضحية التي قام بها.

سرت ضحكات خافتة على الحكاية الأخيرة لطرافتها، وسأل مصطفى الصغير على سبيل المشاكسة:

- يعني أنا لو سقط مني شيء مثل رمشي، يمكن أن تظهر مكانه شجرة؟

لكزه أحد الشباب في كتفه مداعبًا إياه، وبرغم أن الجد كان يدرك أن ما قاله حفيده الصغير، هو مجرد مزاح، إلا أنه أراد أن يبين له بوضوح شيئًا ما، فقال له:

- لا يا مصطفى، في هذه الحالة لن تنبت شجرة. إن ما قلته ما هو إلا أسطورة، والأسطورة حكاية خيالية لا تحدث في الحقيقة، أما الحكاية الحقيقية فهي ما حدث بالفعل وليس في الخيال. واستكمالًا لقصة الشاي، فإنني سأذكر الآن الحقائق وليس الأساطير. فعلى الرغم من صعوبة معرفة التاريخ الحقيقي لظهور الشاي، إلا أنه من المرجح أن نبتة الشاي كانت موجودة أصلًا في جنوبي غرب الصين، والتبت، وشمال الهند..

هتف مصطفي من مكانه قائلًا:

- ما هي التبت؟

قال الجد وقد اندمج في حديثه تمامًا:

- سوف أخبرك لاحقًا يا مصطفى ونحن نشاهد خريطة فيها صورة العالم.

ثم استأنف كلامه قاصًا عليهم الجانب الحقيقي من تاريخ مشروبه المفضل، وهو مستغرق ومستمتع بما يسرده.

ابتسموا جميعهم له، وأردف عادل قائلًا:

- إنني أتذكر يا جدي أنه كان لك صديق يأتي إليك بأفضل أنواع الشاي في الهند، وكان نوعًا مفضلًا لديك.

- نعم يا عادل. ألا زلت تذكر يا بني؟ لقد تقاعد صديقي هذا ولم يعد يسافر كما كان في السابق. ولكنه يوصي لي دائمًا أي شخص يعرفه مسافرًا إلى هناك، بإحضار هذا الشاي إليَّ، مع أن ذلك أصبح يتم على فترات متباعدة للغاية، وبخاصة أنه أصبح مشغولًا بشؤونه الصحية. شفاه الله وعافاه.

ابتسم عادل ابتسامة غريبة وقال كلمة واحدة:

- حسنًا.

ثم التفت بجِزعه وانحنى ليلتقط شيئًا من الأرض، كان موضوعًا في مكان مخفي بجوار مقعده، ورفع يده التي كانت تحمل حقيبة بلاستيكية أنيقة بدا أنها من خارج البلاد، ثم قام وتوجه نحو جده وانحنى على رأسه يقبلها، وقال:

- أرجو يا جدي أن يكون هذا وافيًا بالغرض.

ربَّت الجد على كتف حفيده وهو غير متأكد بعد مما تحويه العبوة التي يمسكها بين يديه. فتحها برفق وأخرج منها علبة، ولم يستطع أن يحبس دموع التأثر في عينيه، فسالت على خديه ووجهه يحمل ابتسامة حنون في ذات الوقت، حملت كل معاني الحب والتقدير. لقد أتى له عادل بالشاي المفضل لديه من الهند، وهو يعلم جيدًا أنه باهظ الثمن، وأن حفيده الرائع لم يبخل في سبيل إسعاد جده وإدخال البهجة إلى نفسه.

صفق الحاضرون مغتبطين، وتأثروا للإيماءة الرقيقة التي صدرت عن عادل ولتأثر جده بها.

تمنى الجد أن يَثْبُت الزمن عند هذه اللحظة، فبعد أوقات الألم الفارقة التي عاشها، وقلبت حياته رأسًا على عقب، أصبح شعوره

بقيمة لحظات البهجة مع من تبقوا من أسرته، يفوق في قوته ما كان عليه في الأوقات الماضية. وبرغم أنه رغب في أن تطول الجلسة بمزيد من الأحاديث المبهجة التي يتبادلها أفراد العائلة، إلا أنه أشفق على ابنته، التي كان النعاس يغالب جفنيها، فأعلن رغبته في الانصراف، رافضًا الاستسلام لإلحاح ابنته على مبيته عندها، ومذكرًا إياها أن الخادمة سوف تأتيه في الصباح الباكر، وعليه أن يكون متواجدًا حتى يستقبلها لترتب معه بعض الأشياء في منزله.

كان سعيدًا للغاية لأن عادل هو الذي رافقه في رحلة العودة إلى المنزل، حيث سيبيت معه، إذ يتناوب أحفاده المبيت معه حتى لا يتركونه وحده، بعد أن أصر على عدم مغادرة منزله والإقامة في بيت أي من أبنائه. وظلا كلاهما يثرثران طوال الطريق، إلى أن وصلا ودخلا البيت وتبادلا تحية قبل النوم.

نام الجد ليتله قرير العين، واستيقظ في الفجر منتعشًا مسرورًا، فصلى صلاة الفجر، وجلس مسترخيًا في مقعده المفضل، يحمد الله ويثني عليه، وقد تغلغل السلام والسكينة في كل ثنايا نفسه.

****

كائنةٌ من الماضي

هبة زنون

وصل بها السائق إلى المنزل، وكانت أذيال النهار لا تزال باسطةً بقايا الضوء التي تسبق الغروب. نزلت مُنى من السيارة وسارت بخطى وئيدة نحو باب المنزل، وقد بلغ منها الإرهاق مبلغه. لم يكن الإرهاق بدنيًا فحسب، بل كان للنفس نصيبٌ منه. فتحت لها الخادمة الباب ودلفت هي إلى الداخل. وقفت مكانها وجالت ببصرها في أرجاء المنزل الفسيح، المزدانة أركانه بأفخم الأثاث، والمكسوة نوافذه بأغلى الستائر. رفعت رأسها إلى أعلى متطلعة إلى الثُريَّات البلورية المتدلية من السقف. ابتسمت ابتسامة خفيفة لا تخلو من سخرية. كانت سخرية من نفسها، ومما اشتعل بداخلها يومًا من أحلام كبيرة تحققت فيما يشبه غمضة العين، ومع ذلك لم تنعم بكل الراحة التي ظنت أنها ستلازمها عقب تحقيق تلك الأحلام. لم تختلف عادة الأيام معها عن عادتها مع سائر البشر. فتارة تحمل الحلاوة في طياتها، وتارة تكون المرارة طعمها. ثم ها هو يجيء اليوم الذي أحرزت فيه، من وجهة نظرها، واحدًا من أهم انتصاراتها بالنسبة إليها. لقد قابلتها من دون توقع لهذا اللقاء.

كان زوجها رجل الأعمال المهم، قد أخبرها أنهما سيتناولان الغداء مع أحد رجال الأعمال المصريين المقيمين في دولة أجنبية، وأن ذلك الرجل يريد أن يستثمر جزءًا من أمواله في الوطن، كما أنه سوف يحضر زوجته معه إلى الغداء، وهي كما هو معروف عنها سيدة راقية النشأة. وقال لها زوجها أيضًا إن من اللياقة أن تَحضر هي معه لتسلي زوجة الآخر وتتسلى معها. لقد أصبح هذا الدور يضجرها كثيرًا بعد أن اعتادته، برغم فرحتها به في بداية عهدها بالزواج. ومع ذلك، فهي لا تحب أن ترفض طلبات زوجها، متى لم يوجد سببٌ قوي لعدم تلبيتها.

اختارت ثوبًا من ثيابها العديدة الباهظة لتحضر به المقابلة، وحضر إليها مصفف الشعر ووضع لمساته الاحترافية لتبدو في النهاية كأميرة. رآها زوجها وقد أنهت استعداداتها، وبدا عليه الاستحسان والارتياح. كانت تضع قلادة مناسبة لوقت الغداء، مع بعض الأساور والخواتم، فقد كانت تعشق المجوهرات بمختلف أنواعها وأشكالها.

حين وصلا إلى المكان الذي سيتقابلان فيه مع الرجل وزوجته، أشار لها زوجها إلى إحدى الطاولات الملاصقة لنافذة المطعم العريضة. وجَّهت بصرها إلى حيث أشار، فاصطدمت عيناها بالمرأة الجالسة بفخامة إلى جوار زوجها. باغت مُنى شعور قوي بعدم الارتياح، لم تعرف سببًا واضحًا لهذا الشعور إلا أن وجه هذه السيدة يذكرها بشيء ما لم تدرك كنهه في الحال. اقتربا من المائدة، وتصافح الأربعة مع إبداء القدر المناسب والمطلوب من المودة والتهذيب. بدأ الكلام بينهم ببعض المجاملات واللغو الذي يمهد لخوض المناقشات العملية. انشغل الرجلان بحديثهما ولم يبق أمام السيدتين سوى أن تنشغلا بدورهما في أي حديث لإضاعة الوقت. تكلمتا حول موضوعات عامة،

وما إن عرفت منى اسم محاورتها، حتى قفزت إلى ذهنها على الفور صورة من الماضي البعيد، الذي تتراقص خيالاته من حين لآخر في ذهن المرء، وقد يثير بعضها في نفسه مشاعر اضطراب وانقباض، أو في أحيان أخرى مشاعر مبهمة من الفرح والنشوة، إلى أن ينزاح الضباب عن الصورة فتتجلى واضحة المعالم ويتجلى الشعور بالذكرى كأوضح ما يكون. كانت الصورة التي قفزت إلى عقل مُنى هي لطفلة صغيرة بشعر أسود مصفف على شكل ذيل حصان طويل. أدركت في الحال سر عدم الارتياح الذي داهمها فور رؤية هذه السيدة. إنها تلك الذكرى القديمة التي تعود إلى عهد الطفولة، ولكنه ذلك النوع من الذكريات الذي يترك أثرًا غائرًا في النفس. صمتت لثوانٍ كي تشاهد في عقلها شريط الذكريات الذي عرض أمام عينها الداخلية صور وأصوات قديمة عايشتها وهي بعد تلميذة صغيرة في المدرسة.

لقد كانت مُنى من أسرة بسيطة الحال، تعمل بكَدٍّ كبير لتدبير أمورها المالية حتى نهاية الشهر واستلام راتب الشهر الجديد، ومع ذلك، فقد حرص والداها كل الحرص على التضحية بأي شيء تمكن التضحية به حتى تحصل ابنتهما على أفضل تعليم ممكن، وكانت أميرة، تلك الطفلة التي أصبحت الآن امرأة ناضجة تتجاذب معها مُنى أطراف الحديث بصبغة رسمية، إحدى الفتيات المنتميات لأسر ثرية، ولكنها كانت تختلف عن غيرها في غرورها الواضح، وشعورها المفرط بالتميز. كانت طفلة شديدة الدلال، طلباتها مُجابة دون حساب. أما مُنى، فبرغم أنه لم يكن يتيسر لها الحصول على كل ما تبغي نظرًا لضيق ذات اليد، فإنها لم تكن تشعر بالإهانة إذا ما رأت لدى غيرها ما لا تمتلكه وإن تاقت نفسها أحيانًا لامتلاك مثله، ولكن الإهانة بدأت تعرف طريقها إليها حين أخذت أميرة، الطفلة المغرورة، تسخر منها

ومـن أشـيائها الرخيصـة. وكانـت الكلـمات الحـادة والسـخرية اللاذعـة شـديدة الإيـلام لطفلـة تتفتـح على الحياة مثـل الزهـور، وأقصى مـا كانـت تستطيعه مُنى هـو أن ترتمـي باكيـة في حضـن أمهـا، التـي كانـت تهدهدهـا وتخبرهـا أنهـا أفضـل مـن الأخـري بأدبهـا وأخلاقهـا، وأنهـا يومًـا مـا بـإذن الله سـوف تمتلـك كل مـا تتمنـى. حملـت مُنـى هـذه المشـاعر السـلبية بداخلهـا، ودارت الأيـام وكـبرت الفتاتـان قليـلًا، وكـم كانـت راحـة مُنـى كبـيرة حـين عرفـت أن غريمتهـا سـوف ترحـل مـع أهلهـا إلى بلـد أجنبـي لأن الأب سـوف ينقـل عملـه إلى هنـاك. مـرت سـنون ونضجـت مُنـى وصـارت فتـاة شـابة تتمتـع بقبـول شـديد مـن المحيطـين بهـا. وعـلى الرغـم مـن تحسـن أوضـاع أبيهـا الماديـة نوعًـا مـا، إلا أن ذلـك لم يكـن بالدرجـة التـي تمكنهـا مـن اقتنـاء كل النفائـس التـي كانـت تحلـم بهـا. ولمـا وصلـت إلى عامهـا الأخـير بالكليـة، تمـت خطبتهـا إلى شـاب يكبرهـا بعـشر سـنوات، لم يكـن مـن أسرة غنيـة بـدوره، ولكنـه كان نابغًـا في مجـال الأعـمال التجاريـة، واسـتطاع في وقـت قصـير نسـبيًا أن يعقـد صفقـات رابحـة حققـت لـه درجـة مـن الثـراء شـكلت أحـد العوامـل الأساسـية التـي دفعـت مُنـى إلى الموافقـة على الـزواج منـه. كان زوجهـا شـخصًا جيـدًا بشـكل عـام، ولكنـه كان منغمسًـا بشـكل شـبه كلي في عملـه لينتقـل مـن ربـح إلى آخـر، وبرغـم شـكواها أحيانًـا مـن هـذا الوضـع، وبرغـم شـعورها بالضجـر الـذي كان يشـتد عليهـا أحيانًـا، إلا أنهـا لم تنكـر أمـام نفسـها أنهـا أحبـت هـذه الحيـاة، وأنهـا أصبحـت تملـك أشـياء كثـيرة، وبخاصـة المجوهـرات، التـي كانـت عشـقها الأول، وأن مـا مـن إنسـان ينـال كل مـا يتمنـى في آن واحـد، فـإذا مـا حـاز المـرء شـيئًا، وجـب عليـه أن يدفـع مقابلـه شـيئًا آخـر.

عـادت مُنـى فجـأة مـن رحلـة شرودهـا، وقـد تملكهـا شـعور بالاضطـراب ووجـدت بعـض المشـاعر القديمـة طريقًـا إلى الخـروج مـن جديـد لتتسـبب

في إزعاج لُمنى في ذلك الوقت غير المناسب، وشعرت بالإحراج حين استشعرت الدهشة على وجه أميرة من طول تحديق مُنى فيها. لم تشعر أن أميرة تذكرتها كما فعلت هي، وحتى تتخلص من الارتباك الذي أصابها من أثر الذكرى والموقف الحالي، صرفت انتباهها إلى مشاهدة المكان الذي تجلسان فيه، وعلقت عليه ببعض العبارات القصيرة. لم تكن مستمتعة كثيرًا بالجلسة، بالتأكيد لقد تغيرت أميرة نوعًا ما. لقد أصبحت سيدة ناضجة لا تفصح عن غرورها بذلك الأسلوب الطفولي الساذج، ومع ذلك، فقد استشعرت مُنى شيئًا من التعالي في نظراتها، أو هكذا هُيئ لها، ولكنها في الحقيقة راعت أصول اللياقة والذوق في حديثها مع مُنى كدأب أية امرأة راقية تجيد أفانين التعامل في المحافل المختلفة، وخصوصًا مع من ترى فيهم علامات التكافؤ معها. والمثير أيضًا ما لمحته مُنى من انكسار خفي وراء هذه الواجهة المرسومة بعناية. لم يكن من المتاح طبعًا أن تعرف سببه وإن كاد الفضول أن يقتلها لأن تعرف. على أية حال، هذه هي الحياة، لا تعدم طريقة تكسر بها أنوف الجبابرة!

مع انتهاء الغداء، كان الرجلان قد قطعا شوطًا جيدًا في التمهيد لصفقتهما القادمة. تصافح الأربعة مجددًا استعدادًا للانصراف، وتبادلوا التحيات على أمل عقد لقاء آخر قريب. طلب زوج مُنى من السائق أن يوصله إلى شركته لاستئناف بعض الأعمال، وعادت مُنى إلى بيتها الكبير، ووقفت تشاهد ما حولها وتبتسم لنفسها ابتسامة خفيفة لا تخلو من سخرية.

****

فلسـفة الدوران

شيماء الصغير

بِتُّ شـاخصًا نظـري أتطلـع إلى لآليء السـماء اللامعـة في ليلـةٍ لم يكتمـل فيهـا دوران القمـر، مأخـوذًا بصـوت الكـروان الـذي يَنـدُر أن تسـمعه وسـط صخـب وضوضـاء المدينـة، فقـد أُتيحـت لي فرصـة التواجـد في أجـواء ريفيـة هادئـة مـع مجموعـة مـن الأصدقـاء للخـروج مـن دوامـة الروتـين والحيـاة العمليـة المُملّـة.

وإذ بي أفكـر بـأن القمـر يـدور حـول الأرض والأرض تـدور حـول الشـمس والشـمس مركـزٌ لـدوران الكواكـب والكواكـب تـدور في الأجرام السـماوية، سـبحانه، مخلوقاتـه تـدور في فلكـه؛ فنحـن نطـوف حـول بيتـه الكريـم للتعبُّـد، والدراويـش يقومـون بالـدوران للذكـر والتأمـل فتَسـمُوا أرواحهـم ويتواصلـون مـع الله في دورانهـم.

هبَّـت نسـائم الصيـف الحانيـة برائحـة مسـك الليـل الـذي عبَّـأ أنفـاسي وعَطِـرَت أُذني عـلى موسـيقى قادمـة مـن ورائـي وكأن أفـكاري في المولويـة والدراويـش قـد سُـمِعت وجذبـت إليَّ موسـيقاها «دوري بينـا.. دوري بينـا.. يـا أرض الراونـدا.. واحكـي لنـا حكايـة كحكـة منقوشـة بالحنـة».

فأيقظنـي مـن شرودي اقـتراب الموسـيقى أكثـر، إذن هـو حقيقـة وليـس خيـالًا!

وإذ بها تمر بجواري لتختار مقعدًا من الخوص على جانب الطاولة وسط الحديقة التي انتصفت النُزُل الذي كنا به وجلست عليه بهدوء وهي تستمتع بكلمات الأغنية كأنها تعيش معها وتخترق روحها فتتمايل على موسيقاها.

وإذ بسؤالٍ دار في خاطري مُلِحًا ؛ لماذا قررّت أن تُقدِّم نفسها هكذا؟!

فوسط دائرة التعارف طلبت أن تتوسط الحلقة لِتُعَرِّف عن شخصيتها بطريقتها الخاصة، فقد أمسكت بجانب ثوبها المنسدل وارتكزت بقدمها لحظة أغلقت عينيها بهدوء وثقة، ثم انطلقت تسبح في فلكها وبدأت تدور، دارت ودارت إلى أن ارتفع طرف ثوبها مُظهِرًا ساقين ممشوقتين تتبادلان الخطوات في دقةٍ وانسيابية لِتُكمِلَ رسم دائرةٍ قطرها هو محيط عالَمِها وتُسرِعُ اللف أكثر ليبتعد كل من يقترب من حدودِ مساحتِها بِلُطفِ تيارِ الهواء المُنبعِثِ إثر دورانها. ثم قررت أن تُثَبِّت قدمًا وتَركَنُ بالأخرى وتوقفت. فما كان من محيط دائرةِ ثوبها إلا أن احتضنها بِقوةٍ مُعلِنًا أن تلك هي نقطة ارتكازها.

قررت اختراق حالة انسجامها مُتسائلًا عمَّ دار في خاطري.

فابتسمت قائلة: أردت استشعار فرحة طفلة صغيرة أهدتها أمها ثوبًا ذا طبقات مُموّجة وأحبت أن تختبر مدى اتساع دائرة ثوبها.

سألت: وماذا وجدتِ؟

ردت: الحرية في الدوران.

وأطرقت مستطردة: كأني مركزٌ للكون والأجرام تدور من حولي.

أجل، شعرت بحرية لا حدود لها. رددتها بسعادة حالمة وكأنها تتذكر وتعيش تلك اللحظات مجددًا.

لم أفهم معنى أو رابط الدوران مع الحرية، فتساءلت؟

فـرَدّت: لأن عنـد اكتـمال الدائـرة لا تسـتطيع أن تعـرف أو تحـدد لهـا بدايـة أو نهايـة.

ثـم تنهَـدَّت بحـرارة: هكـذا اخـترت وجـودي بـين النـاس، لـن تلحـظ بدايتـه ولـن تعـرف نهايتـه.

وابتسـمت بـذكاء وأردفـت: ومـن لا تُعـرَف عنـه هاتـين النقطتـين لـن تسـتطيع أبـدًا أن تَحُـدَّه أيُّ حواجـز.

قالتهـا بحـزم وهـي شـاردة في شيءٍ مـا لم أتبينـه.. كنـت سـأحاول أن أناقشـها في فلسـفتها التـي اختارتهـا في الحيـاة إلا أنهـا اختـارت نهايـة كلامهـا لتوقـف دائـرة الحـوار بيننـا.

آثـرت الصمـت، فاسـتأذنَت مبتعـدة تاركـةً لي أفـكاري حـول الـدوران برؤيـةٍ ونظـرةٍ أخـرى.

وإذ بي أعـودُ أتابـع لألأة النجـوم الخافتـة والسـاطعة مدندنًـا «دوري بينـا.. دوري بينـا يـا أرض الراونـدا..»، مُصَدِّقًـا عـلى غنائـي عذوبـةُ ألحـان الكـروان وصوتـه.

❋❋❋❋

خَوَاء

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

صحا من نومه. عيناه غائرتان، متهدلة أجفانه، مرتعشة أصابعه، يشعر بدقٍ في رأسه يكاد يفجرها. ينظر أمامه نظرات تائهة وما إن همَّ بالوقوف حتى وجد شخصًا آخر أمامه، يصاب بالذعر.. من هذا؟

هذا لست أنا، فزع من ذلك الوجه، هرب من أمامه، أخذ يدور حول نفسه، لم يجد أحدًا آخر معه. دار في البيت كله، فتح كل الغرف، لم يجد أحدًا قط؛ هو أراد أن يجد أحدًا ليسأله: هل هذا وجهي؟ هل أنا صاحب هذا الوجه؟ لم يجد بُدًّا من العودة إلى هذا الشخص مرة أخرى ليسأله علَّه يجيبه عمن صاحب هذا الوجه. نظر إليه، ودقق فيه النظر، استعطفه، كان يراه، ينظر إليه نظرة ميتة خالية من أي حياة، وهو يكاد يركع أمامه «أستحلفك بالله، أخبرني من صاحب هذا الوجه الذي أراه؟»، أمسك به ليشده ونفرت عروق رقبته، لماذا أنت صامت هكذا؟ انطق، وهو كما هو يكاد يبتلعه بهذه النظرة العميقة التي تذهب به إلى أغوار سحيقة. غلى الغضب في رأسه، رفع قبضة يده، وهوى بها على ذلك الوجه، وإذا بقهقه عالية، ونظراته موزعة على شظايا المرآة، وقطرات الدم التي تتساقط من يده، وجحظت عيناه في ذلك الوجه الذي ما زال ماثلًا أمامه، وسقط مغشيًا عليه.

***

رُبَّمَا

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

أنت تعيش ليلة من ليالي الخيال في ساقية المحال، ساقية عبد المنعم الصاوي تحتفل بعيد ميلادها الثالث عشر، توالت الفقرات تبهرها، تبعدها بعيدًا بعيدًا. تحلق في الخيال، فقرة من تايلاند، فقرة من فلسطين، فقرة من كوريا، لفَّت العالم كله في ليلة، وسُئلَت السؤال المعتاد: هل أنت مصرية؟! وأتت فقرة تفوق الخيال من نيبال، الفنون القتالية، تسارعت الأنفاس، مهارة تفوق الروعة، كل شيء ساحر في هذه الليلة، شيء يشدها، ترى الليل قادم ولكنها مستمرة. يبدأ الناس في الرحيل شيئًا فشيئًا، وما زالت جالسة، وأتى دور السحب.

أخذ الصاوي ينادي «١٢»، لا يرد أحد، رقمًا وراء رقم، وتنظر في الرقم الذي معها، ليس هو، ثم رقمًا وراء رقم. اقترح الصاوي «إذا الرقم غير موجود نأخذ الذي بعده»، كثيرون رفضوا هذا الاقتراح وهي منهم، رآها الصاوي وهي تشير بإصبعها علامة الرفض، وقال إنها ترفض بشدة، ربما ستفوز، وأخذ ينادي، رقم يصيب وأرقام تخطئ، ملَّ الصاوي، ترك المهمة لغيره، مرة أخرى أرقام وأرقام فقدت الأمل لم يتبق إلا هدية واحدة، أكيد ليست لها،

همَّت بالقيام؛ لترحل، سمعت «٣١٦»، هذا رقمها، صرخت «أنا».
تعرقلت بفرح وذهبت لتأخذ الجائزة مع التهنئة. حين تيأس يتحقق الأمل، تتذكر الإشارة القوية وهي تقول له «لا»، هل كانت ترى الغيب؟ أيصدق حدسُها كثيرًا؟ أم عندما تثق في حدسها يتحقق؟

****

رَمادُ الذِكرَى

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

كانت تراودها ذكرى، واستغربت لهذه الذكرى التي لم تعد ذات خيال راقص، بل أصبحت باهتة شاحبة، تبدو لها كذبالة الشمعة التي تتهاوى في رمقها الأخير. وتتعجب لهذه الذكرى التي كانت تفعل بها الأفاعيل، تؤرق مضجعها، تجعلها تدور وتدور، تسقط مغشيًا عليها وما هي بمغشي عليها.

ورغم أن الذكرى أصبحت غير ذات بأس، إلا أنها ما زالت رغم شحوبها تحاول إشعال الرماد الذي يكاد يصيبها بالاختناق، ولكنها الآن تتذكر أن هذا ليس إلا مجرد رماد، فتنفخ فيه لعلَّ الرياح تذروه، وهي لا تدري أن هذا يزيده اشتعالا!

****

مَدَار

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

لا تدري ما الذي جعلها لا تركب هذا المترو، لم يكن بالازدحام الذي تخشاه، لقد ركبت ما كان أكثر ازدحاما من ذلك. ربما أرادت بعض الرفاهية في مترو تستطيع الوقوف فيه؛ لتستطيع أن تمارس ترف الكتابة الصباحية، ولكن هيهات، انتظرت قليلًا، فجأة سمعت همهمات، علا الصوت قليلًا، علا أكثر، تلفتت لترى مصدر الصوت، إذ بامرأة، لم تستوعب ما تراه، ما الذي أصابها، إنها ترفع ثوبها تُظهر سوءتها، لماذا؟ ما الذي يجعلها تفعل هذا؟ أو من الذي؟ تهذي بكلام غير مفهوم، لم تفهم منه شيئًا، ماذا تفعل؟ كيف تسترها؟ خافت على نفسها من ردة فعلها، ليس لديها الجرأة أن تذهب إليها، أصابتها لوعة.

سمعت إحدى الواقفات على الرصيف تقول: من تأتي معي لنسترها؟ يجب ألا نتركها هكذا. تشجعت بعض السيدات وذهبن، حاولن، وهي تقاوم، إلى أن استطعن في النهاية، وهي تقول «عملت لك إيه؟ ابعدي عني، هقول للشيخ سكينة، ابعدي عني»، والنساء تقول لها «مهما كان الذي أغضبك، فمينفعش تعملي كدا، استري نفسك». وألبسنها الجلباب الآخر وهي ما زالت تهذي والنساء تطيب خاطرها، ويحاولن تهدئتها بإبعاد الست التي تتحدث عنها «ابعدي.. ابعدي»، ثم يتحدثن إليها «ولا يهمك منها، هي مشيت أهيه، ولا

تزعلي». تهدأ قليلًا ثم يرتفع صوتها مرة أخرى. شارك بعض الرجال في الحديث «اهدي يا ست، يالـلا اركبوا المترو».

نظرت، فإذا المترو قادم يصرع الطريق، كما صرع منظر السيدة قلبها. ركبت المترو مغيبة الوعي، نزلت دموعها وهي تتساءل: ما الذي يضمن لها ألا يخرج عقلها عن مدارِه؟

****

مصلحة

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

وقفَت في الصف، في انتظار دورها. الصف يطول، في انتظار الموظف، سمعَت همهمات «أصابته وعكة لسوء الأحوال الجوية، للأسف الوعكة لم تصب أحدًا إلا هو، وليس هناك من يقوم بعمله إلا هو، لم القلق؟ هو قادم، في الطريق»، ورغم ذلك هناك من خلَّص أوراقه.

وللمساواة بين الرجل والمرأة، ظلت واقفة في الصف في انتظار الموظف، لم يكن هناك إلا هي، المرأة الوحيدة في الصف، رغم أن هناك من رأف بحال رجل ظنًا منه أنه من «ذوي» الاحتياجات الخاصة»، فقط لأنه يمسك بعصا، أما هي فما زالت تقف في الصف في انتظار الموظف الذي لم يأتِ بعد.

خلا الصف إلا منها، سمعت أحدًا يصرخ «يلا يا حضرات انتهى الوقت، اليوم نصف يوم عمل، وغدًا أجازة».

****

معشوق

سوسن رضوان (وصيفة الرضوان)

مُتحيرة هي، تفكر فيه. يداعب كل من تعرف ومن لا تعرف، إلا هي. كل من تعجبه يذهب إليها ويأخذها عنوة، لا يأخذ رأيها، وهي تنظر إليه ببلاهة، لماذا يُعجب بالأخريات ويتركها؟ أليست في غناهن، جمالهن، علمهن، وربما غبائهن؟!

ألا يعرف مدى اشتياقها له، أم أننا دائمًا نُغرم بمن يرغبون عنا ويرغب فينا من نزهدهم؟

لماذا تُعجب به رغم عدم وسامته وأسنانه القبيحة؟

تُمني نفسها أنه حتمًا سيراها، إنها هي التي سيأتي عليها الدور في المرة القادمة.

تراه بضحكته المجلجلة التي تفطر قلبها، حينما يخذلها في كل مرة.

أحيانًا تراه مقبلًا عليها، حتى إذا ما فكرت تفتح ذراعيها له، تجد أخرى لا يهمها كلام الناس سبقتها إليه وأذابته في أحضانها، وهي لا تدري مدى الألم الذي سيصيبها به، وهو لا يبالي، ربما يتطلع إلى ثانية وثالثة ورابعة.

رغم ذلك، هناك من يكرهه كُرهًا شديدًا، ربما لثقته الشديدة في نفسه، ربما لغطرسته، فلا أحد يستطيع النيل منه مهما حاولوا؛ فهو كالزئبق.

عند مروره تجد عينيها شاخصتين لا تستطيعان فكاكًا من أسرِه، وفي نفس الوقت لا تستطيع التعبير له عن شيء.

تشك فيه أحيانًا، لا يهمه إلى من يتودد، امرأة، رجل، طفل، صبي.

وكلهم مرغمون على التعامل معه، ولا يستطيعون هروبًا منه.

أصبحت تراه أمامها دائمًا، ما اقترب إلا ليبتعد.

يتحجج بحججٍ واهية، لا تُقنع طفلًا صغيرًا.

أتدرون من الذي تعشق؟ وهل تعشقونه مثلها؟

إنه الموت!

****

إحساسُ مرعب

محسن صالح

يملأ ضوء الشمس شارع عثمان محرم المزدحم العريض. أصوات المارة غير عالية في هذه الأثناء، فلا يزال صمت الليل لم يلُمَّ عباءته بعد. الساعة لا تتجاوز السابعة صباحًا، تصحبها نسمة هواء باردة قليلًا. أم أحمد بائعة الخبز تكمش تحت البالطو القديم كالكتكوت، وهي تمسك ذراعها اليسرى التي انكسرت من حادثة سيارة أجرة يقودها سائق أرعن كأنه البغل، غطى ساعتها دمه أرضية الشارع من ضرب أصحاب المحلات له. كسرُ ذراعها عَصِيٌّ على الالتئام لداء السكر الذي ينخر جسدها الهزيل، لقد وقعت هذه الحادثة بعد عودتي من العمرة بشهر.

تحياتي لها كل صباح تعقبها دعواتها لي والتي تلف المكان من حولي كضوء بلّوري أزرق يحميني من الحسد ولؤم الأشرار وشِراكهم. تخطو أقدامي على الطريق ليقابلني خارجًا من شارع حلمي عبد الرحمن أخي فهيم في انحناءة كتفيه وهو يحث الخطى إلى عمله في مدينة نصر، بعد ذلك تلوح مني التفاتة لسعيد الفكهاني لأجد يده اليمنى في الجِبس، وأسأله فيخبرني بسقوطه من على السلم في داره.

أسرعت الخطى إلى منزلي وقد جاء إلى ذاكرتي مشهد عراكنا الأخير منذ يومين لعدم دقته في وزن الفاكهة، للدرجة التي جعلتني أدعو على يده اليمني بالكسر وأنا أقولها صراحة له:

- إلهي إيدك دي تتكسر يا بعيد

تشابكت هذه الذكرى مع سمير الصبي الشقي في حارتنا والذي كُسرت ساقه منذ ثلاثة أسابيع لسقوطه المفاجيء تحت إحدى سيارات الأجرة، وكانت القدم المكسورة هي قدمه اليمنى التي ابتهلتُ إلى الله سبحانه وتعالى لكسرها، حيث كان يدُكُّ بالكرة الحيطان والأبواب بخبطات لا تُطاق.

حال تذكُري هاتين الحادثتين كنت قد دلفت إلى مدخل العمارة حيث أقطن في الدورالسادس، فوجدت قدميَّ قد تسمرتا بعدما صعدت الدفعة الأولي من درجات المدخل، وإذا بي أتساند على الحائط الرخامي وحبات العرق قد تزايدت على جبهتي، بل لم أكد أتم دفعة الدرجات الثانية الأعلى، إلا ووجدتني أرتمي على الأريكة المواجهة للأسانسير.

هنا طافت أمام عينيَّ حادثتان، الأولى كنت قد دعوت على عينيها لما نظرت إليَّ بامتعاض وتلفظت بألفاظ نابية لأسمع أنها دخلت المستشفى لحروق في وجهها وعينيها من جراء طرطشة الزيت المغلي. أما الأخرى فلا تزال في العناية المركزة من جراء غيبوبة سكر. هنا بالضبط تجمعت الخيوط أمام عينيَّ لأعدو على درجات السلم حتى أصل شقتي، أفتح باب الشقة وأدخل بسرعة إلى حجرتي وأسجل من مات ومن أصابته حادثة لأجدني أكاد أصرخ حينما علمت وفاة أحد أبناء مطر في عراك مع مجموعة من الشباب، ولأكتشف أنه ذلك

الشاب الذي سب ابني حمادة وصرخت فيه من شباك البيت داعيًا عليه:

- إلهي تموت وتشرب أمك من نارك.

انتفضت من مكاني حيث تذكرت من يومين دعائي على زوجتي بالشلل في يديها لدفعها لي في كتفي وأنا على باب الأسانسير بالدور السادس. أخذت الرعشة بيدي وعدوت إلى زوجتي أنادي عليها في هلع وأنا أتحسس يديها وأدعوها لتحريكهما وهي في اندهاش مما يحدث وأنا أردد في نفسي الدعاء لها بالصحة والسلامة وطول العمر ولسان حالي يقول:

- اللهم اغفر وارحم، رحمتك وعفوك يا رب. يارب السلامة لكل اللي شفتهم. مسامح الكل يا رب، مسامح الكل يا رب.

❋❋❋❋

«الدابة» في شارع عثمان محرم

محسن صالح

أخذتُ أسمع أحد البرامج الدينية على واحدة من القنوات الفضائية، وجدت المتحدث هادئ الصوت كأنك تعدُّ كلماته عدًا، فأصخت السمع إليه وهو يتحدث عن موضوع «الدابة» التي ستخرج في آخر الزمان قبيل قيام الساعة وما سيحدث منها من الجري وراء الناس في أرجاء الأرض والنداء عليهم بأسمائهم ووشمهم على جباههم بإحدى الكلمتين «مؤمن» أو «كافر». اقشعر جسدي من هذه الكلمات الأخيرة ومن أنه قد نفذ السهم، فهذا مؤمن وهذا كافر، فوجدتني أبكي مخافة أن أكون من الكافرين ولا أقدر أن أغير شيئًا ساعتها.

نِمت على مخدتي في هذه الساعة ولا أدري كم مر بي في نومي، حتى وجدتني في شارع عثمان محرم بطوله وصخبه وضجيجه، ولكن في النقطة التي يلتقي فيها مع شارع حلمي عبد الرحمن، حيث أسكن أنا وأسرتي في هذا الشارع الضيق قليلًا والمنحنِي كالثعبان. رأيت رجال الحارات يخرجون يتبعهم الشباب والأطفال وأخيرًا البنات والنساء وفي آخر المطاف العجائز وكبار السن وكأنهم يجرون أجسادهم جرًا.

الكل يجري مخافة الدابة التي ما إن رأيتها حتى كاد يُغمى عليَّ، ضخمة القدمين دقيقة الساقين، لها رأس طويل كأنك ترى عمارة

شاهقة تتحرك، ولها رغام في فمها وهي تتحدث إلى من تجري ورائهم، فنجد منهم من يسكن مكانه وهو يردد عدة مرات:

- لا إله إلا الله.

فتقترب منه فينظر إليها مرتقبًا ما تفعله فتوشمُه في جبهته، فترى الألم بادٍ في عينيه مع نزول الدم الأحمر الذي سرعان ما يكشف عن كلمة مضيئة «مؤمن»، تهدأ بعدها حركاته ويعلو وجهه سيماء الراحة والدعة، بل ويعرج إلى أحد الأماكن التي يجلس عليها من تم وشمهم، طالبًا أحد المشروبات الباردة المرطبة. وهناك آخرون -وهم كثيرون- يهرولون أمام الدابة في فزع كأنهم يجرون من الموت وهي تجري وراءهم لينطرح ما تقترب منه أرضًا على ظهره فتوشمُه على جبهته بوشم ينزل على إثره دم أسود سرعان ما ينحسر عن كلمة سوداء «كافر» فيلطم وجهه وهو يجري من الألم والمصير الذي ينتظره.

الغريب أنني وجدت معظم من يقطنون شارع عثمان محرم يهرولون من الدابة مخافة الوشم الأسود وكلمة كافر التي تسيل منها دموعهم مخلوطة بدم.

«أم عمر» جارتنا المنتقبة وجدتها تداري رسمًا أسود لكلمة كلنا نعرفها، أما «عم مسعود» الذي كنا نظنه لا يصلي وجدت وجهه مضاءًا بكلمة «مؤمن»، ولما سألته قال لي:

- الصلاة ستر وسر بين العبد وربه، والصلاة على الرسول الخاتم سر لا يعلمه إلا من يجربه.

أخي الأكبر وجدت على جبهته كلمة «مؤمن» ووجدت فرحته لي كذلك بنفس المصير. زوجتي «نورهان» وجدتها تبكي ودماء حمراء

في كفيها ووشم «مؤمنة» يزين جبهتها فقبلت يديها وأخذتها إلى منزل الأسرة نحتفل بهذه المناسبة.

بعض أقاربي وجدت وجوههم مسودة بكلمة «كافر» ووجدت في عيونهم انكسار ومذلة الكفر وقلة الحيلة. نهضت فجأة من نومي وأنا أتحسس بلا إرادة مني جبهتي وأهرول لأوقظ زوجتي لصلاة الفجر ولسان حالي يقول: يارب سلم.. يارب سلم.

****

القصة القصيرة «مونولوج»(*)

محسن صالح

نتعايش سويًا ولا ننفصل، تربطنا خيوط القدر بوشائج حديدية، أصدقكم القول إنني أخشي كلمة «حديدية» هذه، لأنها ترعبني وترعب جسدي ويقشعر منها شعري ويقف كشعر القنفذ بل أشد. ما ذنبي وهذا قدري الذي أقتات عليه، ألا وهو التنقل من هذه اليد إلى اليد الأخرى. تضغط على يده بعنف في أحيان كثيرة وبرقة في النادر منها، و في هذه اللحظات القليلة أشعر بالراحة وأحس بالبرد في صدري وتهدأ دقات قلبي وكأنني أهجع طوال ليل جميل ساكن. ما ذنبي؟ لا تلوموني، فأنا فقط أؤدي ماهو مطلوب مني في انضباط الساعة ودقتها. بالطبع عملي يؤثر على شكلي أحيانًا ويؤثر بالتالي على جسدي الخارجي، فيتغير شكلي وبالتالي ملامحي وأحس بخجل دفين لا أملك الإفصاح عنه. صدقوني إن قلت لكم إنني أموت خوفًا من النار وأكرهها، فهي تحرقني، وأكره كذلك السيارات حينما لا تراني وتمر عليَّ متجاهلة إياي، فهي تكسرني وتحيلني للخدمة كشيء آخر.

لا تغضبوا مني، فأنا من متطلبات هذه المهنة ولصيقة بصاحبي لا أفارقه طيلة النهار وبعض الليل، لا أريد أن تنعتونني بأي صفة غير محببة إلى أنفسكم، فدوني لن تجدوا أي مكان يُشرح العين، فأنا على اختلاف أشكالي وألواني في أي يد وفي أي مكان.

منذ فترة أراه غاضبًا مني ونحن قد اتفقنا في صمت على أن نتشارك على الحلوة والمرة كما يقولون. إنني أراه غاضبًا مني، أستحلفكم بالله أن توفقوا بيني وبينه وتعيدوا المياه إلى مجاريها، وبالتالي أحس بوجودي الذي يكاد يتبخر من تجاهله لي وأنا في يديه. إن عِشرتنا تمتد إلى ثلاثين عامًا أو يزيد، لقد كنت معه في غبش الفجر وفي هجير الظهيرة ورعدة البرد في المساء، وأحيانًا يضعني في مكان ما ويفرد عليَّ جاكتته لأحميه من لسع الشمس كما كنت سلاحه حينما كان يتطفل عليه متطفل بعد يوم عمل مرهق وطويل. لم أخُنه يومًا ما أو أتثاقل في يديه أو أثقل عليه أو أطلب منه شيئًا لم يقدر عليه، كنت طائعة له دائمًا.

بالله عليكم لم أُغضبه يومًا رغم تعبي وتساقط شعري وإحساسي بالعجز وصراخي غير المسموع طلبًا لإعادة التأهيل لأصبح في شكل أفضل وأيَسِّر عليه العمل، لقد أهمَّه الحزن منذ شهرين ولا أستطيع أن أساعده، لقد حدث ذلك فجأة كما تواجهنا الكوارث فجأة ومن غير مقدمات سوى أن قدرنا قد حان.

ابنه الكبير «علي» يريد أن يتزوج، وكانت الأمور كالجدول الرائق في الحديقة الوارفة الظلال كأنها الجنة الموعودة حتى جاءت هذه بشكلها الغريب وملابسها الغريبة وطريقة نطقها للكلام الأكثر غرابة ومشيتها التي لم أرَ مثلها قط في حياتي. أول ما نَظَرَتْ نَظَرَتْ إليَّ في يده فاقشعر جلدي، وصَرَخَت في تأفف:

- زبال.. زبال!

أصدقكم القول، لقد كرهتها من أول لحظة شاهدتها فيها، ولقد صدق حدسي، اشتعل البيت بسببها نارًا. «علي» لا يكلم أبيه أو أمه، وإخوته انقلبوا عليه وأبوه يمسكني بارتعاشات أول مرة أراها وأحسها

في يديه، وأحيان كثيرة يحملق فيَّ بشرود وكأنه يريد أن يبدأ معي حوارًا ولا يدري كيف، وأنا أغلي في داخلي كالمرجل وأكاد أصرخ فيه أن يهدأ حفاظًا على صحته التي أنهكتها السنوات. تبدلت الأحوال فمنذ أن رأتني هذه «الغراب» وأنا هناك مُلقاة خارج المنزل لا يحفل بي صاحبي ولا يلتفت إليَّ، تيبستُ من البرد وقلت في نفسي:

- أزمة وتعدي.

الأن فقط انزعجت وبشدة، وكأن حريقًا اشتعل في جسدي ولا يريد أن يتركه حتى النهاية، أرجوكم طمئنوني عليه، فلقد شاهدتهم ولأول مرة في حياتنا يحملونه في عربة الإسعاف. إنني أبكي، وزاد من بكائي أنني بعيدة لا أعرف أخباره، ولو لِمامًا. إن قلبي يتقطع ويكاد أن ينفطر حزنًا عليه، يُزيد من ذلك عدم قدرتي على معرفة ما يدور وكأنهم يتعمدون ألا يتحدثون عن صاحبي وصحته أمامي أو بالقرب مني، أقول في نفسي لو أتحرك قليلًا مترًا واحدًا فقط لتمكنت من سماع أخبار صاحبي وحالته الصحيه وارتحت وارتاح بالي.

القلق يعصرني، أرجوكم طمئنوني عليه، فقط أريد أن أراه، ولو ألقوا بي في أعماق الجحيم بغير رجعة، أعلم أن شكلي لن يعجبه الآن وقد تساقط شعري وعلاني التراب، ولكن فقط دعوني أقترب منه ونكون معًا أرجوكم، ودعوا الباقي عليَّ.

❋❋❋❋

(❋) تحية واجبة للكاتب/ الشريف منجود، على ورشة القصة القصيرة في الخان الثقافية، ديسمبر ٢٠١٥، والتي كتبت هذه القصة القصيرة خلالها.

حديثُ الغُرباء

خلود

«شعراية بيضا دي؟!»

هكذا بدأت تلك الغريبة حديثها، بعد ما اعتدلَت في جلستها على ذلك المكتب المنمّق، في تلك الغرفة المليئة باللوحات. جلستُ أمامها أتأمل اللوحات المُعلّقة على جدار الحائط المطلي باللون الأصفر الكناري، وقد بدأت هي حديثها وأنا أسبح وأركض بخيالي مع الجوادَين الموجودين باللوحة. قاطعتني بسؤالها الممزوج بالدهشة، فأجبتها مبتسمة كالبلهاء -بعد أن عدّلت شعري محاوِلة إخفاء تلك الشعرات البيضاء داخل خصلات شعري الأسود الممزوج باللون الباذنجاني- قائلة: نعم، لقد أورثتني والدتي شعرها الأبيض، وكانت أول شعرة بيضاء تظهر لي حينما أتممت عامي التاسع عشر. ثم صمت، ولم أعرف ماذا أقول بعد هذا. فوجدتها ابتسمت، وقد كانت عيناها مليئتان بالدفء. عامان يا أمي! كم اشتقت لنظرة دفء مِن عينيك، عامان يا أمّي! وقد استوحشت الدنيا بمَن عليها، وقد اتسعت تلك الهوّة بداخلي حتى أنها تأكلني، وتطفئ كل محاولاتي لإضاءة العتمة بداخلي. أكملت الغريبة -وقد لمحتُ في عينيها نظرة تحدٍّ-: ولكنكِ قوية مثلها، كم مر على رحيلها؟ أجبت بصوت خافت يكاد لا يُسمع: عامان! وكانت قد أكملت حديثها دون انتظار إجابة منّي:

لا تنسي مَن أنتِ، أنتِ أنثي ولا بد ألا تهملين حقوقكِ، دعكِ مِن الواجبات، واجباتنا لن تنتهي ولن تفنى، لا تقلقين لن تنتهي، ولكن أين أنتِ مِن كل هذا؟ أرى بما أمامي مِن أوراق أنّكِ تبلغين مِن العُمر ثمانية وعشرين عامًا- وكأن صوتها يقول: أهذه فتاة في العشرينيات، حقًا؟!- وتملكين مِن الخبرة العمليّة ما يؤهلكِ لشغل هذه الوظيفة وغيرها، بل وستؤدينها ببراعة، بالإضافة إلى أنكِ جميلة! ثم هزّت رأسها ضاحكة - بعد أن رأتني أنظر في الأوراق التي افترشت سطح مكتبها- لا ليس موجودًا بين الأوراق جمالكِ. وأضافت قائلة: ماذا تفعلين بحياتكِ الآن؟ أجبتها: أبحث عن عمل، وأكتُب! فسألت مرّة ثانية: ماذا تفعلين بحياتكِ الآن؟ قلت وقد ارتسمت على وجهي علامات الاضطراب: أبحث عن عمل، وأرعى إخوتي، وأكتب! سألت مرّة أخرى: ماذا تفعلين بحياتكِ الآن؟ أبحث عن عمل، و.. ولا أعلم. تنهدت قائلة: كنت أفعل مثلما تفعلين يومًا ما، وها أنا ذا أريد لكِ خيارًا آخر. كنت أقف حائلًا بيني وبين سعادتي، كنت حتى لا أعلم ما هي السعادة، ولا أعلم أين أجد سعادتي. فدفنت نفسي في واجباتي، وأفنيتها علّني أنسى، حتى أنّني تغافلت عمّا كان لي مِن حقوق. أنا لم أسألكِ عن هواياتكِ، ولا عن مسئولياتكِ، ولا عن طموحاتكِ، أنا سألتكِ عنكِ وعن نفسكِ وحياتكِ. أفيقي! ولا تهتمّين بما يقوله العالم والمجتمع بأفراده، وقوانينه، وأفكاره. تعلّمي كيف تكونين رجلًا- إن كنتِ تريدين وقتها أن تكونين رجلًا - حين يقتضي الأمر، ولكنّك أنثى، فلا تدعين أحدًا يقارنكِ بالرجل، لأنكِ أقوى مِن أي رجل. وهذا ليس عيبًا فيهم ولا مذمّة، ولكن كل منّا ينتمي لجنس وأفكار وشعور مختلف. لقد خُلِقنا مختلفين، حتى الجنس الواحد خُلِق مختلفًا. قلت لها مقاطعة: أنا لا أريد أن أقارَن بأحد،

رجلًا كان أو امرأة، أريد فقط سلامًا، أريد أن أحيا حرّة، لا قيد حولي، أريد أن أركض كهذين الجوادين باللوحة، أريد أن أنعَم بحياة خالية مِن الشفقة، والنَقد، والفَقد. استندت بذراعيها على سطح مكتبها ودَنت منّي وهمست: لا بأس يا طفلتي. لا تعيرين الناس اهتمامًا، أعلم كيف أن الشفقة تقتلكِ، ولو أن الموت أهون مِن الشفقة. المهم الآن ألا تنسين مَن هي أنتِ في ما تعيشينه حتى لا يأتِي الوقت الذي تكرهين فيه العالَم، والمسئوليات، ونفسكِ. حتى لا تكرهكِ نفسكِ، وتكرهينها. ثم اعتدلت في جلستها مسرعة وارتدت نظاراتها الطبيّة، ورسمت على ملامح وجهها الجدّية، ونظرت في الأوراق أمامها، وكتبت شيئًا، ثم سلّمتني إياها وهي تضغط زرًا بجانبها، فحضرت مديرة مكتبها، فقالت لها: «ودّيها لأستاذة ميرفت عشان تمضي العقد، مبروك». ودّعتها بابتسامة لا أعلم مِن أين أتت، وودّعتني بنظرة أمّ حنونة، وكأنها تقول لي: لن تضيعين، لن أتركِكِ!

****

«لوحة يا بيه، لوحة حلوة أنا اللي راسمها يا أستاذ».

كان ذلك اليوم جميلًا والليلة التي تسبقه أجمل، كأنَّ ذلك اليوم وتلك الليلة خارج حسابات الزمن، كنت قد اشتقت لعينيكَ، وابتسامتكَ، ورائحتكَ أيها الغريب. كنت أريد أن يقف الزمن بنا ونحن جالسين نضحك ونتشارك التفاهات، وأحاول إخفاء ما بي مِن مشاعر، وأنتَ تعلم ذلك جيدًا فتجاريني. أين و متى ولِمَ أحببتكَ أنتَ؟ أسئلة غير منطقية ليس لها إجابات واضحة في عالمي. لستُ أنا مِن المُتمين لذلك النوع مِن الفتيات اللاتي يلجأن للحُب احتياجًا، مع إنّه حق لهن أن يفعلن ذلك، فنحن كبشر نحتاج الحُب، ونعيش بالحُب، ونعبُد الله

حُبًا، فهو المحبّة الخالصة، والمحبّة أصل كل شيء. كيف حالكَ؟ أقصد كيف حالكَ الآن دوني؟ أعلم أنكَ ستكون بخير، فأنا أناديكَ دومًا بدعواتٍ كثيرة في حديثي اليومي مع الله، نعم أنا أيضًا أكتب رسائل للخالِق، بل وأحادثه كثيرًا، أشكو له مِن الناس، وأخاف أن أشكوكَ إليه، فأذكُركَ بدعوات عنده، ستعلم يومًا أن صُحفي تمتلئ باسمك. أكتب إليكَ يا عزيزي جدًا كل ليلة عمّا حدث في يومي، وللحَق لا أدري كيف أصبحتَ أنت تشاركني كل شيء، حتى في غيابكَ! أعلم أنّني عِندكَ مثل كثيرات، ولكنّني لا أقارَن بأحدٍ كما تعلَم. أتذكُر حين قلتَ لي أنّني حقيقية؟ نعم هذه حقيقتي، وأعلم أن فيها عذابي، فالكثيرات حولكَ يتخذن الحياة غير الحقيقية سبيلًا لهن - لا يمكنني القول بأنهن مخطئات - ولكن لِم أتصنّع عالمًا لا يمت لي بصلة لأقنع أحدهم أو بعضًا مِن الناس أو كل الناس به؟ ربما لديهن أسبابًا خاصة بنشأتهن أو بظروفهن الحياتية، لا أشغل بالي حقًا، ولا أعير هذا الأمر بالذات اهتمامًا. فأنا وشأني جُلَّ ما يعنيني، ومؤخرًا انضممت أنتَ إلى تلك القائمة السابقة. أيها الحقيقي الحزين حامِل القضية، كيف حالك يا عزيزي جدًا؟ هل أنهكك التفكير في حَلٍ ليعُم السلام أنحاء العالَم؟ هل انتهيتَ مِن كتاباتكَ اليوم؟ هل هاتفتَ أحبائكَ وأصدقائكَ؟ هل خطرت على بالكَ أبدًا؟ أيها الغريب البعيد القريب، أتعلم أن غصّة فراقك آلمتني حين تحدّثت تلك الغريبة عن سعادتي، كنت أنت أول مَن خطر ببالي وقتها، ليتك تعلم. تلك الغريبة التي حدّثتني عنّي قبل أن أستلم عملي الجديد معها. لا أعلم لِم كان مُقدّرًا لي الفراق مع مَن أحببت! رحلت أمّي بجسدها تحت التراب، ولكن ظلت روحها حاضرة، ورحلت أنتَ لبلاد أخرى، رافضًا حُبّي - لأنك لا تحتاجه كما علمت منكَ -وتركتَ رائحتكَ لا تزال حولي. أيها العزيز جدًا، لم

أعد أريد منكَ حُبًّا، فأنا لا أشحذ منكَ شعورًا ولا اهتمامًا، ولكنّني أريدكَ أن تعلم بأنكَ عندي غير كل رجل آخر، ولا أريد منكَ في المقابل شيئًا سوى لحظات تذكرني فيها بدعوة، أو حتى تبتسم حين تأتي- إن كانت تأتي - صورتي في مخيّلتك. أنا لم أكن أريدكَ أن ترحل، يمكنكَ أن تنعم بحياتكَ ما شئت، ولتكن في حياتي بأي صورة تريدها، فأنا أعتز بكَ لأنكَ أول كل شيء في حياتي. ولتتذكّر أنّه حينما سألني ذاك الرجل الغريب -الغريب جدًا - هل هو حبيبكِ؟ ورأيتكَ صامتًا، ولمحت نظرات القلق في عينيكَ، أجبته مسرعة: لا! يمكنك القول بأنه أخي.

إلي الأحباء الراحلين،

إلي الشاربين مِن كأس الفَقد،

إلي الغُرباء تحت هذه السماء،

إلي الوحيدين ليلًا ونهارًا،

إلي البعيدين القريبين،

سلامًا!

****

رسائلٌ خَفيَّة

حسام الدين إبراهيم

- أنت تعرفين جيدًا أنني لا أطيق رتابة الحياة، تفكيرها الرجعي الذي أتحسسه مع أبي وأمي والعائلة، أنا معكِ الآن لأنكِ غيرهن، تتحررين من أفكار مقيِدة للحريات، الدنيا جميلة والله جميلٌ يحب الجمال، ونأتي نحن لنعكر مزاجها، هاهاهاها.

- معك حق يا براء، أنا أيضًا أعاني مثلكَ تمامًا، صديقاتي دائمًا يخبرنني بالصواب والخطأ، افعلي ولا تفعلي، ها ها ها، غبيات، لا يفهمن معنى للحياة، يستترن خلف ستار الالتزام، لا يعرفن أنني أعرف جيدًا فقرهن، لما لديَّ من مفاتن وكاريزما تأسِر عيونكم أنتم الشباب.

- ريم، أتعرفين أنكِ جريئة لدرجة كبيرة!!! نحن أصدقاء منذ فترة طويلة، حتى هذا المقهى، اعتدنا الجلوس فيه نتكلم في كل شيء، في أي وقت، هذه أول مرة تقولين كلامًا كهذا.

- براء.. أنتَ تناولت جرعة من صنفنا الجديد، صحيح؟

- لماذا تسألين هذا السؤال؟

- لا أعرف، أتحسس في كلامكَ نبرة لا أفهمها، ما الغريب في كلامي؟! أنا هكذا وسأظل هكذا، أفتن الشباب، أستمتع بوقتي،

أتغذى على نظرات الغبيات وهن يتحسرن على عزوف الشباب عنهن، ومن هذا الذي يتجرأ على الاقتراب منهن وطيفي يجول بخاطره؟! ها ها ها ها.

امتعض براء لما يسمعه من كلامٍ أثار غيظه، رغم أنه يفعل نفس الشيء، «لماذا أنا مستاء هكذا؟!»، قالها في نفسه.

- براء.. براء، أين ذهبتَ بعقلكَ؟، لا تحاول إقناعي أنكَ غضبت بسبب ما قلته، هذه أول مرة أراكَ هكذا بعد أكثر من عامين ونحن معًا.

- لا عليكِ يا ريم، سوف أرحل الآن، أشعر ببعض التعب.

- كما تشاء.

قالتها ثم نظرت في هاتفها تتصفح الفيس بوك وكأن شيئًا لم يحدث.

نظر إليها ساخطًا على ردِ فعلها الذي اعتاده، لكنه لم يكن يستطيع أن يجد سببًا لضيقه. يا حدوتة، أحضر الحساب بسرعة، قالها في استعجال قاطعًا تفكيره.

تنبه لصوت يأتي من خلفه، بعد أن جلس يتفحص المارة، يحاول تشتيت انتباهه:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)

صدق الله العظيم.

لن ينصلح الحال إلا إذا غصنا بداخلنا، نشقُّه بحثًا عن روحنا التي خُلقنا بها، وقد دُفنت تحت ثرى خطايانا، فانقطع حبلها السُري

الـذي اتصـل بنـا منـذ ولادتنـا، يمدنـا بغـذاء يُبقـي علينـا أحيـاءً، لكـن انظـري إلينـا الآن، مـن نحـن؟، ولمـا أتينـا؟ وفيـمَ سنموت؟ لـن تستطيعي الإجابـة، فهـي تحتـاج لرحلـة بحـث عـن الـروح، ولـن نجدهـا إلا عندمـا نبحـث عـن روح الله، قبـل أن يُبدلنـا بقـوم آخريـن

كانـت الكلـمات قـد أسَرَت بـراء، لا يعـرف مـاذا حدث لنفسـه، انجذبت أسـاريره لـشيء خفـي يكمُـن في طيـات الكلـمات. شرد بذهنـه قليـلًا، ثـم التفـت خلفـه، فلـم يجـد أحـدًا، أخـذ ينظـر يمينًـا ويسـارًا، يجـول بنظـره، يتفحـص المـارة، فـلا يجـد أحـدًا يشـبه الـكلام الـذي سـمع، حتـى اسـتقر نظـره أمامـه لـيرى حدوتـة واقفًـا أمامـه وقـد بـدأ يـدرك صوتـه يقـول «يـا بـراء بيـه، مالـك؟، إنـتَ تعبـان؟ بقـى لي يامـا واقـف قدامـك وبقـول لـك الحسـاب».

أمسـك بيـد حدوتـة، فوقـف، تتعـالى أنفاسـه، وقـد احتـدَّ نظـره، قائـلا «حدوتـة، فـين الراجـل الـلي كان قاعـد ورايـا؟».

– خضِتنـي يـا بـراء بيـه، دا أسـتاذ مـراد، راجـل زي مـا تقـول كـدا بتـاع ربنـا، بييجـي مـن وقـت للتـاني، يقعـد عـلى الكـرسي بتاعـه، ويبتـدي يتكلـم مـع نفسـه، إنـما الصراحـة كلام نـاس عاقلـين، كلام ربنـا، والله بنرتـاح لـه كـدا متعرفـش إزاي، واخـد بـال حضرتـك؟، كنـا فاكرينـه مجنـون، لكـن كل مـرة كان بينـده لي فيهـا ويكلمنـي الاقيـه عاقـل أوي، ويقـول لي متخفـش أنا مـش بكلـم نفـسي، أنـا بقـول كلام علمـه لي ربنـا، عشـان يسـمعه صاحـب نصيبه .

– لكن دا كان بيكلم واحدة ست!

– والله عـادي يـا بـراء بيـه، شـكلها طلبـت معـاه يكلـم واحـدة سـت، أو كان بيتكلـم في التلافـون.. تؤمـر بحاجـة تانيـة يـا بيـه؟

- شكرًا يا حدوتة.

كانت ريم لا تزال تلتهم هاتفها بعينيها عندما نظر إليها براء، ولكنها زادت من استفزازها له بتحريك رقبتها يمينًا ويسارًا بابتسامة ساخرة، لا تنظر إليه حتى قائله «ربنا يشفي».

رمقها براء بنظرة كادت تحرقها مكانها، انتفض ونظر إليها من أعلاها لأسفلها، منصرفًا.

ركب سيارته، أدار المحرك، وتحرك يفكر في الكلام الذي سمعه، ولا يزال يعتقد أن من كان خلفه لم يكن بشرًا، إنما شيئًا آخر غير موجود.

جلس في الجامعة في مكانه المعتاد، لكن هذه المرة كان بمفرده، واضعًا وجهه بين كفيه، يسند يديه على رجليه، لا يشعر بأحد، كلما اقترب منه أحد أصدقائه لا يجد ردًا منه فيتركه ويذهب، لكن كانت تلك الفتاة الهادئة الطباع، ترتدي حجابًا أبيض طويلًا يميل إلى الدرجة الأغمق، وجهها أبيض يُشع نورًا من نوع خاص. تجلس على الناحية الأخرى تراقبه باهتمام شديد، حتى قررت أن تقترب وتقتحم الأسوار التي قد بناها حوله لهذا اليوم. وقفت أمامه للحظة تتفحصه، وكأنها تألَف كيانه، ثم جلست. لم يلحظ وجودها حتى لوَّحت بيدها الرقيقة أمام عينيه، ليرفع نظره ليجد أمامه ملاكًا قد نزل عليه من السماء، يبتسم ابتسامة تسع الدنيا بأكملها. ظل صامتًا للحظات يحاول استيعاب تلك الفتاة، يتحقق من كونها بشرًا أم هي الأخري تشبه من سمع في الليلة الماضية، حتى كسر صمته قائلًا:

- أنتِ بشر؟ أليس كذلك؟

تعجبت الفتاة، وبكل رقة قالت:

- نعم، انظر، أحرك يدي أمامكَ وهذا هو هاتفي، انظر، أظهر في الكاميرا كما ترى، إذن أنا بشر.

ابتسم ابتسامة تكاد ترى بالعين المجردة.

- آسفة على إزعاجك، أنا أريج زميلتكَ في السنة الأخيرة، أعرف أنكَ تكبرني بأربع سنوات لكننا في الأخير زملاء، أليس كذلك؟

- ها ها، نعم زملاء، لا عليكِ، بالعكس استطعتِ أن تُخرجيني من دوامة تعتصرني.

- هذه أول مرة أراكَ هكذا منذ فترة كبيرة، أو ربما من أول مرة رأيتكَ فيها منذ أربع سنوات.

- غريبة! اعذريني فلم أركِ ولا مرة، اسمحي لي، لا تسيئي فهمي، كيف لجمال كهذا ألا يلاحظ؟!

- إحم إحم، هذا براء الذي أعرفه، حمد لله على السلامة.

- ها ها، انظري، لقد أسأتِ فهمي، والله لا أقصد مغازلتكِ، بالعكس منذ ليله أمس وبراء ليس براء الذي أعرفه، أفكر في كل شيء بشكل مختلف، أنظر للأمور وكأني أراها لأول مرة، حتى الآن لا أعرف كيف أتكلم معكِ بكل سهولة هكذا وبالكاد أعرفكِ، ولكني أجد راحةً في الكلام معكِ، راحة لم أتلمسها منذ زمن بعيد.

- أنا سعيدة بكلامكَ هذا يا براء، ولكن ماذا حدث؟ ولا يفصلك عن براء الذي نعرفه حتى البارحة عن براء الذي يجلس أمامي الآن إلا سويعات قليلة.

- سأقول لكِ، فأنا أريد أن أُخرج ما يجول بخاطري منذ الليلة

الماضيـة، لكنـي عندمـا بحثـت عـن شـخص في حيـاتي أشـاركه لحظـاتي الغريبـة هـذه، لم أجـد مـن يفهـم، حتـى ظهـرتِ أمامـي وكأنـكِ مـلاكًا جاء ليرحمني، بالأمس كنت أجلس على المقهي كعادتي، حتى سمعت رجلًا يذكر آية من القرآن وكأنه يكلم أحدًا في الهاتف، لكني شعرت أنـه يحدثني محـاولًا إفهامـي شيئًا مـا وكأنـه رسـول جـاء برسـالة مـن السماء.. لا أعـرف مـاذا أصابنـي؟!

- أتحدثت إليه يا براء؟

- لا للأسف، عندما التفت له لم أجده وكأنه كان طيفًا.

- أعرفت اسمه؟

- نعم حدوتة القهوجي قال لي إن اسمه مراد.

- أتسمح لي أن أساعدكَ في البحث عن ذلك الشخص؟

- أحقا ستساعديني؟

- نعم، لطالما وددت مساعدتكَ.

مـرت الأيـام والشـهور، يبحثـان عـن مـراد ذلـك الطيـف، وخـلال هـذه الفـترة تعلـق بـراء بأريـج، وقـد أذاقتـه رحيـق النجـاح، تعطيـه معنى للحيـاة، وقـد عـزف عـن النبـت الفاسـد، هـؤلاء الأشـخاص الذيـن قابلهـم في حياتـه وتلـك الفتـاة سـليطة اللسـان. حاولـت ريـم جاهـدة جذب انتباهـه مـرة أخرى، وإرجاعـه لقبضتهـا محاوِلـة تشـويه كيـان أريـج بشتى الطرق، لكـن محاولاتُهـا بـاءت بالفشـل، فقـد امتلكـت أريـج قلـب بـراء وألقـت ببـذور حبهـا النقـي، وظلـت تُسـقيه بفيـض حنانهـا ليطـرح زهـورًا تحمـل رحيقًـا تسـعد بـه روح بـراء.

جاءت لحظة الحصاد، تأتي نتيجة الكلية تحمل خبرًا سعيدًا غاب عن براء لسنوات أربع، نجح وتخطى السنة الأخيرة ليبدأ حياةً جديدة مع أريج.

أمام الكمبيوتر، كانا يجلسان، ينظر لها بعينين ترسلان رسائل الامتنان والتقدير، ليبادرها قائلًا:

- أريد أن أكمل ما تبقى من عمري معكِ، عرفت الحياة على يديكِ، عرفت الله عندما رأيت صفاته فيكِ فأحببته، عشقت الجنة عندما حدثتني عنها، أتقبليني زوجًا لكِ؟

****

أريج.. أريج

رفعت عينيها تنظر إليه بابتسامة كانت بمثابة نسمة عليلة تتهادى على وجنتيه، تومئ برأسها معلنة عن قبوله رفيقًا لها.

أشرقت الشمس لأول مرة، وبراء يترقب ظهورها وكأنها المرة الأولى التي يقابل فيها أشعتها بعد أن أتم صلاة الفجر. جالسًا، يدعو ربه ليوفقه في خطوته الجديدة، ثم سجد يشكره على ظهور أريج في حياته.

توجَّه وهو في تمام الاستعداد إلى بيت حبه الصافي وكأنه يسير معتليًا سحابة تحمله لتمطر، تروي جسد حبيبته. دخل البيت منتظرًا حضور أخيها، فلم يكن والداها على قيد الحياة. دخل أخوها ليسلم عليه، أخذا يتجاذبان أطراف الحديث، مرت ساعة وقد اطمأن كل منهما للآخر، لتحضر أريج، ويتركهما أخوها ليتحدثا قليلًا.

نظرت إليه قائلة:

- من المؤكد أن أخي لم يذكر اسمه، فدائمًا ما ينسى.

ابتسم براء قائلًا:

- فعلًا، لم يذكر اسمه.

- ممممم. اسمه مراد.

****

- نعم هو أستاذ مراد، كما أخبرك حدوتة.

- كيف حدث ذلك، أكان يعرفني؟

- لا لم يكن يعرفكَ، ربكَ هو من كان يعرفك، وألقى بحبكَ في قلبي فعرفتكَ، سمعتكَ تتحدث مع ريم، تتفق معها على زيارة المقهى الذي يرتاده أخي، نزلت خلفه وانتظرتكَ حتى حضرت أنتَ وريم، وشاء القدر أن تجلس إلى جانبه. اتصلت به عندما رأيت ريم تمسك بهاتفها وأنت غاضب، سألته عن الآية التي سمعتها فكنت أريدكَ أن تسمعها، مستغلة قدرة أخي التي وهبه الله إياها في شرح كتابه العزيز، آمِلة أن تدك كلماته حصون قلبكَ، وقد كان بحمد الله. أنت براء، أي الخالص البرئ من السقم، ولكل منَّا حظ من اسمه، وها أنت الآن بحمد الله قد برأت من سقمك. بالمناسبة مراد لا يعرف ما قلته حتى الآن.

ما إن سمع براء هذا الكلام، حتى غمرت عينيه الدموع قائلًا:

- أنتِ ملاك بعثه الله لي، في وقت كنت قد فقدت نفسي، أحبكِ يا جنة العمر.

****

اختيار

سمية سعد دويدار

يـصرخ بفـزعٍ ويُقهقِـه بفـرحٍ واسـتمتاع. يعلـو صوتـه ويخفُـت بسرعـة بالغـة، كلـما اقـترَب منهـا أو بعُـد. يعيـش لحظـات حنونـة مجنونـة يسرقهـا بغتـةً مـن زمنـه دون موعـد.

يبتسـم قلبهـا لبراءتـه وطُهـره الداخـلي رغـم قـذارة بدنـه الظاهـرة وملابسـه التـي كانـت رثّـة ومهلهلـة.

ألقـت بـه الأقـدار في طريقهـا، لم يكـن موجـودًا في عالمهـا منـذ سـاعتين. كانـت تائهـة ضائعـة لا تُحس دفءَ شـمسٍ ولا حـلاوةَ ربيـع. قريبـة للـكل بعيـدة عـن نفسـها. تـرى جمال الحيـاة وألوانهـا المبهجـة مـن صومعتهـا كأنهـا تنظـر إليهـا بمنظـار مكـبَّر لا تستشـعره أو تسـتمتع بـه، لا ينقصهـا شيء سـوى سريـان الحيـاة نفسـها في روحهـا وحياتهـا. سـاعتان فارقتـان لكليهـما معًـا.

كان يئنُ عـلى جانـب الطريـق كجثـة هامـدة، مـن شـدة جوعـه وارتجافـه لقلـة ملابسـه وبـرودة الجـو التـي تسـحق روحـه قبـل عـوده الأخـضر.

لمسـت عينـاه الذابلتـان قلبَهـا، دنَـت منـه، فـلَاحَ لهـا شِـبه ابتسـامة مكسـورة عـلى شـفتيه، أسَرَهـا بصمتـه، لم تسـتطع المقاومـة، خلعـت رداءهـا وألبسـته إيـاه. ارتعـش صوتـه «جعـان». لم تنطـق كأنهـا مسـحورة بـه،

أمسكت يديه الصغيرتين تساعده على النهوض بهدوء شديد. تخشى عليه التَفَتُّت في يدها من شدة ضعفه.

صُدم وهو لا يكاد يصدقها وهي تعرض عليه المطاعم القريبة ليختار منها لأول مرة في حياته ما يحب من مطعم ووجبة ولعبة بذوقه ومزاحه دون قيد أو شرط.

صامتًا، بنهم شديد يلتهم طعامه دون توقف أو استراحة، يعوِّض حرمان سنوات مضت دون زَادْ، ويشحن لأيام قادمة لن تختلف عن سابق أيامه. انتهى من طعامه وظل صامتًا يرقُبها لدقائق ثم نطق باستحياء «مكسوف أقول لك، بس لسه جعان»، وأردف قائلًا «عايز آكل تاني من الأكل إللي أكلته». أحسّت بغرابة طلبه، لا تفهم سر طلبه، كانت واثقة أن معدته امتلأت عن آخرها، ولكن لا بأس. وقفت تطلب له وجبة أخرى، فاليوم يومه.

فجأة يخاطبها «أنا آسف، أنا مش جعان، بس ماما جعانة وتعبانة أوي في البيت، وعايزها تاكل وتشبع يمكن تخف».

مادت بها الأرض تحت قدميها، صغير هو للغاية على هذا الألم والجوع وهذه المسؤلية والقهر. أسَرَها بتصرفه ونقائه «تعالَ معايا». بسرعة تتحرك وهي تنفذ قرارها، أخذته لمكان يبيع ملابس الأطفال، بُهت أمامه. سحبت أنفاسه أضواؤه المبهرة وأزياؤه الرائعة. شرعت تشتري له ملابس جديدة تحميه وتحتويه، علّها تعوضه قسوة الدنيا وجبروتها. يقفز من الفرحة ويصفق غبطة وهو يجربها ويتحسسها بيديه، وهي تضفي عليه جمالًا وبهاءً وينظر لنفسه في المرآة بزهوٍ وثقة «آخر طلب هطلبه منك، نفسي أركب المترو وأنا لابس الهدوم القيافة دي عشان الأمن بيجري ورايا ويزعق لي وينزلوني ويقولوا ممنوع بتوع الزبالة». يا لبساطة أمنياتكَ وبراءة أحلامك، سهلة وبعيدة المنال «يللا

بينا على المترو». وبابتسامة منيرة داعبته «اسمح لي أطلب منك طلب، عشان إنت بتفكر في ماما هعمل لك مفاجأة، نروح الملاهي بعد المترو تلعب وتتبسط ونروح لماما نجيب لها كل إللي تحتاجه ونشتريه سوا».

اختلط صراخه في رأسها من هول مفاجأتها له وشدة فرحته عندما أخبرته بهذه المغامرة الخيالية بالنسبة له وبانفعاله وصخبه وهو يسحبها من يدها لترِّكبَه ألعابا أخرى، وهي تجري لتلحق به وتلبِّي رغبته فرحةً مسرورة.

سعادته المفرطة تصب كنهر جارٍ متدفق في سعادتها وهنائها، وتهب حياتها لحظات نقية بريئة، قلّما يجود بها الزمان، تُدرك الآن أن الزمام بيدها لتعيش هذه اللحظات دومًا أو تعدمها للأبد.

هرجٌ ومرجٌ وحوقلة عند دخولهما عُشة محطمة يُفترض أنها مأواه «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، مقدرتش تستحمل البرد والمرض والجوع وقلة الدواء»، «ابنها الصغير دا يا حبة عيني ملهوش حد»، أصوات من هنا وهناك تتحدث بحزن وأسى تعزِّيه في فاجعته وتنعى أمه الراحلة وتحاول أن تشد من أزرِه.

هكذا يستقبله أهل الحارة هو وصديقته الجديدة بعد عودته محملًا بالخيرات من رحلته الأولى في مدينة الألعاب المصغرة ودخوله لمدينة الألعاب الكبيرة فجأة دون ظهر أو سند من الآن فصاعدًا.

تتوقف مذهولة فاغرة فاها، يسقط كل ما تحمله في يدها من دواء وغذاء كان سيؤول إلى والدته، تحتضنه هو وبكاءه دون صوت ودموع. صمت مرة أخرى ولكنه صمت للأبد هذه المرة .. ظلت واقفة تنظر لِما حولها ، تفكر و تفكر ، لم يلزمها وقت طويل لتمسك بيده ثم تتحرك به عائدة من حيث أتت..

****

طباطيب العجب

الراوي : سالم حسين

بقلم : د / حسن زايد

يُحكى أنه كانت هناك مملكة عظيمة لملك جبار. كان هذا الملك يحب ابنته الوحيدة حبًا شديدًا، وكان لا يريد أن تفارقه ابنته أبدًا طوال حياته. ولما وصلت الابنة سن الزواج، لم يُرد لها أبوها أن تتزوج أبدًا، فوضع شرطًا لكل من أراد أن يتزوج منها، وإذا لم يتحقق هذا الشرط فإن جزاء المتقدم للزواج هو قطع رأسه وتعليقه على باب المملكة. أُذيع النبأ في كل أرجاء المملكة وفي الممالك المجاورة، وقد كان شرطًا بسيطًا وهو أن تتحدث ابنته مع من يتقدم لزواجها. كانت الأميرة تعلم أنها لن تخرج من القصر أبدًا بسبب حب أبيها لها، وما هي إلا عدة أيام وقد عُلقَت الرؤوس على باب المملكة لمن لم يستطع ممن تقدم لها أن يجعلها تتكلم. ثم جاء اليوم الموعود الذي مر فيه فارس زمانه، سالم الحكيم. تعلم سالم الحكمة منذ صغره، لم يكن غنيًا ولكنه كان يملك ما هو أغلى وأثمن من الذهب والفضة، لقد كان يملك الحكمة، وعندما مر سالم الحكيم ورأى الرؤوس المعلقة على باب المملكة عزم أن يختبر حكمته مُضحيًا بنفسه ليواجه جبروت وقسوة هذا الملك، وقرر أن يذهب للملك في قصره وأن يتحدث معه.

- مولاي الملك العظيم، إنني أريد أن أتقدم للزواج من الأميرة.

فقال له الملك باستهزاء:

- أو لم ترَ الرؤوس المعلقة على باب المملكة؟ هل تعرف شرطنا؟

فقال له:

- أعرف يا مولاي، إنه لشرف عظيم لي أن أموت وأنا أسعى في التقرب من أميرتكم الكريمة.

فانبهر الملك من كلامه وحكمته، ولكنه كان قد دبر كل شيء حتى يضمن عدم ذهاب ابنته مع أي متقدم لزواجها، فأمر الملك وزيره المُقرب بأن يذهب مع سالم وأن يجلس خارج غرفة الأميرة وأن يتابع ما يحدث ويخبره بكل شيء، ولما دخل سالم الحكيم إلى حجرة الأميرة انبهر بجمالها وصمتها، هي رائعة الجمال في وجهها نور مضيء وعليه علامات حزن مختلط بالأمل. كانت في انتظار فارس شجاع يستطيع أن يرسم البهجة على وجهها ويخرجها من هذا القصر الذي أصبح سجنًا بالنسبة لها، فبدأ بإلقاء السلام عليها، ولكن الأميرة لم تُجب.

- كيف حالك؟ هل تحبين أن نتحدث قليلًا؟ هل تعيشين بمفردك في هذا القصر الكبير؟

ظل يتحدث ويتحدث ولكنها لا تجيبه، فذهب إلى باب الحجرة وهو يعلم أن الوزير خلف الباب، وقال له:

- هل تستطيع أن تخبرني بقصة؟ أم أخبرك أنا؟

فقال له:

- بل أخبرني أنتَ.

فقال له:

- يُحكى أنه كان هناك ثلاثة رجال مسافرون بمفردهم إلى قرية ليعملوا بها، عبر طريق مليء بالوحوش الخطرة، وكان أحدهم نجارًا والثاني خياطًا والثاث زمارًا. ومشى الثلاثة باتجاه القرية، وأطل عليهم الليل فأرادوا أن يناموا فنظموا الأمر، بحيث ينام اثنان منهم ويبقي الثالث ليحرسهما من أي شيء خطر عليهما، وأن يتبادلوا الحراسة حتى الصباح. واقترعوا لمعرفة ترتيب الحراسة، فجاء النجار أولا ثم الخياط ثم الزمار. استلم النجار ورديته وذهب الخياط والزمار للنوم، فجلس النجار وأراد أن يشغل وقته بعمل حتى لا ينام، فظل يبحث حتى وجد قطعه كبيرة من الخشب فأخذ يشكلها وصنع منها عروس جميلة وتفنن فيها حتى أكملها، ولما انتهى منها كانت ورديته قد انتهت وذهب ليوقظ الخياط ليستلم ورديته، فاستلم الخياط ورديته وظل يفكر ماذا يفعل، فوجد العروس الخشبية، فقرر أن يخيط لها فستانًا بديعًا، وأبدع الخياط في عمله وألبس العروس الفستان، فكان روعة في الجمال وانتهت ورديته فذهب ليوقظ الزمار ليكمل حتى الصباح، وأعطاه العروس ذات الفستان البديع ونام الخياط، فأخذ الزمار يفكر ماذا يفعل حتى لا ينام، فأمسك المزمار وظل يعزف للعروس معزوفة طويلة من أجمل المعزوفات، وأثناء عزفه، إذ بالعروس تتحرك كأنها ترقص، ودبَّت فيها الحياة، فصاح الزمار فاستيقظ النجار والخياط ليصبح الجميع في ذهول مما حدث. لقد أصبحت عروسًا حقيقية، ثم بدأ الصراع بينهم، من أحق بالعروس ذات الفستان البديع؟

فأخبرني أيها الوزير من الأحق بالعروس؟؟

فاحتار الوزير، وبعد فترة قال له:

- النجار، لأنه هو الذي صنعها في البداية.

وهنا صاحت الأميرة، وقالت:

- لا .. إن من يستحقها هو الزمار لأنه من جعل الحياة تدبُّ فيها.

وهنا انشرح صدر سالم الحكيم، لقد تحدثت الأميرة أخيرًا، وقال للوزير:

- هل سمعت الإجابة من الأميرة يا وزير؟

فقال له:

- نعم، وسوف أخبر الملك في الصباح.

ولما أصبح الصباح، ذهب الوزير للملك وأخبره بما سمع، فتعجب الملك من ذكاء سالم الحكيم، وأراد أن يُفسد الأمر وأخبر الوزير بأنه ينبغي أن تتكلم الأميرة مرة أخرى في حضور وزير آخر. وفي المساء ذهب الفتى سالم إلى حجرة الأميرة وهو يظن أنها سوف تتحدث معه بطلاقة، فقال لها:

- كيف حالكِ اليوم؟ لقد أعجبتني حكمتكِ أيتها الأميرة، هل أعجبتكِ القصة؟

لكنها لم تُجب، لقد تمكن منها الصمت واليأس، ولكن سالم ازداد عزيمة وصبرًا وأملًا في الفوز بالأميرة، فمن أوتي الحكمة فإن الهزيمة والاستسلام لا يعرفان لقلبه طريقًا، فذهب للوزير وحدثه من خلف الباب، وقال له:

- هل تحدثني بقصة يا وزير أم أحدثك أنا؟

فقال له:

- بل أخبرني أنتَ بقصة.

فبدأ سالم بالحكي:

- يُحكى أنه كان هناك رجل وزوجته وصديقهما يسيرون في طريق مسحور، وبينما هم سائرون، إذ بعربة تجرها ثمانية خيول تسير على سرعة كبيرة جدًا لتصطدم بهم، فقطعتهم جميعًا إلى أنصاف متساوية، ولأنهم كانوا يسيرون في طريق مسحور إذ بأشلاء أجسادهم تتجمع مرة أخرى، فتجمعت المرأة مع نصفها ولكن نصفا الرجلين تجمعا متبادلين، فأصبح نصف الزوج الأعلى في جانب ونصفه الأسفل في جانب آخر. ولما أراد نصف الرجل الأعلى الذهاب مع زوجته اعترض الرجل الثاني، وأخبره بأنه الأحق بزوجته، لأن الزواج الحقيقي لا يكون إلا بالنصف الأسفل الذي يحمله معه، وحدث تشابك بينهما، فأخبرني أيها الوزير في رأيك، من الأحق بتلك المرأة؟

فتعجب الوزير من القصة وصمت قليلًا، ثم قال له:

- نصف الرجل الأعلى هو الأحق بزوجته، لأنه يحمل العقل.

وهنا صاحت الأميرة:

- لا إن نصف الرجل الثاني هو الأحق بها لأنه لا زواج حقيقي إلا بهذا الجزء، وهنا ابتسم سالم الحكيم، لقد جعل الأميرة تتكلم. وقال للوزير:

- هل سمعت الأميرة وهي تتحدث بالإجابة الحكيمة؟

- فقال له:

- نعم، سوف أخبر الملك في الصباح.

ولكن الملك لم ينم في تلك الليلة، لقد فكر كثيرًا كيف يوقف سالم الحكيم عند حده. في الصباح ذهب الوزير وأخبر الملك بما حدث، واجتمع جميع الوزراء والقصر كله في حضور الأميرة التي ازداد

وجهها نورًا وأصبحت تشعر بالأمل، فقال الملك:

- لقد أبهرتني أيها الفتى الشجاع بحكمتكَ، لقد تعديت الاختبار الأول، والآن أريد مهر ابنتي.

فقال الفتى سالم الحكيم:

- اطلب ما تشاء، سنحضره لكَ.

فقال الملك:

- مهر ابنتي طباطيب العجب.

فاندهش الجميع لأنهم يعلمون أنه لا يوجد شيء اسمه طباطيب العجب، وعاد الحزن ليملأ قلب الأميرة، فخرج سالم الحكيم وقد نجا من تعليق رقبته على باب المملكة، ولكنه قد أحب الأميرة بشدة، ذلك الحب الذي ولد من أول نظرة لعينيها. لم تفارقه عيناها أبدًا، فقرر أن يبحث في جميع الممالك عن أي أحد يعرف طباطيب العجب، ولكنه لم يعثر على أي أثر له. وفي أثناء بحثه تعرف على ساحر وعمل عنده من أجل قوت يومه، وتعلم سالم فنون السحر حتى أتقنها كلها، وأصبح الناس يطلبونه ولا يطلبون الساحر، فقرر الساحر التخلص من سالم بأن يقتله، فلما شعر سالم بالخطر والغدر، قرر الهروب من الساحر، لأنه يعلم شره، فطارده الساحر، ولما أدركه واقترب بشدة من سالم، حوَّل سالم نفسه إلى حمامة، ليطير هربًا منه، فحوَّل الساحر نفسه إلى صقر ليلحق بالحمامة، وقطعا مسافة كبيرة حتى ظهرت مملكة الملك والأميرة، فطار نحو القصر ودخل من الشباك أمام الملك، والصقر يطير وراءه، وحينها حوَّل نفسه إلى رمانة ذهبية، ونثر نفسه إلى حبات كثيرة وكل هذا أمام الملك، فنزل الصقر على الأرض باحثًا

في الحبات عن سالم لعله يعثر عليه، وبينما الصقر مشغول بالبحث، إذ بالفتى يخرج من وراء الستار وقد تحوَّل إلى سالم الفتى الحقيقي، وأمسك بالصقر وأخرج سيفه وذبحه.

فصاح الملك:

– ما هذا؟

فقال له سالم:

– طباطيب العجب يا مولاي الملك.

وهنا ذُهل الملك، ولم يستطع أن يتكلم، وفاز سالم بحكمته على الملك والوزراء، وفاز بالأميرة التي تَبدل يأسها أملًا وتحوَّل حزنها فرحًا، وأصبح الجميع على يقين بأن الحكمة تهزم أي شيء.

****

نمُّول ونمُّولة

د. حسن زايد

يتحدث أحد المتسابقين إلى الآخر وقد اقترب ميعاد السباق.

- يا لها من مسافة طويلة سنقطعها، ما رأيك؟

- أرى أن المسافة قصيرة جدًا مقابل ما سنفوز به.

- هل أنت متأكد من أن الملكة جميلة؟ إنكَ لم ترها من قبل!

- نعم لم أرها ولكني أحلم بها كل يوم.

- هلا تخبرني عما تحلم به، فأنا لم أستطع تخيلها أبدًا.

- أحلم بأنها تشبه ورق الشجر في رشاقة جسدها، ولها عينان ما أروعهما، يشبهان حبات الرمل التي نسير عليها، شعرها يشبه الحرير الذي تصنعه الدودة من ورقة التوت الكبيرة.

- هل تعلم أني مفتون بها حتى من قبل أن أراها، وأعلم أني أنا من سيفوز بها.

- وأنت؟ ألم تحلم بها من قبل أبدًا.

- أنا لم أحلم بها قط، ولكني أريد أن أسألك سؤالًا، لماذا تجلس الملكة على بُعد هذه المسافة الكبيرة التي تتجاوز ألف حبة من حبات الذرة؟ ولماذا نخاطر بأنفسنا كل هذه المخاطرة لنصعد هذه النخلة الطويلة؟ هل تظن أن الأمر يستحق العناء و...؟

قال غريمه مقاطعًا إياه ومتكلمًا بحماس:

- نعم، إن الأمر يستحق، نحن لا نستحق الحياة إذا لم نخاطر بأنفسنا فيما نريد أن نفوز به، إن من يفوز يُنقش اسمه على حجر المجد والشرف والشجاعة، لأنه يؤدي دورًا عظيمًا في استمرار هذه المملكة.

- لقد أعددت نفسي لهذا اليوم العظيم، وإنني على يقين بأني سأكون الفائز اليوم.

- يا لها من ثقة كبيرة.. أنا حتى لا أعلم لماذا دخلت السباق..

- يا صديقي أنصحك بألا تدخل السباق أصلًا، لأنك بذلك تضحي بحياتك من أجل لا شيء. من لا يعلم أين يذهب فإنه لا يستحق الحياة، وإذا علمت أين أنت ذاهب فسوف تفوز قطعًا. ألا تعلم قوانين هذه المسابقة؟

- لقد فات الأوان يا صديقي، سوف يبدأ السباق الآن وسوف نرى.

يتحدث الآن مُنظم السباق في المملكة:

- انتباه للجميع.

بسم الله..

في هذا اليوم العظيم من كل عام تتزين جميع أركان المملكة لاستقبال هذا الحدث الكبير، من يفوز اليوم يفوز بلقب الملك الشجاع. هناك ثلاثة قوانين لتنظيم هذا السباق.

القانون الأول: إن كل الوسائل ممكنة للصعود لأعلى النخلة.

القانون الثاني: من يفشل في الوصول لخط النهاية فهو لا يستحق الحياة.

القانون الثالث: تتم مراسمه بعد الفوز بالملكة، ولا يعلمه إلا من يفوز بالملكة.

إن كل الأحـداث سـينقلها لنـا مذيـع النمـل الـذي تحملـه النمـلات الطائـرات حتـى خـط النهايـة، حتـى تعلـم جماهـير النمـل مـن الفائـز بلقـب الملـك الشـجاع.

ويتوقـف نقـل الأحـداث عنـد اللقـاء بالملكـة. سـوف يبـدأ السـباق عنـد النقـر بحبـة الـذرة ثـلاث مـرات عـلى الحجـر الرنـان، اسـتعدوا يـا ذكـور النمـل.

- بدأ السباق.

يتحدث مذيع النمل.

- يتقـدم الآن.. يـا إلهـي، لقـد سـقط أول منافـس عـلى بُعـد خمسـين حبـة ذرة وهـوى عـلى الأرض، إن المنافسـة شرسـة وسريعـة والنمـل يتسـاقط سريعًـا. ولكـن هنـاك عـلى اليمـين نملـة تسـبقهم جميعًـا. إنـه يحمـل العلامـة الحمـراء، إنـه نمـول.

إنـه يصعـد بسرعـة كبـيرة جـدًا، وتجـاوز الجميـع بمسـافة مائـة حبـة مـن الـذرة، لقـد اقـترب مـن الحـد الفاصـل الـذي لـن نسـتطيع بعـده نقـل الأحـداث، أرى أنـه قـد فـاز بالسـباق.

هنيئًا لك أيها الملك الشجاع نمول.

سوف يلتقي بملكة ملوك النمل، الملكة نمولة.

نمول وقد وصل لخط النهاية، أخذ يحدث نفسه:

- أسـتطيع الآن أن أهـدأ قليـلًا وأن أرتـب نفـسي للقـاء الملكـة، سـوف ألتقـي بحلـم عمـري، هـل هـي كـما حلمـت بهـا؟

يتقـدم نمـول وسـط الحـراس بخطـوات ثابتـة في سـاحة قـصر الملكـة المعطـرة برائحـة زهـرة البرتقـال الخلابـة، إن كل شيء مرتـب بدقـة بالغـة،

ورقات الذرة الخضراء تزين المكان وفي نهاية الممر الذي يسير عليه يوجد عرش الملكة نمولة، ويبدأ حوارٌ بين الملكة والملك الشجاع.

قالت الملكة:

- أهلًا بالملك الشجاع نمول.

أجابها نمول وقلبه يدق بشدة:

- مولاتي ملكة ملوك النمل أو تعرفين اسمي؟

فأجابته ضاحكة:

- أنا الملكة التي تعرف كل شيء.

قال نمول:

- هل أستطيع أن أقترب من جلالتكِ؟ أنتِ تمامًا كما حلمت بكِ كل يوم، يا ربي، الشعر الحرير والعين التي تشبه حبات الرمل والجسم الرشيق. مولاتي، هل أستطيع أن أناديكِ بنمولة؟ وأن أمنحكِ اسما كنت أردده في خيالي.. نمنم.

قالت الملكة:

- لكَ الحق في كل شيء حتى الصباح.

قال نمول مستغربًا:

- حتى الصباح؟!

قالت الملكة:

- نعم فستبدأ مراسم القانون الثالث في الصباح.

قال نمول شاردًا:

- نعم القانون الثالث.. لقد نسيت.

تتقدم الملكة نحو نمول وتضع يدها في يده، ويتقدمان نحو الحجرة الملكية الخاصة، كل شيء مُعد بدقة، أكواب العسل تملأ المكان، وعبق زهرة البرتقال ينتشر في الأجواء.

قالت نمولة بدلال:

- أنت شجاع يا نمول، احكِ لي ما الذي جعلك تتفوق عليهم جميعا.؟

قال نمول:

- يا مولاتي نمنم، كان عندي إيمان بالفوز، لقد حلمت بذلك طوال عمري، لقد أعددت لهذا اللقاء منذ الصغر، وأردت أن يُنقش اسمي على الحجر.

- ولكن يا نمول سأسألك ولا تغضب مني، إنك شجاع ولكنك لست قوي العضلات؟

- مولاتي ليس من يفوز القوي فقط، **إنما يفوز من يؤمن أن بإمكانه الفوز.**

- **يفوز من يؤمن أن بإمكانه الفوز؟!** يا لها من كلمات حكيمة.

- كان إيماني أقوى منهم جميعًا، لقد أعدُّوا أبدانهم ولكنهم لم يعدُّوا قلوبهم، لقد كنت أحلم بكِ كل يوم يا نمنم.

تتقدم نمولة نحو نمول وقد تحرك قلبها نحوه:

- أو كنت تحلم بي كل يوم حقًا؟

- نعم يا مولاتي، إنه الحب.

قالت نمولة وقد أمسكت بيد نمول:

- حدثني عن الحب يا نمول.

أجاب نمول ناظرًا إلى عينيها:

- هل رأيتِ حينما تنزل قطرات الماء من السماء في الشتاء وتكون السماء مليئة بالغيوم، ثم يأتي الربيع، فتتفتح الزهور وتبتسم للحياة، ويزداد الشجر تألقًا وبريقًا ويغرد الكون بصوت جميل، ونسمات العبير تغازل الوجوه وتصبح السماء صافية بعد الغيوم، هكذا الحب في القلب. إن الحب هو الزهرة وهو نسمات العبير وهو صوت جميل في القلب يا مولاتي، وإن حب الله هو أسمى حب في الكون يا مولاتي.

- إن حكمتكَ فاقت الوصف يا نمول.

- إن جمالكِ هو الذي فاق الوصف.

- إن لكَ قلبًا نقيًا يا نمول.

- إن القلب لا يكون نقيًا إلا إذا أحب.

- لقد ذاب قلبي من روعة ما تقول أيها الملك الشجاع، وإني أتمنى أن يطول بنا الزمن يا نمول.

- لا أحب الأماني، فالأماني أحلام بلا أفعال، إذا أردتِ شيئًا فافعليه، هكذا تتحقق الأماني.

قالت نمولة بقليل من التردد:

- هناك بعض القوانين التي أريد تغييرها يا نمول.

- ولكن مملكتنا تسير على هذه القوانين منذ الأزل، ولهذا مملكتنا متقدمة على الجميع.

- إن الحياة قد تظلم في بعض الأحيان يا نمول.

- إن الحياة لا تظلم أبدًا، نحن نستطيع أن نتخذ القرار، فنحن من نظلم وليست الحياة، وأنتِ تعلمين أن من يغير قوانين المملكة فإنه يتخلى عن منصبه، ولا أظن أن مولاتي ستغير قانونًا وتتخلى عن منصبها كقائدة للمملكة.

واصل نمول:

- لقد اقترب الصباح يا مولاتي، هيا لننام، هناك مراسم القانون الثالث.

في الصباح يخرج الملك والملكة من الحجرة الملكية. الحراس على جانبي الطريق وهناك الوزراء بجانب كرسي العرش وهناك ممنون الذي يحمل سيف العرش.

أومأت نمولة لنمول أن يتقدم.

قال نمول:

- تقدمي أنتِ يا مولاتي، أنتِ الملكة.

- صدقني لم أصبح ملكة إلا اليوم لأن بجواري ملك شجاع وحكيم.

قال نمول مبتسمًا:

- كلامكِ يدل على الحكمة التي تعلمتِها من نمول.

صعدت الملكة على عرشها والتزم الجميع الصمت، وأشارت الملكة ببدء المراسم.

يتحدث خطيب النمل:

- بسم الله..

تحت قيادة الملكة نمولة يتم منح نمول لقب الملك الشجاع ويُنقش اسمه على حجر المجد والشرف والشجاعة، وتحت قيادة الملكة أقول القانون الثالث:

من يؤدي وظيفته بالحياة فإنه يستحق الحياة الأبدية.

وهنا انتبه نمول وأدرك معنى كلمة الحياة الأبدية، إنها تعني الحياة بعد الموت!

وأدرك لماذا تريد الملكة أن تغير القوانين، نظر إلى الملكة فوجد عينيها تمتلئان بالدموع وهي تنظر إلى الأرض ولا تنظر إليه. لم يستطع أن ينطق بحرف واحد! وجاء الحراس ليأخذوا نمول إلى نهايته، وعندما وصل إلى المكان الذي يقف عنده ممنون السياف، أعد ممنون نمول لاستقبال الحياة الأبدية مُنتظرًا إشارة الملكة التي لا تزال مطأطأة الرأس والدموع تتساقط من عينيها أمام الجميع، إنها لم تعطي الإشارة حتى الآن، واستسلم نمول لأقداره.

ماذا تنتظر الملكة؟

وفجأة، تقدمت خطوات لتنزل من على العرش ممسكة بتاجها الملكي لتضعه على جانب كرسي العرش في مشهد هزَّ جميع الوزراء والحراس، فليست هناك ملكة تخلع تاج العرش أبدًا، وأسرعت نحو نمول لتفك قيوده بنفسها. قالت وهي تبكي:

- لقد اتخذت قراري يا نمول، إن مثلكَ يستحق الحياة، إن متعة القرب منكَ أفضل من تاج العرش في البُعد عنكَ، لقد تفتحت زهور قلبي وازداد الشجر بريقًا وأصبح قلبي يغرد بصوت جميل منذ التقيتكَ، ألا تسمع دقات قلبي يا نمول؟

- كيف لا أسمع ونسمات قلبكِ تغازل وجهي يا مولاتي؟ وعرشك يا مولاتي؟

- الحب أقوى يا نمول، من يؤدي وظيفته بالحياة فإنه يستحق الحياة.

همس نمول في أذن الملكة «نمنم» لتبتسم الملكة، ويصيح كل من في المكان:

عاش الملك والملكة

عاش الملك والملكة

عاش الملك والملكة.

****

علبة شيكولاتة فارغة

ياسمين عباس

«جدتك ماتت»

أحست وكأنما خنجرًا قد اخترق أذنها مرارًا، مارًا إلى عقلها.. ثم إلى قلبها حتى استقر في الروح فماتت هي الأخرى. بكت أنهارًا لعل نحيبها يوقظها، لعلها تسمعها فتنهض وتكفكف دموعها بكفيها كما تعودت منها. كانت موقنة أنها ستفتح عينيها مرة أخرى، فهي التي طالما شعرت بها من صوت أنفاسها فكيف لها أن تتركها هكذا كأنما تحولت إلى نبع لاينضب من الدموع؟! وقد فارقت الروح تلك اليد الحانية التي كانت موكلة بمسح دموعها. أدركت أنها رحلت لكنها لم تكن تتخيل أن ذاك الألم الرهيب سيظل داخلها ليرافقها مابقي لها من العمر. تماسكت حتى تؤدي آخر واجباتها نحو هذا الجسد المسجى. انتزعت خاتمها وأساورها ودبلة رفيق العمر الذي تركها أرملة صغيرة وفي عنقها من الأولاد خمسة، مات اثنان منهم في حياتها، طفلًا وامرأة كانت لها أما وبنتًا وأختًا وصديقة، ولكنها أكملت الرحلة رغم الأنين وكانت جبلًا من الصبر والرضا. لا أذكر أن رأيتها تبكي يومًا. كانت كل حكاويها تضحكني وكل أفعالي تضحكها. كنا نرقص كالطفلين معًا وكأن سنوات عمرها تتلاشى وهي معي في غرفتها التي شهدت ضحكاتنا، ودموعي التي كانت تنتهي على كفوفها، وصوتها

يرجوني أن أتوقف عن بكائي وتتوعد من أبكاني أيًّا كان أنها (هتقطعه حتت) فأغسل وجهي وأعود لها ضاحكة وكأن شيئًا لم يكن.. بحرفية شديدة وعفوائية أشد استطاعت أن تعبر الجسر وتعيش معي طفولتها وطفولتي لنكبر معًا في عالمٍ جدرانه حبٌّ وأمنٌ و .. قِطع من السعادة الخام المتمثلة في الشيكولاتةً..

كنا نقف أمام خزانة ملابسها الضخمة ذات المرآة الكبيرة التي كانت تعكس صورتها وصورتي وأنا بالكاد أصل لخصرها. لا زلت أسمع صرير الدرفة وهو يفتح وكأنها مغارة السعادة وأشم رائحة ملابس جدي العسكرية القديمة والتي لم تستطع أن تتخلى عنها، لأرى كنوزها: سبائك من الشيكولاتة المتراصة في علبها و (جواهر الجالاكسي) التي يرسلها لها أعمامي من «بلاد برة» متراصة بعناية على الرف الأعلى نغترف من السعادة بهدوء (اللي عامِلّه عاملة) بالذات بعد أن كبرت ولزم عليّ اتباع حمية غذائية قاسية. فنأكلها في سعادة وهدوء. آكل قطعتي سريعًا وأنظر لها فتضحك لي وتشبهني بقطة تنتظر قطعة أخرى فتشاركني قطعها فألتهمها ممتنة لها وأتوسد حِجرها كقطة.. (قطتتي، تيجي ناكل شيكولاتة كمان؟) فتلمع عيني وأنا أتبعها فتعطيني واحدة فأطلب أخرى وهي تقول: «من عيني دي وعيني دي» فأُشير إلى فمي بأصبعي وأقول لها (بؤي مان؟) أي «كمان»، فتضحك على دعابتي في كل مرة حتى بعد أن كبرت ظللت أنطقها كطفلة ونضحك.

مرت سنوات منذ تلك اللحظة التي فقَدت فيها ذلك الحب غير المشروط ولا زلت أبحث عنها في وجوه الناس حتى ولو في كلمة. يمن الله عليّ فتأتيني في حلم تقبّلني وأنعم بحضن طويل دافئ..

لأستيقظ رافضة أن أفتح عيني مستشعرة دفء اللقاء في يديها فأعلم أن الله راضٍ عني فأرسلها لي لتلملمني من بين جنبيّ.. تخونوني دموعي وكأنها تشتاق إليها فأمسحها بمنديل خشن وأفيق على صوت زوجي بجانبي: «ما تروّقي كده وقومي اعملي لنا كوبايتين شاي ياااااا قطة.. أترك فراشي البارد فأمرّ أمام مرآة كبيرة فأرى امرأة قد شارفت الأربعين تبكي كالأطفال أمام خزانة تحمل بذلة عسكرية وفستانًا أسود و... علبة شيكولاتة فارغة..

****

مِن أولِ نظرة

محمود محمد محمود

هو حُبٌ من أول نظرة، أكاد أُجزم بذلك.

بهرتني في كل شيء. عيناها، ملابسها، تصفيفة شعرها، نظارتها الطبية، كل شيء مُبهر فيها بدرجة لا تُوصف.

رأيتها لأول مرة أثناء وقوفي بجانبها على رصيف القطار، اختلستُ نظرات خاطفة نحوها، مستمعًا بطلَّتها، مستنشقًا عبيرُ عطرها الجذاب. أتمنى أن ترى إعجابي بها أو حتى تشعرُ به، أتمنى أن تفتح معي بابًا للحديث لأني فاشل في فتح أبواب الحديث مع الغرباء، سواء كانوا رجالًا أو نساء، على النقيض من الكثيرين ممن لديهم تلك الموهبة.

لكنها لم تلتفت لي.. للأسف.

سعادتي لا توصف، عندما ابتسم لي الحظ، عندما وجدتها تستقل نفس القطار، بل ابتسم الحظ لي أكثر عندما ارتفعت خطواتها لتستقل نفس العربة، كدت أن أفقد عقلي عندما ساعدني حظي - الذي كان عاثرًا طوال سنين حياتي - بأن جاء مقعدها بجواري.

هي فرصتي الآن...

تحدث لها، تشجع يا جبان، إنها رائعة. تحرك يا كتلة الكسل، افتح باب الحديث معها، تكلم في أي شيء بالله عليك.

لكن..

ظللت صامتًا وجبانًا كعادتي.

تحرك القطار مطلقًا نفيرًا قويًا، حاولت التشجع، لكن جينات الجُبن كانت ضاربة بجذورها في أعماقي. اختلست نظرة سريعة فوجدتها وقد وضعت سماعات الأذن وبدأت تتمايل مع الموسيقى القادمة من هاتفها المحمول.

مع مرور الوقت برتابته المعهودة أثناء السفر، قررت تناسي الأمر وإغلاق عينيي في إحباط ويأس، لعلِّي أنام حتى وصول القطار.

شعرتُ بحركة بجواري، فتحت عينيي لا إراديًا، رأيتها وقد قامت من مقعدها واتجهت لمؤخرة العربة، تابعتها ببصري حتى اختفت عن ناظري.

نظرت لمقعدها، ولم أعي كيف فعلتُ ذلك.

أمسكت بحقيبتها وفتحتها وبحثت فيها كالمجنون حتى وجدت جواز سفرها، اسمها غدير، خمسة وعشرون عامًا هذا هو عمرها مع أنها تبدو أصغر، عزباء - وهذا رائع ومهم وفأل حسن بالتأكيد. أمسكت هاتفها الموصول بسماعة الرأس وضغطت زر التشغيل، فتظهر أمامي صورتها في الخلفية مرتدية فستانًا أخضر أنيق التصميم، وشعرها الأسود الفاحم منسدل على كتفيها من الأمام، وتبتسم في سعادة ورقة، ظهر معهما صفان من الأسنان البيضاء المتناسقة.

جذبتني صورتها وبقيت مُحدقًا بها بكل سعادة وأرسم في مخيلتي أنا وغدير ونحن كعاشقين يذوب كل منَّا في الآخر.

ولم أشعر بالوقت الذي مر عليَّ وأنا هكذا، لكنني عدت لأرض الواقع عندما انتبهت لتلك اليد التي تقبض على يديَّ بقسوة على

الرغم من رقة اليد القابضة وطلاء الأظافر الذي لم أستطع تمييز لونه، رفعت رأسي نحو الجسد الذي يحوي هذه اليد، فكانت هي.. غدير، واقفة تنظر بغضب عارم وعيناها متسعتان عن آخرهما، تجلَّت حدقة عينها الرمادية المائلة للأزرق، فقالت بحنق:

- ماذا تفعل يا لص؟

ارتبكت وتلجلج لساني، وأنا أقول:

- أنا لم أقصد، كل ما أردته أن أعرف عنكِ أكثر، فأنا مُعجب بكِ لا أكثر.

صمتت.. لبرهة ثم قالت بحدة:

- ولماذا تُعجب بي وأنتَ لا تعرفني؟

- لا يشترط أن أعرفكِ لكي أُعجب بكِ.

أجبتها بهدوء.

زفرت غدير بقوة وهي تسحب هاتفها وحقيبتها وتلقي بنفسها على مقعدها، ثم نظرت إلى وقالت بهدوء:

- هل أنت هكذا تُعجب بأي شخص تلقاه؟

«فُتح باب الحديث أخيرًا»، صحت بها في داخلي قبل أن أجيب سؤالها بحماس:

- كما قُلت لكِ، لا يُشترط أن أعرف فلانًا بشكل شخصي لكي أُعجب به، كُل ما جذبني نحوكِ هو وجهكِ الصافي وعويناتكِ التي أضفت عليكِ رونقًا قلما أجده، وتصفيفة شعركِ الرائعة، واختياركِ للألوان جميل ورائع.. هذا ما جذبني إليكِ.

رأيتُ الاهتمام والجدية على ملامحها وهي تستمع إليّ، ثم قالت بهدوء وعلى شفتيها شبح ابتسامة:

- هذا ليس سببًا كافيًا لتُعجب بي؟

ران عليَّ الصمت، ولم أجد ما أجيبها به، فأردفَت:

- عزيزي الذي لا أعرف أسمه، أنا سيدة متزوجة ولديّ طفلة صغيرة، فلا يغرنَّك مظهري، فأنا أفعل ذلك دومًا منذ صغري.

- اسمي إياد يا سيدة غدير.

أشارت بكلتا يديها لكي أصمت، فصمت، وأكملت هي:

- اعذرني، لا يهمني معرفة اسمك من عدمه، لكن عندي لك نصيحة، أنتَ تبدو لي شخصًا محترمًا، ويُخيل لي أنكَ تبحث عن صديقة أو زوجة بسهولة و...

قاطعتها بحماس:

- نعم يا سيدة غدير، أنا أبحث عن زوجة لا صديقة.

هزت رأسها في يأس، وقالت مبتسمة:

- ابحث عمن تُريد وقتما تُريد وكيفما تُريد، لكن عليكَ أن تدرك شيئًا، هو أن لكل أمر تُريده أوان حُدوث فلا تتعجله، فربما في المرة القادمة لن تلتقي بسيدة طيبة.

نظرتُ لها مبتسمًا في بلاهة، فأكمَلت حديثها:

- حظ جيد في محاولاتك القادمة.

تركتني وقامت والقطار على وشك التوقف، واتجهَت نحو باب الخروج، ثم التفتت ناحيتي وقالت بصوت مرتفع:

- حظًا سعيدًا يا إياد.

انفرجت أساريري عندما سمعت اسمي يخرج من شفتيها، تابعتها بنظري من نافذة القطار فأراها تحتضن طفلة صغيرة مرحة ويقف بجوارها رجل أنيق في كل شيء يبدو لي أنه زوجها.

ابتسمتُ في أسى، فنظرت لي الطفلة الصغيرة مبتسمة وهي تلوِّح بيدها بإشارة الوداع، بادلتها التحية، ثم بكيتُ.

أخرجت قلمًا ومُفكرتي التي أحملها دومًا، وظللت أدور بالقلم في دوائر كثيرة حتى وجدتني أكتب وأنا أنطق بالكلمات:

أحببتكِ يوم تجلت شمسكِ في سمائي

حديثُكِ خاطف أسَرَني وبدَّل من أحوالي

حَلُمت بكِ وقتها أنكِ زوجتي أو صديقة

لكنكِ رحلتِ وتركتِني مسافرًا في أحلامي

أخرَجَتني من تركيزي تلك اليد الحانية التي تُربِّت على رأسي بحنان، وتهُزني وتقول:

- إياد، استيقظ يا بني، ماذا بك؟

فتحت عينيَّ لأجد أمي واقفة تبكي، فقالت:

- أحلمت بغدير مرة أخرى؟

غمغمت قائلًا:

- نعم!

استمرت أمي في البكاء، وجلست بجواري وقالت:

- وبمَ حلمت هذه المرة؟

بكيت أنا هذه المرة وقلت:

- بلقائي بها لأول مرة، كنت أظنها متزوجة، لكن الذي عرفته منها بعد ذلك أن الرجل الذي قابلته لم يُكن سوى أخيها والطفلة هي ابنته.

- يا بُني غدير لن تعود، لقد توفيت.

- ومتى توفيت؟

- توفيت صباح يوم زفافكما.

انفجرت باكيًا وألقيت بنفسي في أحضان أمي التي انهارت هي الأخرى بكاءً على حالي الذي تدهور منذ وفاة غدير وانهياري الذي بسببه تم إيداعي بمستشفى للأمراض النفسية والعصبية.

****

رائحة الشقاء

محمود محمد محمود

لطالما كرهت تلك الرائحة، رائحة أبي عندما يعود عصر كل يوم منهكًا من عمله باحثًا عن قِسط من الراحة ليستعد لبدء عمله الثاني حتى المساء، والذي يعود منه وقد بلغ منه الإنهاك مبلغًا عظيمًا.

وفي كلا الحالتين أحتضنه بكل قوة كطفل صغير، رُزق أبواه به بعد إخوته الأكبر باثنتي عشرة عامًا من تأخر الإنجاب. وأنا لا أكذب عندما أقول إنني كنت أكره هذه الرائحة التي كانت تُزكم أنفي كلما احتضنته، وتشعرني بالضيق.

والآن.. أنا أشتاق لمثل هذا الحضن ولا أجده، فقد تُوفي والدي، الذي كان يرمقني بنظرات غريبة وأنا أحمله لنذهب لنلحق بموعد الطبيب، شعرتُ بأن عينيه تقولا لي «أنتَ لست ابني الذي ربيته، وأنك تساعدني فقط لشعورك بالشفقة على كهلٍ أوشك على الرحيل، أنا غير مُصدق لما تفعله معي».

وها قد بلغ الكتاب أجَلَه، ورحل أبي، لم أذرف دمعة واحدة حزنًا عليه، لكنني شعرت بصدري ينقبض بشدة عندما سمعت الخبر من أختي ثم من أخي.

كنت يومها عائدًا من العمل وقد بدأ القلق يساورني بعدما حادثتني أختي بأن أبانا قد اشتد به المرض وأنه لا يجيبها وأنها ذاهبة لإحضار الطبيب، شعرت بأن صدري يضيق وانفصل ذهني عني وعن العالم المحيط، حتى أعادني رنين هاتفي للواقع مرة أخري بصوت أخي وهو يخبرني بصوت مخنوقة كلماته «لقد توفي أبوك».

استمر صدري في الضيق وانعزل ذهني عني هذه المرة بقسوة، لقد توقف عن التفكير، كنت تائهًا فقدتُ الإحساس بكل شيء، لم أبكِ، وإن كان بداخلي إحساسٌ كبيرٌ بالوَهن.

وصلت المنزل، استقبلتني أمي ببكاء حار وعينين ملونتين بلون الدم «لقد مات أبوك.. لقد مات أبوك»، وبداخلي تترد جملة واحدة «أعلم أنه قد مات، ما الجديد في هذا؟ لا شيء سوى أنكِ تؤكدين الخبر عليَّ».

دخلت الغرفة التي يرقد بها جثمان أبي، وجدته مغمض العينين، دخلت بوجلٍ، لطالما كرهت لحظات الموت، عندما تستيقظ على هاتف يخبركَ بوفاة شخص ما، أو تستيقظ على صراخ مميت قادم من عند أحد جيرانك، أو عندما تذهب لتصلي صلاة العيد وتجد مع صلاة العيد جنازة، كنت أشعر وقتها بالاكتئاب، لماذا يوم العيد؟ لماذا يوم الفرحة يُحبَط الناس؟

لقد حان دوري كي أجرب هذا الشعور.. شعور قميء بعدم القدرة على الاستيعاب والفهم، لماذا هذا الشعور؟ لم أفهم بعد.

لم أفهم حكمة الموت في يوم من الأيام حتى ومع اقتراب سنوات عمري نحو الستين عامًا. وحيدٌ، مُهْمَل. بعد رحيل إخوتي، لم أتزوج، أعيش بمفردي في المسكن الذي ورثته عن أبويَّ، كان همِّي الشاغل

كيف سأموت؟ وكيف سيعرف الناس أنني رحلت؟ حتمًا سيعرفون عندما تتعفن جثتي وتنبعث الرائحة الكريهة في المكان.

أنا لم أكره أبي ولا أمي ولا إخوتي، أنا أكرهني.

وعندما صرت وحيدًا في هذه الدنيا، وأثناء جلوسي بمفردي على المقهى، لمحت رجلًا بدا لي في السبعين من عمره، شَعُرت أني رأيته من قبل، فأمعنت النظر ووجدته يُشبه أبي، ظللت أتطلع إليه هو فقط ولا شيء غيره، جلسته، الجلباب الذي تعلوه عباءة سوداء مُذهبة الأطراف، قلنسوته الصوفية السوداء، شاربه الخفيف، لحيته الحليقة، أكاد أُقسم أنه أبي!

رأيت الرجل يقوم وهو يسعل بقوة وهو يُعطي النقود لعامل المقهى، الذي أراد بقشيشًا فلم يُعطه الرجل شيئًا وتركه وذهب، غمغم الفتى بكلمات غاضبة أظنها سُبة أو شتيمة. استيقظت من شرودي مرة أخرى بعد رحيل الرجل وأنا أحاول القيام واللحاق بالرجل لأسأله «هل أنتَ أبي؟»، لكنني تذكرت أنني أصبحت قعيدًا منذ الخمسين من عمري إثر جلطة لم تُقدَر لي النجاة منها فطأطأتُ رأسي في إحباط ثم عدت لأقرأ الجريدة التي كنت نسيتها على المقعد المجاور لي.

نعم، اشتقت لكَ يا والدي، واشتقت للرائحة التي كنت أكرهها، وكلما اشتقت إليها أحاول التقرب من العمال لأجد فيهم رائحة أبي، كنت أفرح عندما أنظر من النافذة نحو ورشة الميكانيكا المواجهة للمسكن لأرى مالِك الورشة وهو يُعلِّم ابنه أصول الحرفة، والابن يستمع بغير اهتمام، أردت أن أصرخ فيه «أستمع لأبيك يا فتى، فربما لن تجد اليوم الذي يُعلِّمكَ فيه أحد، ستشتاق لأبيك مثلما أشتاق لأبي أنا الآن، ستشتاق لرائحته مثلما أشتاق أنا له الآن، أنصِت يا

فتى ولا تُشتت ذهنكَ ونفسكَ عن أبيكَ، لا تُحقِّر من مهنة أبيكَ».
أردت الصراخ في الصبي مرات ومرات لكني تذكرت أن الجلطة مثلما أصابتني بالشلل، جعلتني أبكمًا.

أجتر الألم والمرارة الآن، وحيدًا بلا مُرافق، وحيدًا في كل شيء، نَفْسًا وجسدًا، ليتني قدَّرتكَ يا أبي حق قدركَ، ليتني استمعت إلى نصائحكِ على الرغم من قِلَّتها، ليتني يا أمي لم أغضبكَ يومًا، ليتني يا إخوتي استمعت إلى نصائحكم.

لحظات الندم يجب أن تأتي في الوقت الملائم، لكنها هنا جاءتني في وقت غير ملائم بالمرة، قبل دقائق من وفاتي.

****

صائد الأسماك المفترسة

محمود محمد محمود

لحظةُ جرأة غير معهودة، أخرجَت الأمور عن نصابها.. هذا ما حدث بين ليلةٍ وضُحاها.

كان يومًا تقليديًا في قريتنا إلى أن قرر سلَّام عبد العزيز، أحد شباب قريتنا البسطاء أن الكيل قد فاض وأن الصبر قد بلغ منتهاه.

قريتنا صغيرة، تُطل على بحيرة من الماء المالح، الجميع يهاب الاقتراب من البحيرة، ليلًا أو نهارًا، بعدما فرض كبير القرية الأخرى المُطلة على الجانب الآخر من البحيرة سيطرته عليها بوضع رجاله وأتباعه في دوام مستمر على مدار اليوم والليلة، لحراسة حوتٍ كبير جلبه من أحد البحار ووضعه في البحيرة الصغيرة التي تُطل على ضفافها القريتان.

اعترضَت قريتنا في بداية الأمر، محاولين إثناء كبير القرية الأخرى عن فكرته تلك، وحاول كبير قريتنا الوقوف له ومنعه، لكنه توقف عندما قام صاحب الحوت بحفر ندبة كبيرة على وجه كبير قريتنا، وتمادى أكثر في غَيِّه وسلطته وجبروته بأن تخلص من الابن الأكبر لكبير قريتنا، حطم ذلك رجلنا، تغيرت طباعه تمامًا، انتكس لفترة ليست بالقصيرة، ثم عاد قويًا شامخًا كما عهدناه.

كان سلَّام عبد العزيز عائدًا لتوه منذ فترة من المدينة القريبة من قريتنا، عاد ليلًا وتفاجأنا لعودته في صباح أحد الأيام، عندما رأيناه جالسًا بجوارنا على مقهى حمودة، البلطجي التائب الذي لقَّنه كبير قريتنا درسًا لن ينساه طالما ظل حمودة حيًا، جعله يترك مهنته كبلطجي وأعاده لحرفته الأولي كعامل مقهى سابق، لكن حمودة أبَى أن يعود كعامل مقهى، فاستغل المال الذي جمعه من فرض الجباية على الناس، وأسس لمقهى كبير هو الوحيد في قريتنا، الذي يتجمع فيه رجال القرية وشبابها، ليلًا ونهارًا عندما لا يكون هناك عمل.

في ذلك اليوم، وكنا جالسين على المقهى في الصباح بعد شروق الشمس، سمعنا صراخًا وجلبة، التفتت الأعناق والرؤوس نحو مصدر الصوت، لنجد عبد الرحيم حسانين قادمًا نحونا يعوي ويصرخ بجنون، أصاب التوتر الجميع بسيفه، وننظر لعبد الرحيم في فزع، حتى وصل لمجلسنا ووقف يلهث كأنما قطع مساحة الكرة الأرضية كلها ركضًا، ثم سقط على الأرض مغشيًا عليه.

****

قام رجل قصير بدين متغضن الوجه يرتدي جلبابًا أسود من سريره الوثير في كسل، اعتدل على السرير وحكَّ بطنه الكبير عدة مرات بتلذذ، ثم تثاءب بقوة زادت ملامح وجهه قسوة، مُبينًا أسنانًا سوداء وصفراء من أثر التدخين الذي لا ينقطع، قام ببطء وتوجَّه إلى الحمام الملحق بغرفته بعد أن أشعل سيجارة.

خرج من الحمام مُلتحفًا بشكيرًا أبيض اللون، ثم اتجَّه نحو خزانة ملابس ضخمة، اختار من محتوياتها الكثيرة المتنوعة جلبابًا رماديًا وعباءة سوداء ذهبية الأطراف، ثم تقلَّد عمامته، وتوجَّه لباب الغرفة،

فأمسك عصًا سوداء غليظة والتقط مسدسًا وضعه في جيبه ثم خرج من الغرفة.

ارتعد الخدم عندما سمعوا صوته وهو يسعل بشدة، هرول كل فرد منهم في اتجاه ليُظهر لسيده أنه يعمل بجِد وبكل طاقته.

أكمل الرجل طريقه نحو طاولة الطعام العامرة بكل أصناف وألوان الطعام والفاكهة، جاءه خادم يتقدم بخطوات سريعة حاملًا صينية عليها إبريقًا وأقداحًا فضية، لكن الخادم تعثر وسقط أرضًا مع حمولته فتلوثت الأرض وما عليها من سجاد فاخر بالقهوة.

ظهر الغضب على وجه الرجل البدين، ونظر متجهمًا للخادم الذي ارتعدت فرائصه من هول نظرات سيده، فارتكز على ركبتيه بالقرب من طاولة الطعام وقال والخوف يملأ كلماته:

- آسف يا سيدي، لم أقصد أن...

لم يمهله سيده الوقت أو الفرصة لإكمال اعتذاره، فهوى على وجه الخادم بعصاه الغليظة، فانفجرت الدماء منه وأغرقت ملابس الخادم الواهن والأرض والسجاد وأطرافًا من عباءة السيد، الذي تحدث للرجال الواقفين حوله:

- خذوا هذا الأحمق، واذهبوا به للقرية التافهة المقابلة لنا، واجعلوه عِبرة لعلهم يعتبروا ويسلِّموا.

- أمرُك مُطاع في الحال يا سيدي.

قالها أقرب الرجال الواقفين، ثم سحب الخادم المُلقى على الأرض من ذراعيه بمساعدة أحد الرجال للخارج، ثم عاد لسيده وأمارات الخوف والقلق على وجهه، ثم ابتلع ريقه بصعوبة، ثم قال بتوجس:

- سيدي عامر، هناك أمرٌ جلل أود أن أخبركَ به.

أشار عامر لرَجُلِه وهو يلوك الطعام في فمه بشكل مقزز، أن تحدث، فقال الرجل متوجسًا أكثر:

- لقد تم قتل الحوت الكبير!

ضرب عامر طاولة الطعام بكلتا يديه، فسقطت -إثر الضربة- بعض الأدوات والفاكهة على الأرض، ثم قال بصوت يشبه فحيح الأفاعي:

- ماذا تقول يا بن القابلة؟

أجاب الرجل وقد زاغت عيناه:

- لقد تم قتل الحوت الكبير!

قال عامر بغضب:

- كيف ومتى حدث هذا أيها الحمقى؟

الخوف لا يزال أثره قائمًا، والرجل يجيب:

- وجدناه مقتولًا هذا الصباح!

ضرب عامر الطاولة عدة مرات، ثم قام غاضبًا وأمسك بتلابيب رَجُلِه المرتعب، وصرخ فيه:

- من فعلها يا حُسين؟

لم يُجب حُسين من الخوف، لكن الصفعة التي تلقاها من عامر أفاقته وجعلته ينطق بالكلمات:

- سلَّام ولد عبد العزيز، من القرية الصغيرة المقابلة لنا!

****

ساعد الجالسون على المقهى عبد الرحيم على النهوض من الأرض، نثروا ماءً باردًا على وجهه المغبَّر، وأجلسوه على أقرب المقاعد، أفاق بعد بُرهة زائغ العينين، حاول النهوض فسقط من التعب مجددًا، استمر الناس في نثر الماء البارد على وجهه، وقام أحد الرجال المحيطين بتوليد الهواء من الشال الذي يرتديه ليُساعد عبد الرحيم على التنفس بيُسر، وما إن شعر عبد الرحيم بالهواء الذي يلفح وجهه، استنشق الهواء بقوة وكأنه لن يتنفس بعد ذلك، فتركوه يتنفس ويلتقط أنفاسه المُبعثرة.

- تكلم يا عبد الرحيم، ماذا حدث؟

قالها حمودة بصوت مرتعد. ابتلع عبد الرحيم ريقه وغمغم بكلمات غير مفهومة، قبل أن يعتدل في جلسته، ويقول بصوت مُنهك:

- سلَّام.. سلَّام الملعون سيُهلكنا جميعًا!

صرخ حمودة في عبد الرحيم قائلًا:

- تكلم، قُل ماذا جرى؟

أكمل عبد الرحيم بتوتر وعلامات التعب والإرهاق واضحة على وجهه وفي صوته:

- سلَّام.. قتل الحوت الكبير!

بُهت الجميع وغلَّفهم الصمت، فلا صوت يعلو فوق صوت صدورهم التي تتنفس ببطء، فأكمل عبد الرحيم حديثه الذي بدا مُخيفًا للسامعين:

- لقد هلكنا.. لقد هلكنا.

زادت كلماته من خوف المحيطين به، فتقدم نحوه فاروق كبير القرية بخطوات بطيئة واثقة حتى وقف مباشرة في وجه عبد الرحيم، وقال بهدوء متسائلًا:

- هل عرف صاحب الحوت بما حدث؟

هز عبد الرحيم رأسه نافيًا، فما كان من فاروق إلا أن صفعه بقوة، جعلت عبد الرحيم يميل جهة اليمين وهو يصرخ من الألم، فأكمل فاروق حديثه بنفس الوتيرة الهادئة:

- لا تكذب يا بن الخباز، هل كنتَ مع سلَّام عندما قتل الحوت؟

تملَّك الخوف من عبد الرحيم وهو ينظر لفاروق الغاضب بشدة، فأومأ برأسه إيجابًا، واختلس نظرة خاطفة لوجه كبير قريته، ليجد الغضب قد زاد ولا يزال يزداد، وعيناه ترمقانه بغضب وقسوة، شعر معها الشاب المُتعب بوجهه وروحه تذوبان من الخوف.

التفَت فاروق للجمع الواقف، وقد رسم الخوف علاماته المعروفة على وجوه الرجال والتي لا يمكن لرجل مخضرم مثله أن يغفلها، فقال مخاطبًا إياهم:

- أيها الناس.. سلَّام بن عبد العزيز أتى لنا بالخراب وتعجَّل لنا الهلاك، فماذا ترون؟

لم يقوَ أحد على الكلام، ظلوا صامتين، وإن كانت أعينهم تنضح بما يجول في صدورهم من خوف وما في قلوبهم من فكر، لما سيحدث لهم عندما يعلم صاحب الحوت بما حدث لحوته الكبير.

****

- ماذا تقول؟

صرخ بها عامر وقد زاد الغضب ملامح وجهه غلظة، وهو يسمع حُسين وهو يُخبره بما حدث، فضرب المنضدة المقابلة له بعصاه الغليظة، فتهشم زجاجها الملون وتبعثرت شظاياه على الأرض

الرخامية، ثم طاح بعصاه في محتويات الغرفة يحطمها في غضب، حتى خمدت ثورته وتوقف أمام حُسين الخائف من أن تصيبه عصا عامر الطائشة الباطشة.

- قُلتَ من فعلها؟

قالها عامر غاضبًا.

أجاب حُسين مُتوجسًا:

- سلَّام عبد العزيز من القرية الصغيرة في الجانب الآخر من البحيرة.

عاد عامر لثورته وتساءل:

- وكيف حدث هذا؟

أجاب حُسين وفرائصه ترتعد:

- سلَّام وساعده عبد الرحيم. هما من قتلا الحوت، كانا يتسامران منذ الليل على شاطئ البُحيرة، ورجالنا يرمقونهما بحذر خشية حدوث شيء، لكن الاثنان قد اختفيا داخل قريتهما، كنت سائرًا بالقرب من شاطئ بُحيرتنا عند شروق الشمس، ورأيت سلَّاما وقد ربط حبلًا غليظًا وعبد الرحيم ممسكًا بطرف الحبل، وفي يد سلَّام حربة طويلة مُدببة مُتعددة الرؤوس، ويقذفها من سلاح غريب لم أره من قبل، فأصابت الحربة رأس الحوت واخترقتها والدماء تسيل منه،

ثم هلَّل الاثنان فرحًا، وعندما رأيتهما أطلقتُ رصاصتي عليهم فلم يصيبهما شيء، فتجمع رجالنُا إثر سماعهم صوت الرصاص، وأطلقوا رصاصاتهم نحو القاتلين لكنهما فرا.

استمع عامر باهتمام والغضب يستعر في وجهه، ويضغط على أسنانه، وتزداد قبضته قوة على عصاه، ثم قال صارخًا:

- لقد آن الأوان إذن، اذهب وأخبر نُعمان بأن يُجهز الرجال للانتقام وأنتَ معهم، وأنا سأقود الطريق.

لم ينطق حُسين بكلمة وانطلق بسرعة خارجًا من القصر الكبير الفخم، وامتطي جواده، ولكزه، فانطلق ينهب الطريق نهبًا ناحية الطرف الآخر من القرية وصاح مُناديًا:

- يا نُعمان.. يا نُعمان.

خرج رجل شديد البنية يرتدي السواد من رأسه إلى قدميه وفي يده اليمني سيف ضخم، وفي جانبه مسدس ضخم، من قصر الحرس، وصاح قائلًا:

- ماذا هناك يا حُسين؟

وصل حُسين حيث يقف نُعمان عند مدخل قصر الحرس، وترجل عن حصانه، ثم قال لاهثًا:

- كبيرنُا يُخبركَ بأن تجهز رجالك للانتقام من القرية المقابلة لنا!

- لماذا؟

- لقد قُتل الحوت الكبير!

وبمجرد سماع نعمان للخبر، أشار للحارس القريب منه بإشارة دائرية في الهواء، فالتقط الحارس الإشارة على الفور وأطلق العنان

لنفير قوي أخذ يتردد صداه طويلًا، وبدأ رجال نُعمان يتجهزون ويتجمعون على إثره.. وبكل سرعة.

****

دوَّى صوت النفير القوي في أرجاء القريتين، لكن وقعه على قرية سلَّام كان صوت المرار والشؤم. بعث صوت النفير الرعب في قلوب جميع من في القرية، رجالًا وشيوخًا، أطفالًا ونساءً، الكل شعرُ باقتراب الخطر واقتراب النهاية.. اقتراب المعركة.

إلا فاروق الذي سحب سيفًا ضخمًا من غمدِه وحكَّ نصله في الأرض الصخرية أمام رجال القرية الذين وقفوا محيطين به وفي أعينهم يمتزج الصبر بالإصرار، تتجول أعينهم مع خطوات كبيرهم الذي يرونه لأول مرة دون عمامته وقد تخلى عن عباءته وشمَّر عن ساعديه وجلبابه.

التفت لهم وقال بجلد:

- إخوتي، إذا كان سلَّام قد أتى لنا بالخراب، وكانت عودته لنا شؤمًا على قريتنا، فكان لا بُدَّ لهذا اللقاء أن يحدث، وها هو على وشك الحدوث.. سمعتم صوت النفير القادم من هناك، لقد علم عامرٌ بما حدث، وصوت النفير هذا قادم من رجال نعمان.. ونعمان لمن لا يعرفه هو يُد عامر الباطشة التي أذلَّت فأهلكت كُل من وقع تحتها.. لا تخافوا فنحن لها، قرية عامر كانت جزءًا من قريتنا قبل أن ينفصل عنها عبودة أبو عامر متعللًا بكونه أفضل منا ولعلاقاته بالمدينة الكبيرة، وقد ساعدته علاقاته تلك في الانفصال عن قريتنا وعضَّدت من سطوته وجبروته.. لا تخافوا يا سادة، لكنَّا طول أعمارنا صائدون، لا فارق بين سمك عادي وسمك مفترس لدينا، كلاهما يتم

صيده والاستفادة منه.. فائدتنا الوحيدة هنا هي أننا سنحصل على حقنا بتوحيد القريتين.

****

على الجانب الآخر من البحيرة وقف عامر وبجواره نُعمان وحُسين، وقف الثلاثة على أهُبة الاستعداد للمعركة.

كان نُعمان قد جهَّز رجال فريقه في دقائق معدودة. وقف الرجال يتقدمهم نُعمان بقامته الطويلة وبنيته القوية أمام رجاله الذي اقترب عددهم من الخمسمائة رجل، أغلبهم هزيلي البنية يظهر البؤس والفقر في وجوههم وعيونهم، مرتدين ملابس سوداء ثقيلة على الرغم من طقس الصيف الحار، تفوح منهم رائحة عرق مكتوم، يحملون في أيديهم هراوات ثقيلة تبدو في أيديهم كعيدان قصب نخرها السوس فجعلها هشَّة مثل من يحملونها، وعلى رؤوسهم قبعات حديدية ثقيلة لحماية رؤوسهم ووجههم المُتعبة، ويحملون دروعًا ثقيلة مثل قبعاتهم، بينما نُعمان يرتدي ملابس سوداء مثلهم لكنها أنيقة، يعلو كتفيه رسمٌ لِرماح متداخلة تنم عن قيمته العالية لدى كبيره عامر.

رفع عامر عصاه عاليًا ثم هوى بها على الأرض، تحرك الجميع على أحصنتهم عدا رجال نُعمان، السائرون على الأرض أشباه حفاة.

عبروا البحيرة على ظهر مراكب صغيرة في جماعات متفرقة، ينظرون ناحية الحوت المُلقَى على شاطئ البحيرة وقد اخترق الرمح رأسه. رجال نُعمان ينظرون للحوت بلا مبالاة، وعامر ينظر لحوته تارة بإشفاق وتارة بغضب.

وصلـوا لشـاطئ قريـة سـلَّام، للانتقـام لكبيرهـم، الـذي انتفخـت أوداجـه لرؤيـة فـاروق، فأشـار عامـر لفـاروق عـلى وجهـه ناحيـة الندبـة المحفـورة عـلى وجهـه، ثـم ابتسـم سـاخرًا وهـو يُشـير لفـاروق بخنجـره عـلى حنجرتـه.

****

تطايـر الغبـار وتناثـرت الدمـاء في المـكان مـع بدايـة المعركـة، اشـتبك الفريقـان دون سـابق تمهيـد، فالنفـوس في الجانبـين مشـتعلة، ولـكل فريـق أسـبابه وأهدافـه.

اشـتدت رُحـى المعركـة، ونسـاء قريـة فـاروق يصرخـن كلـما سـقط لهـن رجـل، مصابًـا أو مقتـولًا، ويُهللـن ويُكـبِّرن كلـما سـقط رجـل مـن رجـال عامـر بأيـدي رجالهـن.

انفـرد فـاروق بعامـر منـذ بدايـة المعركـة، تغـوص عـين كل منهـما في أعـماق الآخـر، ينتظـر كل منهـما الفرصـة المناسـبة لبـدء العـراك، لكـن دوِّي الرصاصـة التـي قطعـت الصمـت بينهـما جعلـت الاثنـين يلتفتـان لمصـدر الرصاصـة، لكنهـما تبيَّنـا مـا فعلتـه الرصاصـة، بعدمـا سـقط عامـر عـلى ركبتيـه والدمـاء تسـيل مـن حنجرتـه، وعينـاه شـاخصتان في رعـب ممـا حـدث.

اقـترب منهـم شـاب يرتـدي ملابـس قتـال، خـرج مـن بـين الأشـجار، ممسـكًا في يديـه بندقيـة حديثـة، وخـرج خلفـه مجموعـة مـن الشـباب يرتـدون مثلـه، وفي أيديهـم نفـس السـلاح، نظـروا لعامـر الشـاخصة عينـاه، وأطلقـوا عليـه وابـلًا مـن الرصـاص فـأردوه قتيـلًا في الحـال.

ذُهل فاروق مما حدث وابتسم للشباب الواقف، ورفع سيفه مُرحبًا بهم، لكن شابان من الفريق أطلقا الرصاص على فاروق فأصابا ركبتيه وأسقطاه أرضًا مع سيفه وهو يصرخ من الألم الشديد، فدمعات عيناه وقال بصوت متألم مكتوم:

- من أنتم؟!

تقدم الشاب الذي بدا لفاروق أنه قائدهم، وتوقف أمامه قائلًا بتروٍ:

- أكنت تظن أن عامر هو صاحب الحوت؟ أخطأت في ظنك هذا.. ولا أنا صاحب الحوت إن كنت ظننت ذلك أيضا، أنا مُجرد خادم لسيدي كبير المدينة المجاورة.. أظنك تعرفها.. لقد انشق عنا سلَّام وكان عبد الرحيم ضحية مساعدته لسلَّام فلقي مصيره مثلما لقيه صديقه.. قاتل الحوت.

- من أنتم؟

أجاب الشاب بهدوء:

- لم تفهم إذن، هو من سيُفهمك؟

أشار بيديه خلف فاروق الذي التفت للخلف بصعوبة والألم ينخر قواه، فيرى أمامه رجلًا مهيبًا أنيقًا بصورة تناقض المكان البدائي الذي يقف فيه، يتقدم بخطوات واثقة تدهس ما تحتها من كرامة باقية لفاروق ولجسد عامر المُسجَّى النازف بلا توقف، حتى توقف وداس على وجه عامر الدامي، وظل يرمقه باشمئزاز، ثم نقل بصره نحو فاروق المتألم وقال بتؤدة:

- أنا كبيركَ وكبير عامر وكبير المدينة وكبير القوم. لقد خرج عامر وأبوه عن المسار الذي حددته لهما، كل واحد فيهما له غرض فإذا لم

يؤده، يجب أن يزول على الفور. وأنتَ يجب أن تزول كذلك يا فاروق، لقد رفضت أن تؤدي دوركَ كرجل صامت وفضلت أن تكون مقاتلًا على العكس من طباعكَ، فانقلب الأمر عليكَ بداية من تلك الندبة إلى مقتل ابنكَ. لقد أعجبتني تلك الخطبة العصماء التي شنفت بها آذان قومكَ، لكنهم جبناء لا تُحركهم مثل هذه الكلمات، إذا أردت أن تُحركهم، عليك بالطعام، إذا قلت لهم أن قُوتكم سيضيع لتحركوا من فورهم. أتعلم أن هناك مثلًا قديمًا يقول إن الشعوب مثل الجيوش على بُطونِها تسير، لا أظنكَ تعلمه، فهم جُهَّال مثلك، كل ما تتمنوه من الحياة لقمة العيش بأقل قدر من المشقة. أتسمع ذلك الصوت الهادر، هو صوت النهاية، قريتكَ وقرية عامر تُباد اليوم وأنتَ بالتأكيد معها.

استلَّ الرجل المهيب مسدسه، وأطلق رصاصات استقرت في رأس فاروق، ثم التفت لفريقه وقال:

- إذن يا رجال، فلنبحث عن قوم آخرين، يُطيعون أمرنا ويسيرون على الدرب المخصص لهم.. بلا انحراف.

غادر الرجل المهيب وفريقه المكان في طائرة طوافة. بعدها بقليل بدأت طوافات أخرى في القذف بألسنة لهب أحرقت القريتين تمامًا، ولم يبقَ فيها سوى الرماد وروائح الجثث المُحترقة، وذرات كرامة مبعثرة.

****

حياة سِحر

ماهيتاب عبد الهادي

أنا والد لفتاة عازمة أن تترك أثرًا في الحياة قبل رحيلها.

لم أكن متحمسًا حين أخبرنا الدكتور أنني سأُرزق بفتاة. مضت آخر خمسة شهور من حمل زوجتي، وأنا في إحباط بعد سماعي هذا الخبر. كنت أرفض النظر إلى بطن زوجتي وهي تنتفخ يومًا تلو الآخر، وحين أتت اللحظة انتظرتُ في ردهة المستشفى في ضيق وضجر وتمرُّض غير مسبوق!

كنت من المعتقدين أن خِلفة الصبيان هي ما تنفع في تلك الأيام.

جاءت الممرضة سريعًا لتخبرني أنني رُزقت ببنوتة مثل البدر، وطلبت مني أن أرى الفتاة، ولكني لم أهتم، أخذت نفسي للحمام لأحاول مسح هذه العلامات من على وجهي، ونجحت بنسبة ١٠ في المئة. مرت ساعة تقريبًا على الولادة، ولم أرى زوجتي بحجة أنها تفيق، وتركت المهام الأولى لحماتي وأمي.

جاءت الممرضة مرة أخرى تقول لي برفق: «سيدي، أعرف ما أنتَ عليه وما بكَ، أرى كثيرًا من الوجوه مثل وجهكَ آلاف المرات يوميًا، بسبب أنهم إما رُزقوا بصبيان وهم يريدون بناتًا، أو العكس، لكن أؤكد لكَ، ابنتك غير!

لقد حملتها للحضانة وهي تضحك لي، وكأنني أُزغزغها وألعب معها. وُلدت تضحك بخلاف الأطفال، كانت مليئة بالفرح، تفتح ذراعيها للحياة، وكأنها تنتظر لحظة ولادتها!».

فرددت: «شكرًا لأنكِ أخبرتني». وتشع من عينيَّ علامات اللا مبالاة، وُضح من تلك العلامات أنها مزقت قلب الممرضة. تداخلت سريعًا من بين تلك النظرات وقالت لي: «حين أخذتها لحجرة الحضانات كانت تعم الفوضى بصراخ الأطفال حتى دخلت ابنتك المكان، وانتشر الصمت في قلوب الصغار، وكأني اخترقت بها منتصف صلاة المغرب في الجامع وسط سجود المؤمنين، ابتسموا جميعًا، ولتأكيد ما في قلبي، كررت دخولي بها ثلاث مرات، وفي كل مرة حدث نفس الأمر عينه، زُر ابنتك وسترى!».

لن أنكر أن شيئًا ما بداخلي انتفض، ليس من كلامها ولكن لكثرة الأمل الذي يفيض من عينيها وهي تتحدث عن تلك الفتاة.

ساقني فضولي لأحبو لغرفة الحضانات، وكان ميعاد زيارة الدكتور الدورية لتفقد حالة الصغار الرُضّع في نفس وقت زيارتي للغرفة. قال لي: «جاءت ابنتك للحياة الدنيا في وضع استعداد تام، في فرحة ودعم وشوق وحماس. لم أشهد ولادةً من قبل مليئة بالفرح والضحك مثل هذه الولادة»، ثم أمسك بذراعي وقال «لا تدع هذه الفتاه تعيش حياة عادية». تفقد الصغار ورحل تاركًا إياي مع الفتاة وحدي. بالفعل، الغرفة مليئة، ليس بهدوء ولكن بسكينة وصفاء لم أشهده في نفسي من قبل. سمعت بكاءً من حضانة في آخر الغرفة، فقررت خوض تجربة الممرضة، وكلما اقتربت خفَّ بكاء الطفل. تباطأت خطواتي كلما اقتربت لحين وصلت، خفَّ بكاء الطفل وأخذ شهيقًا عميقًا وكأن هموم الدنيا زالت عن قلبه، مثلما حدث معي تمامًا.

في أذنيَّ دائمًا ما نصحني به الدكتور، أذكر يومًا حين طلبت مني ألوانًا للرسم لكي تلوِّن مثل ما تفعل في المدرسة ولكني رفضت، خشيت عليها أن تعضض الأقلام وتأكل الألوان جزءًا من هذا الفم الصغير ولا أسمع «بابا». لم أتركها دومًا تلعب وتنطلق خشية أن تتوه مني وسط هذا العالم المرعب، في حين أنه النادي ليس أكثر.

كل مرة بدأتْ فيها بصداقات في مدرستها، نقلتُها لمدرسة أخرى، تلو الأخرى.

أول مرة رسُبتْ بجامعتها لم أناقش الموضوع، فقط أيقنت أن عليَّ تغيير الجامعة، خِفت أن يرهقها أصحاب السوء، خِفت أن ينجح أولاد أصدقائي وتفشل هي. دومًا أذكر يوم ولادتها، وحين حملتها بين ذراعيَّ المملوئتين بهموم وسوءٍ نفسي، وأرتجف خشية أن ترحل عني ويختفي كل ما هو جميل معها، خشية أن تتوقف عقارب الساعة، ثوانيها، ودقائقها، إنها ابنتي!

أنا سِحر.

نعم، أملك منزلي الذي حرصت على أن تكون جدرانه كلها رسوماتي، أملك ألواني، ورقي وأقلامي.. أخطط لأوقاتي.

أبني صداقاتي، أحفر ذكرياتي.

أغفو وسط أولادي، يرسمون على وجهي مرحًا في الليل.

يلهون على الشواطئ صباحًا ليُهدئون من أمواجي.

كدتُ أن تكبح هذا الجواد الجامح ولكني غزوت طموحاتي.

أذكر حين قلت لي أن الدين معاملة فهكذا أنا عاملتُ حياتي.

ليت العمر عمري ولكن..

كلنا راحلٌ يا أبي، فالوقت وقتي والكلمات كلماتي.

وإن مت أنا فلتحيا كتاباتي!

رحمك الله.

****

الدَيْن

محمد سمير

– البقية في حياتك يا حاجة.. ما دايم إلا وجه الله.

– ...

– يا ست الكل بلاش كده.. انتي دمعتك غالية علينا كلنا.

– ...

– يا حاجة ماتبصليش أوي كده، إحنا كلنا ولاد بطنك يا أمي، والمفروض إننا معزَّة واحدة، الميت والحي كمان.

– ...

– يااااه يا أمي.. ومين قال لك إننا مش زعلانين على فراقه؟ وهو كان أخونا وكبيرنا، بس هو اللي كان طماع. هو اللي كان دايمًا بيبخس حقنا. وانتي أكتر واحدة عارفة. اتكلمنا معاه بدل المرة عشرة.. وهو! ما انتي عارفاه يا أمي.. غير إنه كان طماع الله يرحمه كان عِنَدي ودايمًا راكب دماغه.. مكنش قدامنا غير إننا نعمل كده.. يعني انتي كان يرضيكي إن واحد يجور على حق تلاتة؟ دا ظلم والله.

– ...

– يا أمي الله يخليكِ رُدي عليَّ، طب بُصيلي حتى، حسسيني إنك سامعاني.

– ...

– لا حول ولا قوة إلا بالله، يامه، زي ما قلت لك. إحنا كلنا ولادك ودي حاجة كانت ما بيننا وبين بعض، إنتي إيه اللي مدخلك فيها بس؟ إحنا مابقناش عيال صغيرة عاوزين اللي يحكم ما بينهم.

– ...

– برضو عمالة تعيطي ومش معبراني، طب إن كان على فراقه اعتبريه سافر ولا دخل السجن تاني، وكلها كام يوم وتاخذي على بُعده.. هو أنا برضو اللي هقول لك يا أمي؟ مش هو ده كان كلامك زمان؟ فاكرة؟ أيام الحاج لما مات.. ألف رحمة ونور تنزل عليه، مش انتي اللي قلتي كده؟ حاجة ما بين ست وجوزها وخلّصوها مع بعض، وإحنا عيال ملناش دعوة، وزي ما هو أبوكم أنا أمكم.. فاكرة يامه؟

– ...

– يامه ما تداريش وشك وتخبيه، مش هو دا كان كلامك؟ إيه اللي اتغير دلوقت بس؟

– ...

– يامه أنا بقى لي يومين بكلمك، وتعبت من الكلام بقى.. البضاعة خلاص بتخلص والناس هتاكل وشنا، يامه.. يا تنزلي السوق تاني يا تدلينا على المكان اللي بتجيبي منه البضاعة.

- ...

- يا أمي ردي على بقى.. إحنا كده بيوتنا هتتخرب وعيالنا هتجوع ودا ميرضيش ربنا، أوووه.. يا أمي خُلاصة القول، إنتي يا تنزلي بكرة من تاني السوق يا هنفتكرك دايمًا بالخير ونترحم عليكي.

- ...

- تصبحي على خير يامه.

****

دُروب

عصام الصابري

حـانَ وقـت الرحيـل الـذي طالمـا توجَّـس خِيفـةً مـن حدوثـه. اكتـظَّ بيـت أختـه بـكل أقـارب الدرجـة الأولى، وعينـاه تتفحصـان كل تفاصيـل وجوههـم التـي كسـاها ألم الفـراق، واغرورقـت أعـين الجميـع. أحـس بغصَّـة تعـصر قلبـه، وكَسَـاهُ الشـعور بالظلـم، فهـو مقبـل على هجـرة، بـل تهجير لا يخبُر معالمه ولا ما تخبئه له الأيـام بصُحبة بناته وزوجتـه. لحظات مـرت كدهرٍ، استقل بعدهـا سيارته قاصـدًا مـشرق الشـمس اتجاهًـا، بينـما تغرُب مدينته رويـدًا رويـدًا خلف ظهـره مـع غـروب شـمس الثلاثـين من يونيـو ٢٠١٥. تاريـخ حُفـر في ذاكرتـه بـترك كل شيء وراء ظهـره، كل شيء بالمعنـى الكامـل للكلمـة. خمسـين عامًـا قضاهـا بـكل تفاصيلهـا، بأفراحهـا وأتراحهـا، مُتعتهـا ومَتاعهـا، يـومٌ لم يعـد فيـه هـو كـما كان، ولـن.

طـوى الله الأرض لـه، فلـم يشـعر إلا والمقـام قـد اسـتقر بـه في قاهـرة المعـز، اسـتأجر بيتًـا في مجمـع سـكني كأنـه اُقتطـع مـن أحـد المسلسـلات التـي شـاهدها مـن قبـل، بـل إنـه لـو أُتيـح لـه التمنـي فلـن يبلـغ في جمـال الوصـف مـا رأتـه عينـاه. فيـه مـن خضـرة وهـدوء، وقبـل كل ذلـك الشـعور بـدفء الأمـان الـذي افتقـده، وإن كان بعيـدًا عـن وسـط المدينـة، إلا أن

شعورًا يرزخ داخله بالابتعاد قدر الإمكان عما خلفه وراءه من حرب دارت رُحاها في مدينته، فأحالت بنيانها دمارًا، وناله منها ما ناله من ظلمٍ وجور.

كانت هجرته في شهر رمضان من ذاك العام، استغرق الأمر عدة أشهر حتى أفرغ قطرًا على لهيب الغربة في باطنه، واستكان، وكان قرار الاستقرار.

أصوات همهمة، وجسد يرتعد، ووسادة كأنما أُلقيت في يمٍّ من العرق يكاد يلجمه فيكتم أنفاسه، ودموع تسيل من أطراف المُقل المغلقة، تجمُّ بها أذنيه فتفيض متعرجة على عنقه، وفجأة يشهق شهقةً تشق سكون الكون كيوم بعثٍ، وينتفض جالسًا، ومُقلتاه تدوران في حدقتيهما، لا تكاد ترسوان على شيء، فيتحرّك لسانه متزامنًا مع خروج الهواء الذي حُبس في صدره منها، مرددًا أبياتًا لم يدرِ متى نُسجت، وكأنما حُفرت في قرارات جُبِّه المتصدع:

اقتل ما شئت من الأنعام

قذفًا بنحاسٍ أو بكلام

واهدم دورًا

وانحت صنمًا

واخطط مرسومًا للأيتام

واعقد سوقًا

واربط عبدًا

واعتق تكفيرًا للإجرام

فالحبلى قد قُتلت عمدًا

والمُضغة قُبرت في الأرحام

والصرخة همس مكتوم

تتوجس خوفًا من ألغام

افعل ما شئت فقد ناموا

سقط التكليف عن النُوَّام.

أثقلت كاهله الكلمات، وكأنّ ما مر به قبل رحيله شاخص أمامه، واقعًا محسوسًا.

تسلَّل صوت المؤذن عذبًا يملأ أرجاء المكان «الصلاة خير من النوم». هدأت نفسه قليلًا وتحامل عليها فقام توضأ واستقبل القِبلة وكبَّر.

****

ميكروباص

رشا الشهابي

وقبل أن تُنهي اليوم كتبت إيمان متسائلة في دفتر مذاكراتها الصغير:

«هل أُخبره أن أحد الراكبين بالميكروباص قام بمضايقتي بمحاولاته المستمرة للالتصاق بي، كلما اهتزَّت العربة وترجرجت؟».

وهربت من عينها دمعةٌ حزينة مختزنة، ثم قررت البوح لعدم رغبتها في إبقاء أسرار بينهما، أو ذلك ما ادَّعت، بينما هي تريد إشعال غيرته بدلًا من ذلك الفتور الذي يعاملها به منذ بداية العلاقة، وكأنه كان مرغمًا حين دخلها. واشتعل رأسه من الغيظ بالفعل عندما أخبرته بالهاتف، ولكن ليس من الراكب، وإنما منها هي، لأنها كانت من المفترض أن تُبقي هذا الأمر طيَّ الكتمان، كي لا تعكر هذه التفاصيل الباهتة صفو الأمور بينهما. ودار شجارٌ كبير بينهما وبَّخت على إثره ذاتها ووصفتها بالغباء، لأنها لم تنزل من العربة وتستقل غيرها كما قال لها صارخًا في الهاتف. وبعد إنهاء المكالمة عادت لتُكمل باقي خاطرة ذلك اليوم في الدفتر، وهناك استفاضت وكتبت بالتفصيل رد فعل خطيبها، وأنه كان بكل ذلك العنف لأنه يحبها ولا يود سماع ما يضايقه بشأنها، ثم بكت بحُرقة شديدة ومزقت كل ما كتبته وضغطت بيدها على تلك الكومة من الأوراق بحنق ورمتها في صندوقة القمامة.

وبصوت مبحوح خرج من أعماق قلبها المبتور، هتفت قائلة «وغدٌ! لعين!»، ثم فتحت الدفتر وكتبت أحداث اليوم من أول وجديد، وذكرت كل التفاصيل فيما عدا أنها استقلت ميكروباصًا للعودة إلى المنزل ذلك اليوم.

****

شَاهْ

رشا الشهابي

نظرت «نحمده» للسيدة المتأففة الأنيقة الواقفة بجانبها وهي مترددة في بدء الحديث، وبأطراف أكمام جلبابها البدوي الأسود البالي، حاولت أن تُخفي معالم كفيها اللذين بديا شديدي التقشف والجفاف.

تَوجهت «نحمده» بسؤال للطبيبة المتواجدة في الصيدلية عن دواء خافض للحرارة وحُقن قوية من المضاد الحيوي، فسألتها الطبيبة بدورها لمن الدواء حتى تجلب الجرعة المناسبة له حسب السن. ارتبكت «نحمده» وهي تفكر وتلعثمت في الإجابة ثم نظرت للسيدة بتحفز واقتربت تهمس للطبيبة في أذنها.

حاولت السيدة استراق السمع ودُهشت عندما سمعتها تذكر شيئًا ما بخصوص شَاهْ في وسط الموضوع!

بدا أيضًا أن الطبيبة احتارت في الأمر في البداية، ثم أومأت برأسها باسمة بعدما فهمت المطلوب وذهبت فأحضرت أقوى وأفضل الأنواع من العلاجات كما رغبت «نحمده»، وأخبرتها بثمنها الباهظ، فمدَّت «نحمده» يدها لتعطيها مبلغ المال المطلوب دون تردد أو نقاش، وأخذت الكيس ورحلت. ناولت السيدة الوصفة الطبية التي

بحوزتها للطبيبة وصرفتها لها، وعند دفع الحساب ظهر التوتر جليًا على وجهها، وفكرت لثوانٍ متسائلة:

«كل هذه التكلفة سأتكبدها من أجل الخادمة؟!»

ثم عادت من شرودها وطلبت من الطبيبة أن تعطيها شريطًا واحدًا فقط من كل علبة، وتعيد عليها الحساب ثم دفعت النقود على مضض وغادرت.

بعدها بثوانٍ، عادت «نحمده» للصيدلية مسرعة، ألقت نظرة خاطفة على المكان ولم تجد به السيدة المتألقة فزفرت بارتياح وسألت الطبيبة مازحة:

«كيف سأعطي الخروف الحُقن يا دكتورة دون سرنجات؟!»، فانتبهت الطبيبة أنها غفلت عن إضافتها مع الحُقن، وقبل أن تتجه لجلبها نبَّهتها «نحمده» إلى أنها تريدها من النوع المستورد المُدَّون على غلافه «بدون ألم». ابتسمت لها الطبيبة وذهبت فورًا لإحضارها وفي ذهنها علقت قائلة «أصيلة والله يا نحمده».

****

الانفصال

وائل السعيد

ها هي اللحظة التي أنتظرُها منذ عقود، تلك اللحظة التي أتلهف عليها وأنتظرها وأتلمس حقيقتها وصدقها. أتُراها تجلَّت وتجسدت؟ أتراني أعيشها الآن أم أنني ما زلت متوهمًا متشككًا؟

تكسرت كل القيود، تلاشت كل الحدود والأسوار..

متى تعلمت الطيران!!

كيف استطعت التغلب على تلك الجاذبية الأرضية المزعومة!!

طافت روحي هائمة تجول في رحاب السماوات.

ماذا يحدث لي!!

هل أغطُّ في سُبات نوم قاحل عميق.. هل هذه مجرد أضغاث أحلام تنتابني!! أم مَسَّنيَ شيئ من السحر الأسود فغيَّر من طبيعتي الدنيوية!!

لا يعنيني كل ذلك الآن.

فلأستمتع بتلك اللحظة الساحرة علَّها لا تعود أبدًا.

فكم كان حلمًا عزيزًا.. بعيد المنال.. يراودني ويقطن ثنايا روحي.

انطلقتُ كطيف نور يشق عنان السماء الصافية، وتغلغل الهواء البارد ليداعب ملامح وجهي، أشم رائحة البرودة وعبير الحرية المطلقة.

تُرى من هؤلاء بالأسفل؟ لماذا يقفون في هذه الصحراء القاحلة؟ وعلى ماذا يلتفون بجوار تلك الجبال الشاهقة؟

لا أعرف لمَ اشتقت لأن أقترب وأعرف أكثر؟

تُرى لمن هذه الجثة الهامدة التي ينكبُّون عليها ويتصارخون؟

البعض يهرول بعيدًا صارخًا، البعض الآخر يحاول أن يعيد إليها أنفاسها المقطوعة..

ما هذا؟

لِمَ لَمْ يشعرون بقدومي؟

لِمَ لَمْ يلتفتون إليَّ؟

يا له من شيء مريب! أعرف هذه الملامح المخضبة بالدماء جيدًا.

أستطيع تذكر هذه الملابس، وتلك الأدوات المُلقاة.

إنها ملابسي أنا، إنها أدواتي التي ابتعتها مؤخرًا قبل رحلتي لتسلق جبال سيناء!

تنتابني قشعريرة ترتعد لها أوصالي.. تتجمد الدماء في عروقي وتنقطع أنفاسي، وأنا أُمعن النظر في تلك الملامح المألوفة؟

أهذا أنا؟

هل انتهت حياتي إلى الأبد؟

أم أن كل هذا وهم مؤقت سوف ينتهي عن قريب؟

أسترق السمع، فأسمعهم يبكونني ويتذكرون سيرتي.

إنها لحظة الاستسلام.

إنها لحظة الانفصال.

نعم، لم أشعر بها، لم أشعر بألم أو عذاب، بل راحة وسكينة. نعم، إنها الحقيقة. ها أنا أنتقل من عالم مادي محدود، إلى عالم آخر طاقيّ غير محدود ولا نهائي.

أتذكر أهلي، زوجتي، أبنائي، كم سأشتاق إليهم!! لا.. بل كم سيشتاقون هم إليَّ، فأنا أستطيع زيارتهم في أي لحظة أريد.

هل سيتألمون لفراقي؟ هل تركت لهم ذكرى تجعلهم يبتسمون، وأثرًا عذبًا يُسعدهم ويجعلهم يفتخرون؟

يااااه..

تُرى أين هي زوجتي الآن؟ هل وصلها هذا الخبر المكلوم؟ كم أُشفق عليها.. وكم أرنو لأن أكون جوارها لأخفف عنها وطأة الحزن وألم الفراق..

أغمضتُ عيني، وأنا أشفق عليها. أتذكرها الآن ويرتجف قلبي شوقًا لها.

أشعر بدفء يديها تربت على يدي، وأشم عبير رائحتها.

أشعر بقبلة يملأها الخوف والرجاء تنطبع على جبيني في سكون، ودمعة ساخنة تسقط على وجنتي فيسري دفئها في جسدي الواهن فينتفض.

أنتبه وأحاول فتح عينيَّ بتكاسل وضعف.

إنها هنا بجواري كما كانت دائمًا، نبعًا للحب ترتوي منه روحي ويلتئم معه جرحي ويبعث الحياة في جسدي.

لاحظت بصعوبة تلك الأجهزة المحيطة بي وهذه الخراطيم المختلطة بعروقي.

حاولت أن أنطق أو أسأل، لكن فمي مكبل بقناع التنفس البلاستيكي الشفاف.

احتضنتها بعيني بمنتهى الشوق والحب، أخذت أتفحص ملامحها وأحفظها.

ثم نظرتُ إليها وابتسمتُ، ففهمَتْ هي ما عجز عن نطقه لساني.

أغمضتُ عيني ثانيةً، وسكتُّ واستسلمت.

****

حارس السماء

وائل السعيد

استيقظ شهاب في ساعة مبكرة من فجر يوم إجازته الوحيد، على صوت إنذار متقطع، وضوء أحمر يومض فيضيء غرفته المظلمة لبرهة ثم ينطفئ فيحل الظلام مرة أخرى، وذلك على التوالي وبانتظام.

فتح عينيه ونهض مسرعًا والتقط جهازًا يشبه قطعة الزجاج الشفاف، يظهر على سطحه الوقت والتاريخ. كانت الساعة الرابعة فجرًا، والتاريخ ١٠- ٣- ٢٠٥٠..

ثم مرر يده على السطح الأملس فظهرت على الشاشة رسالة استغاثة عاجلة.

تقول الرسالة إن قطاع رقم B5 يتعرض للهجوم، وأن مجموعة مخربين اقتحموا أسوار المدينة، وخلف الرسالة المكتوبة تظهر صورة لمنطقة ملتهبة (مبانٍ تحترق، وتبادل لإطلاق نيران كثيفة).

نطق شهاب بكلمة light فأضاءت الغرفة، فإذا بها غرفة واسعة وخالية من تكدس الأثاث، إلا من سرير منخفض وأريكة صغيرة، وجدار الغرفة المقابل للسرير مصنوع من الزجاج يشفُّ عن منظر لأعلى المدينة، فينبئنا بأن شهاب يسكن بأعلى برج في المدينة.

وبجوار السرير تقبع دراجة نارية ضخمة، ذات عجلة واحدة.

انطلق شهاب إلى غرفة صغيرة وعاد في لحظات، وهو يرتدي بدلته الخاصة، واعتمر الخوذة المكتوب عليها «حارس السماء»، وقفز بحركة رشيقة واستقر أعلى الدراجة البخارية ثم لمس بإصبعه مربعًا أملسًا مستقرًا على الحائط المجاور، فانفتح الحائط الزجاجي في لحظات، ثم لمس زرًا آخر في مقدمة الدراجة، فارتفع زئير صوت المحرك كالأسد الجائع الذي يبحث عن فريسته في البرية.

ثم تحركت الدراجة ببطء باتجاه الحائط الزجاجي المفتوح، ومن ثم كبس شهاب على بدَّال أسفل قدمه، فاندفع خارجًا من جانبي منتصف العجلة جناحان معدنيان قويان..

وارتفع صوت المحرك أكثر، ثم انطلق مرتفعًا ومحلقًا في الهواء بسرعة صاروخية، كأنه نيزك ناري مضيء، وابتسم برغم ما هو مقبل عليه، وكأنه يقول لنفسه إنني أنتمي لهذه السماء وأعشق الحرية، وأحب عملي هذا برغم خطورته وأستمتع به.

وصل شهاب في لحظات إلى القطاع b5، فدار دورة كاملة حول المكان حتى يستكشف جميع المتغيرات والظروف المحيطة، وظهرت على الفور أمامه شاشة افتراضية في الهواء.

تظهر ثلاثة مثلثات حمراء متفرقة تومض باستمرار مع صوت تنبيه متقطع، فعلم أنه يجب أن يدمر هذه العربات الثلاث المعادية.

انحرف مسرعًا في الهواء واتجه إلى أول منطقة، وحدد هدفه بدقة على الشاشة، ثم أطلق حزمة من شعاع فيروزي اللون فانفجرت المركبة الأرضية الضخمة وارتفعت ألسنة النيران إلى عنان السماء.

ثم أعاد توجيه الدراجة النارية والتف بها رأسًا على عقب، فأصبح رأسه للأسفل وقدماه عاليًا، وأطلق دفعة ثانية فاستقرت في منتصف الهدف الثاني فتفتتت المركبة المعادية وتطايرت منها ألسنة النيران، وفي تلك اللحظة رصد على شاشته كرة صغيرة من النار تندفع نحوه قادمة من المركبة الثالثة، فأدار رأسه وكتفيه وجذب مقود دراجته النارية الطائرة بقوة، ليغير اتجاهها، ولكن القذيفة كانت أسرع منه قليلًا، فأصابت طرف الجناح الأيمن فاختل توازنه وتصاعدت الأدخنة من المحرك. وعلى الفور لمس شهاب زرًا أحمر مربعًا أمامه، فانفصل بقوة شديدة عن المركبة وارتفع في السماء.

ثم بدأ يفقد سرعته تدريجيًا وبدأ يسقط ببطء ناحية الأرض، فجذب مقبضًا صغيرًا في بدلته فانفتحت مظلة صغيرة، نزل بها مسرعًا في مكان ما بعيدًا عن ساحة المعركة.

نظر شهاب إلى الأرض تحت قدميه فشعر بها تقترب بسرعة شديدة. حاول أن يقلل من سرعة المظلة، ولكنه في لحظات وصل إلى الأرض، وارتطم بها وتدحرج أكثر من مرة على الأرض، ثم توقف جسده عن الدوران واستلقى على الأرض، وشعر بدوار شديد وكأن الأرض تدور به وأحس بطعم الدماء في فمه، فلمس شفته العُليا فإذا بها تقطر دمًا.

فنظر إلى الأفق وقد لاحت أضواء الصباح، وكأنها تمده بالحياة مرة أخرى، ثم أغمض عينيه واستسلم للنوم.

وفي وقت لاحق سمع شهاب صوتًا بعيدًا كأنه يأتي من الأعماق ليوقظه «شهاب، هيا يا بني، فقد تأخرت على العمل».

حاول مندهشًا فتح عينيه، فإذا به في غرفة مختلفة تمامًا. جدران ضيقة، أثاث كلاسيكي، دولاب، وكرسيَّان بينهما مائدة صغيرة مستديرة.

سمع صوت ورقة تُقطع، فالتفت وفتح عينيه أكثر فوجد والدته ذات الـ٥٥ ربيعًا تنزع ورقة من نتيجة الحائط المعلقة على جدران الحائط البالي، فنظر إلى الورقة الجديدة وجحظت عيناه، فقد دُوِّن فيها تاريخ اليوم «١٠-٣ - ٢٠١٧».

نهض متكاسلًا وهو عاقد الحاجبين، وقد بدأ يتذكر حياته التي لا يرتضي بها، وعمله الذي لا يطيقه كموظف بسيط بهيئة حكومية، وتوجه إلى دورة المياه وهو يشعر بالندم أنه استسلم لحياته التي لا يرضى عنها، وترك الأعوام والسنين تقتات على ما بقي من حلمه القديم، بأن يصبح شُرطيًا ويدافع عن العدالة.

نظر إلى نفسه في المرآة، والتقط فرشاة الأسنان، وهنا شعر بشيء غريب في فمه، فرفع شفته العُليا لأعلى، وهنا تجمد في مكانه وتعلقت عيناه بالمرآة. إنه نفس الجرح وفي نفس المكان. صمت قليلًا ثم نظر مرة أخرى في المرآة، وابتسم ابتسامة عريضة ذات مغزى.

وهنا أحس بالحماس والتفاؤل يتدفقان مرة أخرى في عروقه، ويعيدان إلى روحه الحياة التي سُلبت منه باستسلامه وتخلِّيه عن أحلامه.

ثم نادى بصوت ثابتٍ وواثق «أمي، لن أذهب إلى هذا العمل بعد اليوم».

تمت

وائل محمد السعيد

٢٨- ٧- ٢٠١٧

****

العشقُ صمتًا

وائل السعيد

تقـفُ كعادتهـا اليوميـة عـلى ناصيـة الشـارع الهـادئ، تلـك الناصيـة التي تظللها الأشـجار الضخمـة المبهجـة. تتخير رُكنًـا تظلله الأشـجار، فتجلس في هـدوء لتنعـم بهـواء الصباح العليـل وأشـعة الشـمس الدافئـة.

أنيقـة كـما هـي دائـمًا، تعتـاد اللـون الأسـود، فهـو يليـق بهـا ويُزيـد مـن بريقهـا، ويُـبرز تفاصيـل قوامهـا الرشـيق ولـون عينيهـا العسـلي الفاتـح، فيُزيدهـا غموضًـا وإثـارة وجاذبيـة.

تلتفـت إليهـا أنظـار المـارة وتطاردهـا دقـات قلـوب العابريـن بجوارهـا، فتشيح ببصرهـا غير عابئة بنظراتهم ولا مكترثـة لتلـك النبضـات اللاهثة التـي تقطـع ضرباتهـا سـكون الشـارع الهـادئ، وتطاردهـا أينـما ذهبـت.

تلمـح بطـرف عينيهـا خطواتـه الذكوريـة الواثقـة تقـترب منهـا، وتشـعر بنظراتـه الملتهبـة تُزيـد مـن حـرارة جسـدها وتخـترق تفاصيـل جسـدها، فتشـعر وكأن نظراتـه تُعرِّيهـا أمامـه شـيئًا فشـيئًا.

ترتبـك، تحـاول تجنـب نظراتـه التـي تنهشـها في صمـت وعـلى المـلأ. تنظـر عـبر الرصيـف المقابـل تحـاول أن تُظهـر لـه عـدم اهتمامهـا، ولكـن حركاتهـا تفضحهـا وتُظهـر مـدى توترهـا.

أنفاسـها تتداخـل ونبضـات قلبهـا تـزداد، فتبتلـع ريقهـا في محاولـة فاشـلة للاسـترخاء، وكيـف تسـترخي وتلـك النظـرات الثاقبـة لا تنفـك تلثـم أطـراف أصابعهـا وتفاصيـل وجههـا الملائكـي ذو الملامـح الدقيقـة؟

يقـترب منهـا أكثـر، ويجلـس قُربهـا في هـدوء، وتعلـو وجهـه ابتسـامة ثقـة وخيـلاء. تشـعر بحـرارة جسـده برغـم المسـافة الخاليـة بينهـما، فتحـاول أن تتمالـك وتُظهـر عـدم اكتراثهـا بـه، فـلا يجـب أن تنهـار وتستسـلم بهـذه السرعـة، فهـي فاتنـة الحـي التـي تتعلـق بهـا قلـوب وأنظـار كل مـن يعرفهـا ومـن لا يعرفهـا وتتحطـم تحـت أقدامهـا تطلعـات وأحـلام كل مـن يحـاول الفـوز بقلبهـا.

يُغمـض هـو عينيـه مسـتمتعًا بمجـرد القُـرب منهـا والـذي يعـد مـن المسـتحيل، ويمـلأ صـدره بنفـس عميـق يحمـل عبـير رائحتهـا، فيحبسـه في صـدره علَّـه يحـاول الاحتفـاظ لأطـول مـدى بـما قـد تطولـه يديـه منهـا، فينتـشي سـعيدًا راضيًـا.

تهـم بالانـصراف، أو بمعنـى أدق، الهـروب والتنصـل مـن مشـاعرها تجاهـه، فكبرياؤهـا قـد أقـام أسـوارًا عاتيـة لـن تسـمح أبـدًا باقتحامهـا بتلـك السـهولة دون مقاومـة منهـا ودون تضحيـات مـن هـذا المغـير الغـازي لحصونهـا المنيعـة.

يلتفـت هـو في لهفـة، وكأنـه يرجوهـا أن تبقـى قليـلًا جـواره، فتنظـر إليـه بطـرف عينهـا ثـم ترفـع رأسـها وتلتفـت بعيـدًا في زهـو وشـموخ، لتصـدَّ هجومـه بقسـوة وخشـونة، وتُعلـن رفـع رايـات الانتصـار في تلـك المعركـة الصامتـة.

وهنـا تجـد أحـد المـارة يقـترب منهـما، فتنتبـه وتنـزوي بجـوار الشـجرة، وكأنهـا تحتمـي بهـا، فيقـترب أكثـر. إنـه رجـل في الخمسـين مـن عمـره،

يبدو أنه من سكان المنزل المجاور، ويحمل بيديه وعاءً فيضعه على الأرض بينها وبين غريمها، ثم يلتفت ويولِّي مُدبرًا دون أن يعقِّب.

تقترب في ترقب ودهشة وفضول، فاذا به إناء ملئ بالحليب، فتلمع عينها ويسيل لعابها وتقترب منه في فرحة وسعادة وتلعق فمها الصغير بلسانها، متلهفة لتلك الوجبة الشهية، وكأنها وجدت الكنز المفقود.

ودون أن تشعر، تنظر في الإناء فترى وجهه منعكسًا على صفحة الحليب، أتى لينهل معها قليلًا من الحليب البارد. تفكر في الابتعاد، ولكن هذه الوليمة لا تتكرر كثيرًا، فالإغراء أكبر من تمسكها بكبريائها المزعوم، وربما تنتهزها فرصة وحُجة لكي تبوح بقليل من مشاعرها المكبوتة تجاهه، فلم تعد تستطيع كبح جماح شهوتها، خاصة أمام تلك الوليمة الشهية.

تلعق بلسانها لترتشف المذاق المحبب لقلبها، ويبدأ هو أيضًا بلعق الحليب في تتابع، ويختلط مذاق الحليب الممتزج بلعابهما معًا، فيرفعان رأسيهما، ويتبادلان نظرة طويلة مليئة بمشاعر الحب الدفينة، التي تحررت توًا فانطلقت روحيهما تحلقان في السماء وتتعانقان بعد حرمان.

تبتسم فيضحك في سعادة وارتياح، ويتابعان لعق ما تبقى من الإناء في غبطة وسرور، وقد اطمأن قلبه أنها ستكون له، وأنهما منذ هذه اللحظة، لن يفترقا أبدًا.

****

ورقة خريف

إيمان يوسف

أصوات خافتة تعلن عن استيقاظي وترك عالمي الخاص من الأحلام، لم تكن هادئة وربما صخبها الشديد ما جعلني أصحو، دقات حسيسة تنبئ عن صباح قارب على الظهيرة، ولكن انتبهت للساعة.. لا ليس بعد ما زالت التاسعة صباحًا.. بعد نوبات عديدة من السعال وتذكُّر المرض السابق عجلتني بالنهوض، المرض لن يهزمني مصدقة نفسي على كلماتي.. ارتشفت كوبَ قهوتي مرتسمة الجدية لفتاة لم تطأ قدمها الثلاثين بعد، ويحي ما زلتُ صغيرة على تلك الجدية، باحثة عن قليلٍ من المرح بداخلي، تناولت الكتاب لمراجعته للنشر متوقفة عند العديد من قصص الأصدقاء المشاركين بالكتاب، تسحبني قصة وأخرى لشوارع عدة وأحداث مختلفة في تلك اللحظات البسيطة، تجولت ورأيت العديد من الأحداث تتسارع وتتهادى، البعض يشبهني والآخر يذيقني من الاختلاف مذاقه.. توقفت عن القراءة لاستجماع ذاتي وعندها اشتهيت الوقوف والدوران، توقفت الحياة للحظات بين دوراني وسكوني الداخلي التام، ما أروعه من سلام! وعندما توقفت تذكرته، يا الله إنه بأحلامي يرافقني ولا يتركني والآن أيضًا في أكثر أحوالي هدوءً وسكينةً يلاحقني، رأيته أول مرة بالمشفى عندما طرقت عدة طرقات لطيفة على باب الغرفة رأيته في موعدي المحدد لكشف

المتابعة، دكتوري لم يكن موجودًا هو بعمله بالخارج ولم أترك لعقلي الانشغال بمن سوف يحل محله، ولكني الآن أريد أن أخطو خطواتي خارجة من الغرفة حيث فتاة الاستقبال لعلّني أتراجع، ابتلعت ريقي المتوقف بحلقي ولفظت كلمات التحية المحفوظة، ودقات قلبي أسمعها وأخشى أن يسمعها أيضًا وجاءت الممرضة بعدي، انشغل هو بالنظر بملفي وانشغلت أنا بتهدئة نفسي.. لا عليكِ .. تعترضني لا، لا أريد أن يقوم بالكشف عليّ!! ما الذي خالجني لرفضه بل للخشية من ارتعاشتي تحت يديه وتجرُّدي، إنه أمر اعتقدت أني قد اعتدته، لا لم أفعل حقًّا.. تبًّا للمرض الذي يجعلك فريسة سهلة لمن تراه الآن شابًا رائعًا يجذبك، وبينما أنتظر الدقائق كالدهور ومقاطعة بعض الممرضات غير المبررة غير أني فتاة جميلة بالغرفة، ربما هي حالات طارئة أو على الأرجح غيرة غير مبررة ولكني اعتدت عليها وأجدني أبتسم مشفقة عليهن، أبِي وبجمالي تخشين عليهم!! على مَن لا يحق لِكن!! حماقات، ولكني أجدها حماقة مسلية لي فكاتبة مثلي تجدها شاغلًا لها عن نفسها ومرضها، نعم قليل من المتعة يجدي نفعًا.. نظر إليّ.. لطيفًا كان، وعندما أفصح أن ليس هناك داع لفحصه الشخصي لجسدي لقيامي بذلك منذ قليل بجهاز السونار، انفرجت أساريري بشكل واضح، فضحتني ابتسامتي وردّ فعلي الطفولي لتأكيد المعلومة من الممرضة الجالسة أمامي كفتاة في المدرسة تتأكد من صديقتها أن مدرسهم الوسيم لن يقوم بامتحانها ولن تخجل أمامه الآن، فرحه أنطق بكلمات أني أفضل على كل حال.. ابتسامته الواضحة على رد فعلي الطفولي مع إعجابه بها وملامحه التي انطبعت بذاكرتي، إلا أنني لاحظت سريعًا خاتمه الفضي بكف يده اليمنى، نعم إنه مكلل بعهد لا يخطئ أحد في معرفته، إنها دبلة الخطوبة بالطبع.. انتظرت متعجلة نفسي الرحيل

وأهدّئها حتى لا أبدو غير لبقة مهلًا، وعند آخر كلمة منه.. حسنًا هذا كل شيء، بلحظة كنت أمسك حقيبتي مودعة كمن ينتظر قطارًا سريعًا يخشى أن يفوته وانطلقت مسرعة من الغرفة للمصعد لخارج المشفى، لا أعلم كيف تجاوزت باقي الإجراءات الروتينية والموعد اللاحق، وكيف طاوعتني نفسي؟ أم أنا مَن فعلت بها ذلك وأخذت ميعادًا آخر من نفس الدكتور لاحقًا، ولتهدئة نفسي العزيزة أوضحت لها.. أترين ستة أشهر من الآن .. لا تجزعي ربما لا يأتي! أو أن أسافر أنا أو ربما نغيّر الميعاد ليوم آخر، هدأت لهذه الأفكار.. منهية طريقي للمنزل.. وفيما بعد أغرقت نفسي بمهامي وانشغالي المتلاحق بالعمل والعائلة والأصدقاء فأنا فتاة اجتماعية لا أخشى التفكير الزائد أو الوقت الفارغ، ولكني بحثت عنه! أليست الإجابة واضحة!؟ انه مع أخرى ولكن أنتابني الفضول لرؤيته وأخذ نبذة ولو صغيرة عن حياته، أهو فضولي النابع من إعجابي، أم ككاتبة تجمع خيوط القصة ببعضها البعض! لا أعلم فكلاهما رافقني.. وبعد مرور أيام من التطلع وجدته، لم يكن الأمر صعبًا عليّ، العكس كان أسهل من اللازم، يجعلني أتمنى لو لم يكن أو أني لم أذهب لهذه المتابعة واكتفى بأني بخير ولكن هيهات بين التزامي وأن أغفل عن ذلك.. أيعقل أن يعجب أحدهم بأحدٍ مرتبط بأخرى!! نعم يعقل ولكن لا ينبغي أن يحدث وأن يحدث لي بالتحديد، بين تداعيات الموقف وتأملي لحديث نفسي عن لِمَ أعجبت به، أهو لقربه الشديد من مواصفات أحببتها، ربما، أم أن نفسي اشتاقت لهذا الشعور المفعم بالترصد والتلهف والإعجاب بالآخر بعد فترات من العمل والانشغال بكتاباتي وغلق هذه الصفحة بلا عودة للحب ومتاعبه الكثيرة، تتزايد الأسئلة بداخلي وأبحث عن إجابات، ولكن أكثرهم ما هي الرسالة التي بعثت لي يا

الله مـن معرفتـه ورؤيتـه، يـا الله لا تتركنـي.. إن الإحسـان لذاتنـا بالمضي قدمًـا والوقـوف عـلى أقدامنـا دون حـزن وألم لهـو انتصـار يكفـي ويكفـي إن اجتزت هـذا.. لا، لا يمكـن أن أعـود خائبـة لتلـك العلاقـات المشبوهة لأكف ظمئـي العاطفي أو لتنشغل نفسي أو أن أجد في ملاطفات بعض الرجـال شيئًا مهـمًا، إنهـم عابـرون ولا أشـغل بـالي بهـم، فقـط أتابـع ردود أفعالهـم لتخزيـن ذاكـرتي بـما يصلـح لكتابـاتي ومقـالاتي القادمـة وملاحظتي للنفس البشريـة، وهـا أنـا أقـع ضحيـة نفسي لتحللنـي بعـد هـذا الوضـع، هـا أرأيـتِ أيتهـا الفتـاة الذكيـة الآن تحادثنـي نفسي، قلـبٌ يؤمـن أنـه خـير وعقـلٌ يصفعنـي بتحليلاتـه المنطقيـة.. حـدسٌ لا يخلـو مـن ضـمان البقـاء ورؤيـة واضحـة أن الأمـر منتـهٍ !!! مـاذا عـليّ أن أصـدِّق لطالمـا صدقـت حـدسي وكان يعطينـي الأصـح دائـمًا والآن الانتظـار هـو الأمـر الأخـير بالقصـة، ولكـن مـع القليـل مـن الحنكـة لا يخلـو الإنسـان منهـا.. ربـما نصـدق حدسـنا ولكـن علينـا أن نصـدق عقلنـا أيضًـا كلاهمـا يعمـل لنصدقـه.. بعـض الوقـت لهـو بالأمـر الجيـد، وتتـوالى الأيـام وأنـا في طريقـي واضعـة سـماعة أذني لتشـدو بأغـاني فرنسـية عذبـة لأنديـلا، يتخللنـي الهـواء البـارد والحيـاة وكلـمات تشـدو بداخـلي دون الإحسـاس بشيء غـير الأمـل دائـمًا بالقـادم، وأدنـدن معهـا..

تمامًا مثل ورقة شجر يابسة

سقطت بالقُرب من بابك

سوف أنتظر الرياح

على أمل أن تحملنى

وتعطينى القوة

كي أتمكن من الوصول

إلي كل ما يرفعني
ألف وواحد لون
تجعل قلبي ينبض
على أنغام المواسم
أسفل شجر الصفصاف المُسْتَحى
أحلم بحياة أفضل
لكن لابد أن أكون قوية
لذلك أنا ما زلت أنتظر

تمت

****

بورتريه

خالد مكاوي

أخضب قدميّ بتراب الأرض، فلا أعد بحاجة لحذاء يسلبني اتصالي بنبضات ملايين مَنْ سلكوا الدروب قبلنا، أقاوم المحاولات الدؤوبة لاقتلاعي من وطني..

أطلقوا عليّ «المُهاجر»، ونسخوني نمطًا رتيبًا في إدراكهم.. حكموا عليّ بتمثيل هذا الدور قهرًا في مسرح عبثهم.

ولكني لا أبالي

سموني ما شئتم

فأنا أعرف نفسي جيدًا

أحمل وطني وأكوّن عشيرتي أينما رحلت، وتقطن أسرتي بقلبي حيث زوجتي في إحدى غرفه، وبالغرفتين الأُخريين مسكني الذي تركته خلفي ببني غازي، وتتبقى غرفة تحتضن العالم وكلمات شعري غير المُدوَّن يوقظ غُربتي الهائمة في فراغات الكون الفسيح.

تزدحم حنجرتي ببناتي الست داخل تفاحتي التي تلذذت بابتلاعها دون هضم، يطلقن هديرًا أردده بشفتيّ ترنيمةً لحياتي.

لم تعد أضلعي تحتمل مخزون سنواتي الخمسين، ينفرج جفنيّ عيني بنظرة حالمة متأملة، وينكمش بسببهما الجلد عند رأس زاوية تلاقيهما.

يتوهج إنسان العين مع كل لفتة تفوح بدواخل مَنْ حولي.. يجذبهم.. يقطفون وردة من شجرة روحي، وأغنم أنا بمزيد من أشواكها فتزيد تقرحات جفني السفلي احمرارًا، وأكتم صرخاتي ندوبًا أسفل بشرة وجهي.. ينحسر شعر رأسي وينسدل لحية تلتمع بشيبتها.

أدوِّن ملاحظاتي بأسطر نصف دائرية داخل هالات بنية اللون، منقوشة في منتصف تعريجات جبل وجهي.

وتبرز من بينهما أنفي

«القمة»

التي لم تنحنِ أبدًا

تأبى الثماني والعشرون حرفًا الانصياع لمشاعري، فألتقط الكاميرا وأوثق لحظة ميلادي الجديد.

****

الحاضنة

خالد مكاوي

أرغموها على البقاء سجينة قبو مخفي عن الأعين مهابة أن تعكر صفو فوضاهم، فوافقت فاتحة ذراعيها ترحيبًا، وبابتسامة سقراطية تبتلع سمومهم الصفراء بجوف تصر على نصاعة بياضه.

تتلقى بين اللحظة والأخرى صفعة ساخنة من عابث متحفز لا يأبه بابتسامتها البشوش، ثم ينطلق -دون إلقاء لتحية- غير عابئ إلا برصد النواقص في قبوها، مُتمتمًا بتعاويذ طرد وسواس مُستقر في خياله القبيح، فلا يشكر لها جميل تحويل صفعاته إلى بردًا وسلامًا.

الكل ينفرها..

لا تعلم لماذا؟!

والكل لا يتوقف عن زيارتها...

ربما بسبب ابتسامتها البيضاء وحضنها العريض، وربما لاحتياج لحظي بالفضفضة بأسرار لا يطلع عليها سواها...

تخفي عيوبهم

ولذلك يكرهونها، فكاتم السر لا بُد أن يموت، أو يُحفظ بمقبرة النفايات النشادرية تحت حراسة أحد أعضاء «جمعية الطفيليات البشرية»، والمُستمتع بعناء صبره لاصطياد لحظات زنقة المتلهفين

للقائهـا، فيسـتغل شـوقهم للبـوح بغلّهـم إليهـا ويحصـل عـلى نظـير سـماحه لهـم بالوقـوف أمـام حائـط مبكاهـم.

ومـن حـينٍ لآخـر يختـلي بهـا ليفـضي ببكائـه السـام إليهـا، أو يتأكـد ببقـاء ذاكرتهـا بيضـاء.. فيعـود سـعيدًا بإخلاصهـا في النسـيان الإرادي للإسـاءة، ففـي نسـيانها راحـة لـه مـن عنـاء مشـاركتها مهمـة صرف خبائـث مَـنْ يقايضهـم طيلـة النهـار، ويعـود إلى مرصـده ببـاب القبـو في انتظـار صيـد مهمـوم جديـد يعتـصر جيوبـه قبـل أن تبتلـع هـي عصـارة مثانته

****

مُعايدة حُب

نهال مدحت

عبَّرت الفرحة عن سعادتها بزغاريد أطلقتها هنا وهناك، بجلجلتها شقَّت هدوء الشارع وزلزلته، تحيةً من نسيم أكتوبر لها. رنَّت في السماء ألحان سماوية، فرفرفت أوراق الأشجار بالتصفيق، ابتهاجًا للفرحة، ورفعت الأغصان أياديها ابتهالًا وتضرعًا للسماء.

أشعل الشمع موكبه حاملًا المنخل بالورود والياسمين، يمرجحه بخفة ودلال، فدقَّت يد الهون سبع دقات «الأولة بسم الله، والثانية باسم الله، والتالتة باسم الله، والسابعة يا بركة محمد ابن عبد الله»، وغنت الألحان معه «حلاقاتك برجالاتك، يا رب يا ربنا، تكبر وتبقى قدنا»، فتطايرت حبات الأرز والملح وتناثرت، وراحت ترقص وتدور برشاقة وليونة حوله، تشاركها في الرقصة عملات معدنية، ببريقها أضاءت المكان وبلون الورود غمرت ضحكات العيون وعطر المسك والبخور الأنوف وأذكتها، بعد أن سدَّ عين الحسود بعود، وسكن اسم الله قلبه قبل أذنيه فاطمأن بنور الله. وطابت الأذواق لحلاوة الحلوى، فهي تحية منه للمولى، فأحمد جاء حميدًا محمودًا حامدًا، تألفه القلوب. فصوته رخيم وجسمه نحيل ودمه خفيف، جميلٌ في زمن قلَّ فيه الجمال، برئ في أوانٍ تُغتال فيه المشاعر وتُدفن، وقور رزين، وديع الطبع مرِن الفؤاد بين قلوب متحجرة.

ليان للنشر ولتوزيع

أرسى لقلبه قواعد العشق الأربعين، وأشعل معها شمع عيده الأربعين، شيد لروحه أعمدة متينة ثابتة، كثبات النجوم في سماء، راسخة كالجبال في الأرض، شيدها بصبر وجَلَد وتفكُر. بحب لذاته وكينونته، يقف مستندًا عليها أمام تيارات الحياة، يعود لها عندما تدور به دوائر وتأخذه الأيام والليالي. بابتسامته يواجه كل صعب ومستحيل، فنفسه مفعمة بالحياة والحب. فؤاده هو دليله في ظلام الضياع والحيرة. يرى في الليل الكاحل إشراقة الفجر، كما يشاهد في الغروب شروقًا. رسم دربه على طريق الأمل وخطا عليه بخطوات ناصعة ساطعة.

وكصوفي يصفو عن كل قبيح ذميم دميم، وكزاهد قنوع عفيف النفس يزهد عن متع الدنيا وما فيها، سارحًا في ملكوته، يطوف بين القلوب حاملًا نور الله بيديه وحب رسوله بقلبه، يذكّر الغافل، ويعلّم الجاهل. عطاؤه كثير ليس بحقود ولا كنود، وبلسان مصون.

كعابر سبيل يسافر بحثًا عن الجمال، عطشًا لارتواء، وكأن جمال روحه ما هو إلا امتداد لجمال الحياة. يمر على القلوب مرور الكرام، تاركًا أثره الجميل وراءه، فعطره أثر يفوح في الفؤاد برحيق الورود، فاحتواؤه للقلوب أثر كالأمان بعد الخوف، فحديثه أثر كنسيم الصيف يزرع الحياة في نفس خاوية. غابات عيونه في سلامٍ، أثر يجابي به أمواج الوحيد فيؤنسه، ضحكات غمزات وجنتيه وديانٍ من الراحة والبهجة، يتوه فيها العابس والبائس.

****

الحب هو عنوان القلوب

نهال مدحت

ها هو قد مر عامٌ كامل، مر بكل تفاصيل الأمل والنور في أيامه، مر بدقائق الحيرة والتوتر في ساعاته، مرت وكأنها لم تكن لتمر أبدًا، مرت وما زال كل شيء حي ينبض وكأنه وليد اللحظة، وكأنهم ما زالوا أبطال قصة العام. لم تكن الأيام قوية بما فيه الكفاية أن تُنهي القصة وتختمها بختم النصيب والقدر، أو تقتلعها من جذورها، وكأن شيئًا لم يكن، بل بالعكس، كانت كل يوم تؤكد شيئًا ما لم تستطع استيعابه وفهمه.

تسللت خيوط الشمس خِلسة مع شروق يوم السبت من زجاج النافذة، وتغلغلت من بين طيات الستائر غرفتها البيضاء، لتملأ وترسم على جدرانها نقوش الصباح بألوانه. وكعاشق يغازل حبيبته، راحت الخيوط تداعب وجنتيها وجفونها بكل خفة ودلال، تنساب وتختبئ ما بين خصلات شعرها الكستنائية المبعثرة على وسادتها كي تفيق من سُباتها. وبعد محاولات تلك الخيوط الدؤوبة، استيقظت «ليالي» من نومها، ورفعت جفونها المسدلة بتثاقل وراحت تفرك عينيها الناعستين، فردت ذراعيها وتمطأت بشدة، مدت يدها والتقطت هاتفها من تحت وسادتها، ونظرت لساعة هاتفها، فالساعة تشير إلى السابعة والنصف صباحًا. رفعت غطاء السرير بخمول، من شدة تعبها ونعاسها

كان الغطاء يشدها إليه مرة أخرى، قاومت تلك اللحظات المغرية بصعوبة، ونهضت من السرير بكسل وتلكؤ شديدين. قامت وفتحت نوافذ غرفتها لتأذن لباقي خيوط الشمس الواقفة على حافة نافذتها بالدخول، استنشقت وملأت رئتيها من نقاء النسيم، فربما تستطيع ذرات النسيم تلك أن توقظ شيئًا ما بداخلها.

برغم أنه شروق ليوم جديد، ولكنها تنظر له كباقي الأيام، يوم لا يحمل لها أي جديد، يوم كباقي أيام الأسبوع بلا حياة أو روح فيه، يوم روتيني قاتل بكل أبجديات الكلمة. خرجت «ليالي» من غرفتها بعيون يملأها النعاس وجسد منهك متكاسل، واتجهت إلى الحمام لتغسل وجهها كي تفيق. وقفت أمام المرآة تتحسس بأناملها وجهها المُتعب من مجهود الأسبوع وعينيها الناعستين، وراحت تنظر وتتحدث لنفسها في المرآة «مالك؟ إنتِ ليه عاملة كدا؟ صحصحي النهاردة وراكي مشاوير كتير.. يا معين». ثم اتجهت لتعد قهوتها الصباحية وحملت فنجان قهوتها الكبير متجهة نحو غرفتها ترتشف قهوتها ببطء، مستمتعة بمذاق ومرارة البُن. استطاع صوت فيروز ورائحة القهوة أن يوقظا شيئًا من حواسها النائمة. ارتدت ملابسها استعدادًا للنزول ليوم مشحون بزيارات عائلية، أعادت ترتيب سريرها، ولملمت أشياءها المبعثرة في أرجاء الغرفة، وارتشفت ما تبقى من قهوتها.

وبعَجَلٍ، انحنت لتأخذ مفاتيحها وحقيبتها من على كرسيِّها الهزاز، لمحت «ليالِي» بطرف عينيها وهي تأخذ سلسلة مفاتيح سيارتها، ورق الروزنامة على الطاولة بالقرب من كرسيِّها، عقدت حاجبيها في اندهاش وتسمَّرت في مكانها وشردت، وكأن أصابها الجمود. كان ورق الروزنامة يشير إلى أن اليوم هو يوم السبت ٢٢ يوليو ٢٠١٧، أمسكت

الروزنامة ونظرت إليها طويلًا، وبابتسامة حزينة وصوت فيه مزيج من الاندهاش وشيء من الحنين وربما الافتقاد قالت «ايه دا؟! يااااه عدت سنة! معقول! يوم الجمعة الساعة اتنين بعد الصلاة، يااااه يا أيان.. إنت فين؟». تجمعت الدموع في عينيها وغالبها الحنين وافتقاد الونيس وربما اشتاقت له ولتلك الأيام التي كانت تنبض فيها بالحياة.

غلبتها دموعها فجلست على كرسيِّها، في ذلك الركن الهادئ الذي دومًا تجلس فيه للتنصت إلى موسيقى عالمها الخاص، وألقت برأسها إلى الخلف، وعادت تتحدث لنفسها وهي تمسح بأناملها دموعها قبل أن تصل لوجنتيها «يا ربي يا ربي رحمتك.. خسارة بجد أنا كنت مبسوطة ومرتاحة. بس بقى.. بتعيطي ليه دلوقت؟ إيه اللي جد؟!، إنتِ أقوى من كدا. اهدي، قومي، يلا قومي عشان تلحقي اللي وراكي. خلاص اهدي وقولي الحمد لله على كل شيء.. وكله بيعدي.. ما تضيعيش وقت».

بعد ان تغلبت «ليالي» على دموعها وهدأت قليلًا، أمسكت الروزنامة وكأنها تمسك الأيام التي مضت بيديها، وراحت تنزع ورقة يوم السبت لتكرمشها بيديها. الورقة تقاومها بشدة. حاولت مرارًا وتكرارًا، مرة واثنتين، لا فائدة. بدأت تغضب من أن الورقة مثبتة بقوة في الروزنامة، الورقة أقوى منها! بغضب شديد وحدة بدت واضحة في صوتها «أووووف بقى، إنتِ مش عايزة تتقطعي ليه؟ آه ليه؟ اتقطعي بقى.. أووووف! ملزوقة بإيه إنتِ؟»». بانزعاج وغضب ألقت الروزنامة من يديها على أرض الغرفة، ثم رفعت يديها ووضعتها على وجهها، وأخذت تتنفس ببطء حتى تهدأ. لم تستلم، تناولت الروزنامة من الأرض مرة أخرى وحاولت مرة ثانية أن تنزع ورقة يوم السبت.

ولكن في هذه المحاولة حدث شيء غريب، كلما حاولت أن تقلب ورقة يوم السبت وتنزعها، تعود فتدور أوراق الروزنامة بالعكس، تدور للوراء وكأن الزمن والماضي يعود، تتسارع أوراق الروزنامة وتدور الأيام والشهور إلى الوراء بسرعة (شهر يوليو ٢٠١٧/ مايو ٢٠١٧/ مارس ٢٠١٧/ يناير ٢٠١٧/ ديسمبر ٢٠١٦/ أكتوبر ٢٠١٦/ أغسطس ٢٠١٦/ يوليو ٢٠١٦). توقفت أوراق الروزنامة عن الدوران عند ورقة يوم الجمعة ٢٢ يوليو ٢٠١٦، وتلألأت أوراق الروزنامة ببريق ماسي، وتطايرت أوراقها، الواحدة تلو الأخرى، حولها في الغرفة، وتضخمت وبرزت الحروف والكلمات، وتحولت ورقة يوم السبت لبساط حريري كبير كبساط الريح لعلاء الدين.

انتفضت «ليالي» من على كرسيِّها وأصابها الذهول والخوف مما شاهدته للتو، خرج صوتها متحشرجًا مفزوعًا «بسم الله الرحمن الرحيم.. إيه دا؟! في إيه؟؟ إزاي كدا! هو إيه اللي بيحصل؟ مش وقت خيالاتك!». في تلك اللحظات اقتربت الورقة من «ليالي» وتحدثت لها بصوت هادئ حنون: «ليالي تعالي.. اركبي معايا.. ما تخافيش، هفرجك على حاجات بتحبيها.. تعالي معايا».

استسلمت «ليالي» واستجابت لإلحاح الروزنامة، وراحت تُبحر معها ما بين أوراقها، تطوف باستغراب واندهاش وسط الشهور والأيام، تلتقط أنفاسها وهي واقفة خلف زجاج المقاهي، تشاهد نفسها جالسة مع «أيان» على ذات الطاولة، يضحكان ويتحدثان، تلهث وراءهما وهما يسيران في أرقى شوارع القاهرة العتيقة، تنظر من بعيد لوجهيهما الذين اكتسيا بلون الاستحياء والخجل من ثناء الروائية عليهما. تشاهد السعادة والفرحة التي غمرت قلبها قبل عينيها وهي تهديه هدية عيد ميلاده، وسعادته وإطرائه بهديتها، تلمح مِن بعيد،

مِن على شاطئ البحر، رسائلهما المنمقة والمقتضبة، تنظر بحيرة من خلف الطائرات، الصمت والارتباك الذين اعترياهما في المتحف الحربي، تبتهج فرحًا بانتظار «أيان» لها عند مكتبها، عقدت حاجبيها وهي جالسة في المقعد الخلفي لسيارة، يتشاجران ويتخاصمان، ظلت تشاهد وتنتقل من من يوم لآخر ومن شهر للثاني، حتى عادت بها ورقة يوم السبت ثانية لغرفتها، جالسة على كرسيِّها ممسكة بيومها بحاضرها ومستقبلها.

كان لزامًا على «ليالي» أن تعبث بعجلة الأيام وتعيد الزمن إلى الوراء، أن تستحضر ذلك الغائب الحاضر، وأن تسمح لنفسها بفتح خزائن ذكرياتها مع «أيان»، وأن تتذكر تفاصيل أيامها مع صوته وتعليقاته وتشجيعه ونصائحه لها، ابتسامته وضحكته، نظرات عينيه، حتى لحظات سكوته، وتستمع من جديد لحديثهما، وتعيد قراءة كل ما دونته من كلمات وأحاسيس مبعثرة ومشاعر مختلطة، ما بين الحنين والشعور بالفشل والخسارة، تصارح نفسها بمشاعرها الحقيقية، ولا تقاوم وتنكر وتعتبر كأن شيئًا لم يكن؛ تبكي وتمزق وتكسِّر. وأن تتقبل وترضى بكل ما مرت به في تلك الفترة من حياتها، حتى الحنين لتلك الأيام، حتى تستطيع أن تتحرر من ذلك الغضب الداخلي نحوه والأسى على نفسها. كي تصفو كليًا من تلك المشاعر السلبية، من إحساسها بالذنب ولوم نفسها بأنها كانت سببًا في خسارة «أيان» وابتعاده عنها، وأن تكف عن لوم صمته. وحتى وإن استعانت بمصباح علاء الدين وبُساطه السحري، وإعادة الإمساك بزمام الأمور والأيام، لن يتغير شيء، لأن دفاتر القدر شاءت وقدَّرت ذلك.

حتى تتمكن من العبور من حاضرها هذا إلى مستقبلها الآتي، لا بد من أن تعبر ذلك الجسر الذي شيدته بالألم والحزن وأن تترفق بنفسها.

فـإن في مـروره بأيامهـا رسـائل جـاء بهـا لم تسـتوعبها في حينهـا، لم تتمعـن في سـطور تلـك الرسـائل، فربـما الأيـام القريبـة تسـتطيع أن تفهـم وأن تسـتوعب المخـزى الحقيقـي مـن مـروره بحياتهـا.

نحـن مـن نصنـع الأيـام يأيدينـا، نرسـمها كيفـما نشـاء، نـدبُّ فيهـا الحياة والـروح، نحصـد مـا نزرعـه في أنفسـنا مـن حـبٍ وتسـامح.

فالحب هو عنوان القلوب.

****

تمسكوا بريشة الهوى

نهال مدحت

اعتاد الحكيم أن يتجول بين أروقة المحروسة النائمة، بعد أن يسدل الليل ستائره الحريرية على ليالي الصيف الطويلة، سيرًا على قدميه، متكئًا على عكازه الخشبي المُرصَّع بحِكم العمر، بحثًا عن غزل العاشقين وحديث الساهرين، عن قصصهم الغرامية. وبينما يمشي في ليلة من تلك الليالي الهادئة في عبيرها، تنبَّه الحكيم إلى أن هناك شُرفة صغيرة يتسلل منها ضوء خافت من وراء ستائر بيضاء شفافة، يداعبها ويعانقها نسيم الفجر؛ فترقص نقوشها وتتمايل معه يمينًا وشمالًا، ليملأ ضوء الشرفة ظلام الشارع الهادئ الذي تحفُّه أشجار محفور عليها عبق التاريخ للبيوت المجاورة. تطل الشرفة على شارع فرعي هادئ من شوارع العاصمة المزدحمة والصاخبة بقصص وذكريات العشاق.

أخذ الفضول الحكيم ليعرف ما حكاية تلك الشرفة؟! قصد الشرفة واتجه نحو مصدر ذلك الضوء الخافت. كان زجاج الشرفة مفتوحًا على مصراعيه، بخطوات هادئة وخِفة يد ساحر ماهر، أزاح الحكيم طرف الستائر ليرى ما بداخل الغرفة، وبعَجَلٍ مسح بعينيه زواياها، غرفة واسعة عالية السقف مربعة الشكل، يوجد في قبالة الشرفة سرير بندقي متوسط الحجم، أسفله سجادة عجمية حمراء

اللـون، يرقـد عليـه شـاب نحيـل جميـل المظهـر، وبجانـب السريـر طاولـة صغـيرة مرصـوص عليهـا بعـض الكتـب وفنجـان شـاي مـا زال سـاخنًا بدخانـه، ومصبـاح كهربائـي مشـتعل. صـور كثـيرة في براويـز خشـبية، معلقـة عـلى جـدران الغرفـة، تـؤرخ وتوصِّـف لحظـات الفـرح، لرحـلات صحـاري وبحـار المحروسـة. الغرفـة مرتبـة، إلا مـن ذلـك الكـرسي المغطـي بمـلابـس كثـيرة، بجانبـه حـذاء ريـاضي، وكـرات صفـراء مبعثـرة بجانـب حقيبـة رياضيـة كبـيرة.

رغـم هـدوء الغرفـة وخلوهـا مـن الأصـوات، إلا أن هنـاك صـوت مجهـول لهمهـات وصيـاح تعلـو أحيانًـا وتنخفـض أحيانًـا أخـرى. مـن أيـن تـأتي تلـك الهمسـات يـا تـرى؟! باسـتغراب واندهـاش قـال الحكيـم «أنـا لا أرى أحـدًا في الغرفـة غـير ذلـك الشـاب النحيـل ذي الشـعر الأسـود الخفيـف». أخـذ الحكيـم ينصـت ويصغـي بانتبـاه شـديد، ليعـرف مـن أيـن يـأتي ذلـك الصـوت! بعـد لحظـات، تنبَّـه الحكيـم إلى أن تلـك الهمهـات والـصراخ، تصـدر مـن الفتـى الجميـل. أولـج الحكيـم قدميـه بهـدوء في غرفـة الشـاب، وجلـس بجلبابـه الأبيـض الفضفـاض عـلى طـرف سريـره، يراقـب الفتـى وينظـر إليـه ويُطيـل النظـر، متأمـلًا إيـماءات وجهـه العابسـة ونظـرات عيونـه الزائغـة والحائـرة، وهـو يتقلـب عـلى وسـادته التـي تخبـئ مـا بـين طياتهـا القطنيـة كل أسـراره، أحلامـه الخياليـة وأمنياتـه وخيباتـه، ففطـن الحكيـم، بعـد لحظـات مـن الإنصـات والإصغـاء لتلـك الهمهـات والـصراخ، أن هنـاك تنافـر وصراع محتـدم داخـل الشـاب، مـا بـين عقلـه وقلبـه، وبسـببه خاصـم النـوم جفونـه. ذلـك الشـجار الـذي خلَّفـه تعـارف الشـاب عـلى فتـاة هادئـة، ناعمـة، جميلـة، مـن أسـابيع قليلـة ماضيـة. شـعر الحكيـم بـالألم والشـفقة عـلى الشـاب مـن هـذا القلـق والحـيرة، تعاطـف

معه وأخذ يفكر طويلًا، كيف له أن يحرر أسْر ذلك الشاب ويفك قيودًا زُرعت بداخل قلبه وعقله؟، وأن يوقف ذلك الشقاق الدائر بينهما؟!

رفع الحكيم عكازه بغضب شديد، وطرق طرقة قوية على طاولة بجانب السرير محاولًا أن ينهي هذا الضجيج، ثم بطرف عكازه الخشبي، وخَزَ صدر الشاب وخزة خفيفة، لإثارة انتباه عقل وقلب الشاب كي يصغيا لما سيقوله لهما. صاح الحكيم، وصرخ فيهما صرخة مدوية شقت جداهما، قائلًا «أما لهذا الشجار والصراخ أن ينتهي بينكما؟ أما لهذه الفوضى أن تزول وتنقضي؟، لِما هذا شقاق والقتال؟! اعلموا يا سادة أنكما باختلافكما وصراعكما هذا قد أحدثتما شقاقًا وفجوة عميقة، فقد أرهقتما وأنهكتما فؤاده. أنت، عماذا تبحث وتفكر وتدقق؟ وأنت، إلى ماذا تتأمل وتريد وتفتقد؟».

صوت خافت يقاطع صوت الحكيم الجهوري «من أنتَ وعمَّا تتكلم؟»، رفع الحكيم رأسه ونظر لهما بحدة وقال «أنا لسان من لا يقوى على البوح والتعبير عن غضبه، وغيرته، عن حيرته، عما يدور بداخله من محبة واشتياق، باحتياجه لأمان. أنا من يملك عصارة تجارب العشاق، أُنير طريقًا أمامهم، أوصل بينهم بحبال الأثير، أقوِّي ضعفهم، أصحح مسارهم، أوضح رؤياهم».

بصرامة أكمل الحكيم حديثه، مخاطبًا ذلك الصوت الخافت النابع من الشاب وقال «لِما كل هذا الاستبداد والتسلط؟ كُفَّا وارفعا أيديكما عنه، اتركاه يراها ويلمسها بروحه. لِما هذا التعسف والظلم؟ كونا منصفين قليلًا. اتركا فرصة لأرواحهما أن تتحدث، وتهمس من وراء

الخيال بلغتها بعيدًا عن استبدادكما وتهوركما، عن نواياكما. ماذا لو جنبتماهما أشياءً كثيرة كالخوف من المجهول، من التوتر، من الترصد، من الانتظار، من سوء الظن والشك، من التوهم، من الجبن والفزع، من صخب الواقع والمقارنات، وتركتماهما يصفوان ويحلقان بكل إقدام وارتياح، ليسكنا بعيدًا عن مهاتراتكما، فيبوحا بكل أبجدياتهما؟».

ومع آخر كلمة نطق بها الحكيم، ساد الصمت والوجوم الأجواء، والتبس الاستغراب والاندهاش كل شيء في الغرفة. نهض الحكيم منفعلًا من السرير وتجول ما بين زواياها. كانت لوائح الأرض الخشبية تخفق من شدة وقع خطواته عليها، حتى وصل لآخر الغرفة، عاد واستدار مخاطبًا فؤاد الشاب وقال «أنت يا هذا؟ فبرغم أنها تعلم وتشعر جيدًا أنك لا تقوى على البقاء، وأنك لا تملك من الأمر شيئًا؛ فهي ترفض ذلك الشعور بالاستسلام لوداعكما ورحيلكما عن عينها.. عن تفاصيل حياتها.. عن أيامها؛ كي تسبحا في ملكوتكما بعيدًا عن ناظري فؤادها، فهي تحتاج بعنف وقوة لكما معًا، فهي متشبثة بعقل ورزانة الصديق وحنان وحب الفؤاد للحبيب». توقف الحكيم لبرهة عن الحديث، وأخذ نفسًا عميقًا وهو ينظر مبتسمًا لفؤاد الشاب، وراح يطبطب على كتفيه حتى يهدأ. ثم قال له «حتى وإن كان لديك اليقين بأن ذلك الإحساس والشعور الذي طالما كنت تبحث عنه لن يولد بينكما في يوم ما! فهي تدرك لحد اليقين، أنك سيد قراره وأنك مسير بما تهوى ولست بمخير، كما أنك عنيد كعناد الطفل، دعها تناجيك، تقصص عليك قصص الغرام الوردية والأسطورية، تبوح لك بأسرارها وبأفراحها، تستمع لنبضاتكَ تطبب جراحكَ، تشعركَ بوجودها، تداعب خلاياكَ بحنانها وحبها لروحكَ، باحتياجها

لعناقكَ، بشوقها لعينيكَ. دعها تحاول، فلربما تلين لها! افتح لها أبوابكَ وثِق بروحها البريئة»، وما زال فؤاد الشاب منصتًا وساكنًا في مكانه.

وفي أثناء تجوله في الغرفة، لفتت نظر الحكيم، في إحدى زوايا الغرفة، مكتبة كبيرة، مبعثرة ومرصوصة على رفوفها الخشبية كتب كثيرة. توجه نحوها وقام يقلب ما بين روايات رومانسية وأدب رحلات، ثم استدار ممسكًا بيده رواية تُدعى «جواري العشق» لكي يتصفحها، وراح يشير بعكازه لعقل الشاب، ثم قال له «وأنت! لطالما قلت إن فيها كل شيء جميل، ماذا حدث الآن؟ ماذا تغير؟، تحدث لها، صارحها بكل شي يؤرقكَ ويزعجكَ فيها؛ فربما تستجيب لكَ، فلا تصر عليه، كي يقفل ويوصد كل أبوابه، كُن مرنًا قليلًا، فهي تعلم جيدًا أنكَ تكره غموضها وإلحاحها وسلبيتها وتوترها القاتل، وشروط وضعتها في الطريق أحيانًا، اعذرها، فلم تكن مهيأة لكَ في بادئ الأمر، كانت تقاومكَ، عقدت لسانها، وحجبت روحها، وأسدلت على فؤادها ستائر الشك والظن والخجل، وأحيانًا كثيرة، الخوف واليأس من العشق وربما الزهد فيه. انظر حولكَ، فكثير من القصص بدأت بالفراق والاختلاف والمشاحنات، ولكن انتهت بحب العمر، كما في البدايات لذة في سلاستها وانسجامها، فلتلك النهايات لذة وفرحة تضاهي في لذتها وآلامها آلام المخاض. فولادة الحب من رحم الصعاب والمستحيل واللا معقول، كالفرحة بمولود بعد اليأس منه، كما هي دروس الحياة لنا، لا هي البدايات التي نتوقعها ولا هي النهايات التي نريدها».

باستهجان شديد، بادر فؤاد الشاب بسؤال الحكيم وقال «ولكن

كيف يكون ذلك؟! وسماؤنا ملبدة بالغيوم الكثيفة وفي يوم ما ستعصف بنا بأعاصير وبراكين؛ فطريقنا ليس كصفاء الحب!»، فأجابه الحكيم «اعلم أن الحب يا بني، ليس بقرار، وإنما هِبة من المولى لعباده، وأن الأصل في الفؤاد هو الحب، تلك هي فطرتنا. وضعكم الله في طريق وترك لكم الخيار لأي اتجاه تسلكونه، فأنا مؤمن لحد اليقين بأن هناك مخزى من لقائكما، فهي متشبثة بروحه وبريق عينيه، حتى بغمازات وجنتيه، وبذلك الأمل الذي ما زلت تزرعه بجنون، لربما يكون يا بني بعد العتمة نور، لربما كتب الله لكما بعد الفراق والضياع، بداية جديدة كان كل منكما يتمناها».

أكمل فؤاد الشاب سؤاله للحكيم باستغراب «لما تصر على كل هذا الإصرار والإلحاح على البقاء الآن؟!»، ترك الحكيم الرواية التي في يده على رف المكتبة، وذهب ليجلس على كرسي بجانب السرير. سرح طويلًا وأطال النظر لفؤاد الشاب، وبنبرة صوت كلها ثقة وجرأة قال «لأني أشعر أن الحب يا سيدي في الأرجاء يحوم حولهم، ولكنكم ما زلتم تجهلوا مكانه وهويته، دعهم يحاولوا أن يمسكوا طرف الخيط، ربما لو اجتمعوا يومًا ما، وعقدوا النية على أن يزيلوا ستائر العتمة فيما بينهم، لخلقوا بأيديهم تلك الحالة التي لطالما كنتم تبحثون عنها. دعهم يشاهدوا ويتغزلوا في الشروق سويًا، دعهم يبحثوا عن سر في لقاءات العشاق، يتحدثون عن كيف تكون هلامية الحب، عن الغيرة، عن لهفة الروح للحنين، عن دموع نداها يجمعهم، وضحكات تأسِرهم؛ ليتوهوا في غابات العيون، يبحرون بمراكبهم في الخيال، يرسو الشوق فيسكنوه، لأنه يفهم ويعرف ما يبهج قلبها ويسعده، يفهم ويدرك عقلها ويخاطبه بطريقة لم تألفها من قبل. اقتحم عقلها وسيطر عليه،

وربما رأت فيه الحياة والأمل، فهو يشعر جيدًا بتوترها وغضبها ويحترمه، حتى لو كان هذا كله يؤلمه. فمن يريد البقاء يخلق أي شيء لبقائه، ومن يريد الرحيل يخلق أسبابًا لرحيله».

بارتباك شديد وحيرة في صوته، عاد قلب الشاب وسأل الحكيم «أين هو ذلك الخيط؟». أجابه الحكيم متكئًا على عكازه «طرف الخيط أمامهم، ولكنهم لا يرغبون في الإمساك به! فهو يشبهها في ملامحها، في حنانها، في نقائها، ففيها جزء من ملامحه، صوته الهادئ ما هو إلا صدى لإحساسها، يحب ضوء الشموع ويسهر في خياله في ساعات الدُجى، يسافر بأحلامه من بلد لآخر، يكتب ويخرج قصص الحب الأسطورية، يهيم في رائحة الياسمين والورود، يعشق ألوان الشروق ويتوه معها في الغروب، يميل ويتقلب وينتفض ويثور كموج البحر، ويعود فيهدأ على شاطئ روحه، يذوب في العشق كذوبان السكر في القهوة، يعشق حريته ويبني لذاته قلاعًا حديدية، يعشق في القراءة ما بين السطور، يبحث عن لذة العشق، ولكن يقيس عشقه بعدد نبضاتكَ أنت ولهفتكَ، يقف أمام حيرته كما تقف هي، يؤمن أن دواء القلب وغذاءه هو الحب، لأنهم يؤمنون أن إحساسهم هو من يحركهم، يطوي مشاعر دافئة لمن تدق له، فهو يا بني، شخص ملئ بالرومانسية والحب، يفوق نساء العالم حنانًا، فهو الميزان وهي السرطان، يشتركان في حب العشق نفسه، أليس هذا بكافٍ أن يكون هو طرف الخيط؟!

قال الشاب للحكيم «ولكني أشفق عليها من هذا الحب المستحيل، فأنت تزيد من إحراجي، من حيرتي، دون أن تشعر!». «لا عليكَ يا بني مني أنا، إياك أن تشعر بالشفقة أو الإحراج منها، فالهوى

يا بني ما يهواه الفؤاد بشغف ولهفة، ولكن اشعر بالفخر والغرور بأن تلك الروح البِكر التي لم يعانق قلبها قلب من قبل، لم تصر عليكَ كل هذا الإصرار والإلحاح، إلا أنها لمست فيكَ شيئًا اخترق جدار قلبها كرصاص لقناص ماهر. يا بني.. هي إنسانة رقيقة، تعشق بجنون، وتتعلق بتفاصيل ذلك العشق، وتكره بحدة سكين، وتفرح كفرح الأرض بالمطر، وتحزن كحزن اليتيم، تصر على ما تهواه بإصرار وعندٍ لطفل رضيع، تُصاب باليأس من الأمل وتتأمل خيوط النور في اليأس، تخاف من البدايات وتفرح بالنهايات، وتعود فتفرح بالبدايات وتحزن على النهايات. فليست كل دموعها ضعفًا، فأحيانًا، من شدة قوتها في كبح كبريائها كأنثى، ربما لو اختبأت ما بين أضلاعكَ؛ لشعرت بدقتها، لشعرت بنبض حنانها يسري في عروقكَ فتطمئن. انظر لفؤادها وليس لظاهره، فلا تأخذ بظاهره أبدًا، لأن كلا منهم حكاية أثرت على جدرانه؛ فبات قبيحًا، فاعلم يا بني أن معجزة الحب تلك تكمن في الاختلاف وعشق العيوب بتفاصيلها. حاول أن تتبنى فؤادها، فقلبها يتيم. علِّمه أبجدياتك، علِّمه كيف تكون هلامية الحب التي تبحث عنها، ساعدها وأعِنها على رفع ستائرها وفتح أصدافها، لربما تتفاجأ بشيء أروع مما كنت تتمنى أو تتخيل، لربما يكون ذلك كله موجودًا، ولكن غطاه تراب الطريق والحيرة والغيرة والآلام والفشل من الحب. فقد فقدت اتزانها وارتبكت وفزعت من خسارته للأبد وربما أنكرت وأخفت، ليس خوفًا أو خجلًا منه أو من الحب نفسه، ولكن خوفًا من فراقه للأبد. فإذا كانت تعلم أن بوحها له، بما يحمله قلبها، سيغير من الأمر شيئًا، لباحت بكل حب وفخر.

تنهد الحكيم وهو يرفع رأسه عاليًا، ثم أخذ ينظر إلى سقف الغرفة، فرأى وميضًا يشع منه نور، عليه وجه الفتاة، بابتسامتها أضاءت سقف الغرفة، فقال لها بعد أن لمس روحها «وأنتِ، لا تحزني على شيء، اهدئي وأسكني روحَكِ البريئة، تمسكي بالأمل وانظري لضوء شروق، فأنتم ما بين الكاف والنون، أقداركم كُتبت عليكم تركض ورائكم، مهما حاولتم الهروب منها. تفاءلي وتمني الخير، واسعي وأسرعي وراء أحلامكِ لتحقيقها، ولا تيأسي من روح الله، استعيني بنور الله الذي خُلقتِ به وزرعه عز وجل في فؤادكِ.

نهض الحكيم وقام ليغادر غرفة الشاب، اتجه نحو زجاج الشرفة. وقبل أن يرحل، التفت لهما وهو مبتسم، وبصوت هادئ فيه حنان وحب للفتاة والشاب قال «تمسكا وتشبثا بريشة الهوى، وابحثا عن أسرار جماله في قلوبكما. قلوبكما جديرة بعناقه واحتوائه». غادر الحكيم بعد أغلق نوافذ الشرفة وأسدل ستائرها البيضاء كي ينعم الفتى النحيل جميل المظهر والباطن بنومٍ وحياةٍ هادئة.

****

هنادي

محمود فريد

توقفتُ أمام باب قاعة المحكمة لدقائق قليلة، في محاولة مني لالتقاط أنفاسي قلبي مغلَّف بغيوم الاضطراب، عقلي ممزق بين تضارب الأفكار، وروحي تئن من خيبة الأمل والرجاء. تمنيتُ لو أن أعود أدراجي إلى المنزل حاملًا ما تبقى مني من أشلاء ممزقة. فقدتُ كل معاني الحياة، تمنيتُ لو لم يتم انتدابي لتولي هذه القضية التي جاءت بي اليوم إلى المحكمة، بل تمنيت لو أن يعود بي الزمن فلا ألتحق بكلية الحقوق التي اخترتها بمحض إرادتي. كنت أظن أني سوف أكون يد الله في أرضه، تلك اليد التي تعيد الحقوق المسلوبة إلى أصحابها. حلمتُ أن أكون تلك القوة التي ترفع الظلم عن أصحابه، وترده على من ظلمهم وتسحقهم بها، أن أكون تلك العدالة التي تجسد الحق على أرض الواقع. اتخذتُ العدل دينًا والمساواة مذهبًا ورفع الظلم غاية وسبيلًا. ملأتني الأماني الكاذبة وناطحتُ بها أعلى السماء وغرَّتني الآمال الواهية، وطفتُ بها بين أرجاء الأرض أنشر فيها السلام والمحبة. وفي لحظة واحدة تحطمت كل تلك الأماني حتى سقطتُ على أرض الواقع الصلبة وتناثرت أشلائي وتبعثرت وتبددت كل تلك الآمال، فضللتُ طريقي بين دروب الظلم الوعرة. كفرتُ بديني

وتركتُ مذهبي وضللتُ الطريق إلى غايتي، وما بقي لي إلا خيبة الأمل وسخرية القدر ويأس لا ينضب.

عندما جلستُ على مقعدي وأصبحتُ في مواجهة المنصة، تعلق نظري بالآية القرآنية المعلقة في منتصف الحائط وتعلو ميزان العدالة «وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل». اشتد الصخب في داخلي وشعرتُ بالضيق يكتنفني، ونبتت على شفتيَّ ابتسامة ساخرة. التفتُ إلى القفص الحديدي الرابض على يميني، تسارعت نبضات قلبي وفاضت روحي بحزن مكتوم، وكأني أخشى تلك اللحظة التي سوف تظهر فيها هنادي لتقف خلف تلك القضبان الحديدية التي يملأها الصدأ، والتي بمجرد أن تقع عليها عيني في كل مرة تضطرب أمعائي وترتعش أوصالي، وكأنني أرى تلك القضبان لأول مرة. أشعر بأني في يوم من الأيام سوف أقف خلف تلك القضبان متهمًا وليس مدافعًا، مذنبًا، بارتكاب أبشع الجرائم وأقبحها. وعلى الرغم من كل ذلك الصخب وتضارب الأفكار، إلا أن بداخلي شوق جارف إلى رؤيتها، وحنين عارم إلى سماع نبرة صوتها الناعمة، والتي سلبت عقلي منذ أول كلمة نطقَت بها.

بعد لحظات قليلة ظهرت هنادي تمشي على استحياء إلى داخل القفص، توقفَت أمام قضبانه الحديدية، رفعَت رأسها المنكسة فزاد اضطراب قلبي، أخذَت تدور بعينيها بين الحضور حتى التقت عينانا، نبتت ابتسامة خجولة ورقيقة على شفتيها القرمزيتين وترقرت الدموع في عينيها العسليتين. كانت تقف خلف القضبان وهي ترتدي رداءًا طويلًا أبيض، ووشاح أبيض يغطي شعرها وتظهر من تحته بعض

خصلات هاربة سقطت على جبهتها. لكم أعشق جمالكِ الهادىء وإطلالتكِ التي تهز كياني. مجرد نظرة إلى صفحة وجهها الأسمر الناعم وقسمات وجهه الهادئة توقظ في داخلي براكين من المشاعر الخاملة، ومجرد ابتسامة من بين شفتيها تعيد إلى قلبي بعضًا من نبضاته الميتة.

قبل ذلك اليوم بثلاثة أشهر، كان أول لقاء لي بهنادي بعدما تم انتدابي من قِبل المحكمة لتولي الدفاع عنها لعدم مقدرتها على توكيل محامي وتحمل نفقاته. استغرقتُ أيام في قراءة ودراسة تفاصيل القضية التي تمنيت أن أنتهي منها في أسرع وقت. تم اللقاء الأول بيني وبينها داخل أسوار السجن. استغرق لقائي بها أكثر من ساعة لم أستطع خلالها الوصول إلى أي تفاصيل جديدة منها، خرجت من السجن وأنا مفعم بشعور اليأس المرير ويتملكني شعور بالحزن البغيض. شيء ما تسلل إلى داخلي بمجرد أن وقعت عيني عليها، شيء ما تحرك بداخلي دون أدنى إرادة مني، شيء ما أصاب قلبي وتملك عقلي. أشياء كثيرة حدثت في لحظات قليلة ولكنها كانت كافية لإثارة الفضول في داخلي وخلق رغبة دفينة داخلي في التقرب منها ومساعدتها.

توقعتُ أن تستفيض هنادي في حديثها عن تفاصيل الحادث المرير الذي تعرضت له، تخيلتُ أنها سوف تلقي على أذنيَّ آلاف الأعذار وتختلق عشرات السيناريوهات التي تثبت براءتها وتعيد إليها حريتها المسلوبة، ولكنها فتكت بكل توقعاتي مما زاد من غضبي النابع من شعور الفضول الذي اكتنفني. ظللتُ ألقي عليها بسيل من الأسئلة وهي تكتفي بحركة من رأسها لا تنفي ولا تؤكد زعمي أوتساؤلي. كنت أستحثها على الحديث بكل وسائل الترغيب والترهيب ولكنها

كانت تقابل كل محاولاتي في ترهيبها بابتسامة تثير في داخلي الخوف، ثم أتحول بحديثي وأحاول إقناعها بأن كل كلمة قد تقولها يمكن أن استخدمها في الحصول على برائتها، فتكسو وجهها نظرة جامدة وترتعش قسمات وجهها.

وكأنها كانت تنشد لنفسها العقاب مهما كانت قسوته، وتسعى إليه وتنأى بنفسها عن البراءة، وإن كانت فيها حريتها، وكأن مفهوم العدالة قد اكتسب معنى جديدًا لديها ولا يفهمه إلاها. هنادي لا تسعى إلى حرية قد سُلبت منها ولا تنتظر رفع ظلم قد ألّم بها. هنادي أصبحت إنسانة بلا روح، وما أقسى أن يعيش الانسان بلا روح، وما أصعب أن يحيا الإنسان بلا أمل، وما الروح إلا سر الوجود وما الأمل إلا نافذة يتسلل منها النور ويخترق جيوش الظلام التي تحتل أرواحنا. كنت فقط أتمنى لو أن تكشف لي عن السر خلف إصرارها، وتقضي على أواصل الفضول التي أخذت تنمو في داخلي.

استمرت محاولاتي مع هنادي لأكثر من شهر ونصف، اقترب موعد محاكمتها، وكل ما أملك حتى الآن اعتراف من هنادي بقتل والدها وطعنه أكثر من ٢٠ طعنة في أنحاء جسده، اعتراف يمهد لها الطريق إلى حبل المشنقة، اعتراف يعجِّل بنهاية حياتها، ورغبتي أنا في الحياة من بعدها، ولكنها اعترفت بكامل إرادتها ودون أي ضغط وأيضًا دون إبداء أي أسباب لاقتراف جريمتها، وفشلت كل المحاولات في استخلاص دوافعها وراء ارتكابها تلك الجريمة. فعلت فعلتها ورقدت إلى جانب جثة والدها وابتسامة لم تخلُ منها شفتيها حتى ظهر أخوها في المساء بعدما قامت بالاتصال به وطلبت منه الحضور في الحال ليكتشف الفجيعة التي حلَّت بدارهم ونهر الدم الذي يسيل

من أنحاء جسد والده، ثم قام بإبلاغ قسم الشرطة بالحادثة. حتى إجراءات الضبط والإحضار ليس بها ما يمكنني استخدامه لصالحها، قضية سهلة وبسيطة لا تحتاج إلى أكثر من جلسة واحدة للنطق بحكم الإعدام، وأنا أجلس الآن في مكاني أنتظر سماع ذلك الحكم، ذلك الحكم الذي أصبح الآن بين يديَّ ما يُمَكِّنني من تخفيفه، ولكني قد أقسمت لهنادي بأني لن أبوح، ووعدتها بأني لن أكشف ما تريده هي أن يبقى مستورًا، وإن كان فيه موتها.. أو خلاصها كما تزعم هي!

قبل ذلك اليوم بأسبوع، كنت قد استسلمتُ ليأسي وسلمت بفشلي وبات الحكم بالإعدام على هنادي أمر لا مفر منه. وفي صباح يوم مشمس وحار من أيام شهر أغسطس، وردني اتصال من إدراة السجن وأخبروني بأن هنادي تطلب مقابلتي، بعد ساعة من الزمن كنتُ أجلس في مكتب صغير في انتظار هنادي أن تظهر. أخذت نيران الحيرة تتأجج في داخلي، لازمها فضول تملكني وأفقدني صوابي، بعدها بلحظات ظهرت هنادي بوجهها الصبوح فأطفأت نيران الحيرة وقتلت فضولي، وما بقى لي إلا بهاء طلَّتها التي أسرَت قلبي وألجمت تفكيري.

جلسَت أمامي في صمت، تعلو وجهها نظرة جامدة فشلتُ في تفسيرها. بلَّلت ريقها ببعض رشفات من الماء، ملأت صدرها بالهواء ثم باغتتني بصوتها الناعم وقالت:

«لقد أفقدتك تلك القضية الكثير من بريق عينيك، ولكني حائرة، لا أستطيع أن أجزم إن كان كل ذلك سببه حزن على مصيري المحتوم أم حزن على فشلك في تغييره؟».

هممتُ بالنطق وإن كانت كلماتها قد أفقدتني القدرة على التفكير وتاهت الكلمات داخل عقلي، ولكنها استوقفتني بحركة من يدها.

تحركَت من مكانها واتجهَت ناحية مكتب صغير خلف باب الغرفة. التفتُ إليها فوجدتها تسير في اتجاهي تحمل بين يدها مصحفًا صغيرًا وعندما أصبحت في مواجهتي رفعتُ رأسي والتقت عيناي بعينيها. ابتسمَت ثم قالت:

«عاهدني على كتاب الله بأن تحفظ سري ولا تبوح به وإن كان فيه خلاصي وحريتي».

يا إلهي! لم أتعرض في حياتي كلها لمثل هذا التردد ولهذا الكم من الخوف الممزوج بالحيرة، جيوش من المشاعر والأحاسيس المتضاربة تغزو عقلي وتخترق قلبي. اتسعت ابتسامتها ووجدتُ يدي المرتعشة تمتد في اتجاه المصحف، التقطتُه من بين يديها وقلت لها من خلف أنفاسي اللاهثة:

«أعاهدك يا هنادي بأن أصون العهد وأحفظ السر، والله على ما أقول شهيد».

جلسَت أمامي وقد اكتست قسمات وجهها علامات الارتياح، وأشرق وجهها بنور اخترق قلبي وهز كياني، تنهدت طويلًا ثم قالت:

«كنت في الثالثة عشر من عمري، توفيت أمي وفارقتني وأنا طفلة قبل أن تعلمني كيف أتعامل مع جسدي، ذلك الجسد الذي أخذ ينمو حتى أصبح مثل ثمرة يانعة مكتملة النضوج وفاق نضوجها مثيلاتها من الثمرات. كنت أرى في أعين أهل بلدتي الفقيرة نظرة لم أعي معناها في البداية، نظرة تخترق جسدي، كانت تُضحكني ابتسامتهم البلهاء ونظراتهم الخرقاء، بل كانت تثير في داخلي شعورًا بالزهو والاغترار».

يبدو أن نظرات أهل القرية ورغبتهم في امتلاك جسدي أصبحت وباءً تملّك الجميع، بما فيهم ذلك الذي تلقبونه بوالدي. في ليلة سوداء

ليان للنشر ولتوزيع

من ليالي الشتاء لم يظهر فيها القمر وكأنه كان على علم بما تحمله تلك الليلة واستحى أن ينير تلك الليلة، انتفضت في فراشي عندما شعرت بأنامله الخشنة ، تلجَّم لساني وتاهت الكلمات في جوفي، حاولت الفرار فانقض عليَّ، توسلت إليه في صمت فلم يرحمني، أقسمت عليه بأبوته فلم تزده صرخاتي إلا رغبة في المواصلة، وعندما انتهى، غادرني وفي عينيه نظرة الانتصار.

لازمتُ فراشي أيامًا طالت، ليس لألم قد حلَّ بجسدي، فآلام الجسد أهون كثيرًا من أوجاع الروح، وعندما بدأت في التعافي ولملمة أشلائي الممزقة، عاد إليَّ مرة أخرى وكأنه قد قرر قتل ما تبقي لديَّ من معالم الإنسانية في داخلي، وعندما انتهى جلس تحت قدمي يبكي في حُرقة وندم، أمسك بنعليه وأخذ يلطم بهما على وجهه وعلى رأسه حتى ظننته سوف ينتهي وليته فعل.

منعني من الذهاب إلى المدرسة رغم تفوقي، منع عني أصدقائي وزيارات جيراني التي كنت أجد فيها الكثير من الدفء الذي افتقدته بعد رحيل أمي. أرسل أخي الوحيد إلى خارج البلدة للعمل فأصبحت وحيدة بلا مأوى، جسد فارغ يتنفس بلا جدوى، حتى طلبات الزواج التي كانت تأتيني كان يرفضها وكأنه قد قرر امتلاكي إلى الأبد.

أرى في عينيك الكثير من الذهول، ولكني أكاد أرى أيضًا ذلك التساؤل والفضول، تريد أن تسألني لماذا لم تهربي؟ لماذا لم تحاولي أن تخبري احدًا بما يجري لكِ؟».

ابتسمت هنادي، وسقطت دمعتان من بين جفونها، ثم قالت:

«في البداية حاولت الهرب مرارًا وتكرارًا، باءت كل محاولاتي بالفشل، وكأنه كان يراقب كل حركة أقوم بها، أستغل غيابه عن المنزل

وأخرج منه، أركض بأقصى سرعة علَّني أخرج خارج حدود بلدتي أو حتى أموت وأنتهي، ولكنه كان يلاحقني وفي كل مرة يعود بي إلى المنزل يعاقبني بتكرار جريمته في قسوة بالغة وكأن ما يفعله بي ليس عقابًا. في مرة واحدة استطعت الهروب والوصول إلى منزل خالتي في بلدة مجاورة لبلدتنا وعندما وصلت إليها ملأتني السعادة بأني قد تخلصت أخيرًا من براثن الشر، وأني على موعد مع بداية جديدة، قصصت عليها كل ما حدث معي وتوسلتُ إليها ألا تتركني وأن تحافظ على ما تبقى لديَّ من أمل في الحياة. احتضنتني وهي تبكي ولمست في حضنها مشاعر الأمومة التي أفتقدها، استغرقت في نوم عميق كنت أشتاق له، لم تراودني الكوابيس التي اعتدت معايشتها في كل ليلة سواء في نومي أو في صحوي، استيقظت في الصباح وأنا أسمع نبرة صوته من خارج الغرفة، سمعته وهو يحكي لخالتي من خلف دموعه المنهمرة عن حالتي النفسية المتردية وزيارتي لأحد الأطباء النفسيين في المستشفى الكبير، وبعد ساعات كنت في فراشه من جديد، وفي انتظاري جرعة من عقاب قاسية امتدت حتى الصباح.

استباح أبي جسدي، واعتاد جسدي انتهاكه المحرم، ولكنه لم يكتفِ باستباحة جسدي، فأراد أن يجعلني مشاعًا بين مريدي الرغبة المحرمة، بدأ يتعامل معي وكأنني سلعة يقامر بها، إن فاز هو ظفر بها وحده وإن لم يتبقَ له ما يقامر به فلديه ما يغنيه عن أموال الدنيا، وعندما انتهى مني الضيف الجديد، غادرني في صمت ثم خرج من المنزل. وجدت نفسي أغادر سريري وأتجه إلى المرآة وأنا عارية الجسد، توقفت أمامها وأخذت أدقق في ملامح وجهي التي طمسها الحزن وغيَّرها الألم، أصبح وجهي مثل وجه عجوز أوشكت حياتها على الانتهاء رغم عدم تجاوزي للعشرين من عمري، أخذت أبحث عن بعض

مستحضرات التجميل التي كانت تمتلكها أمي ولم أستخدمها طوال حياتي، تزينتُ وتجملتُ، ونثرت قطرات من عطر على جسدي، تركت سراح شعري وتركته مسدولًا على ظهري، خرجتُ من غرفتي لأجد أبي مستلقٍ على ظهره وإلى جانبه بقايا سيجارة يتصاعد منها الدخان.

وبعد غياب وعي طال سنوات، وبعد سنوات عشتها في شتات من الفكر، وجدتُ نفسي بإرادة كاملة ووعي يقظ، أتجه إلى المطبخ في هدوء، أخذت أبحث في سكاكين المطبخ، أتحسس نِصال كل سكينة حتى اخترتُ أكثرها برودة بعدما سال خيط من الدم من بين أصابعي، خرجت من المطبخ وتحركت في اتجاهه في صمت، وعندما أصبحتُ في مواجهته، جلستُ على ركبتيَّ، اقتربتُ منه حتى شعر بلفيح أنفاسي على وجهه، فتح عينيه في كسل وعندما حاول أن يتحرك من مكانه، دفنت نصل السكين في كبده، صرخ وأخذ يتململ في مكانه يحاول الهرب فأتبعتُ ضربتي بعدة ضربات في أنحاء متفرقة في جسده، ومع كل ضربة من سكيني يتسلل إلى داخلي شعور بالهدوء يدفعني إلى المزيد من الطعنات. عشرون طعنة بعدد سنوات عمري، وكأني قررت أن أجعل جسده كعكة عيد ميلادي، استبدلت الشمع بالطعنات واستعضت عن الغناء بالصرخات، وكانت أنهار الدماء التي تسيل أغلى الهدايا وأجملها».

عندما انتهَت هنادي من سرد أحداث قصتها، غادرتُ السجن بعدما فشلت كل محاولاتي في إقناعها بأن تدلي بأقوالها أثناء المحاكمة أو قبلها، توسلتُ إليها فلم تثنِها توسلاتي عن رأيها وظلت تذكرني بعهدي الذي أقسمت به وأشهدت ربي عليه. خرجت من السجن مفعمًا بحزن عارم، مغلفًا بغضب جارف، يتملكني الذهول ويكتنفني اليأس.

لازمت فراشي طوال الأسبوع الذي سبق ذلك اليوم، كنت قد قررت التنحي عن القضية وعدم التواجد في ذلك اليوم ولكني وجدت نفسي ودون أدنى إرادة مني أقف أمام باب قاعة المحكمة وأجلس في مكاني الآن، وكأن قدري قد ساقني إلى تلك اللحظة حتى أشهد بنفسي لحظة الحكم على هنادي بالإعدام.

تلتقي عيناايَّ بعينيها فيصمت كل شيء من حولي، رغم الصخب والضجيج الذي يملأ جنبات المكان، أحيانًا يكون الصمت أشد ضجيجًا من آلاف الصرخات متجمعة. أشعر بأن القاعة قد خلت ممن فيها وما بقي غيري أنا وهنادي، أشعر باقترابي منها رغم المسافة التي تفصلني عنها، تنصهر القضبان الحديدية التي تقف حائلًا بيننا، أكاد أسمع نبضات قلبها الهادئة على عكس ضربات قلبي المضطربة، أتعلق بعينيها في محاولة مني لسبر أغوارهما، أحاول البحث عن أعمق نقطة داخل نفسها، أسعى نحو تفسير لذلك الهدوء الذي ينتابها، وذلك السلام الذي يحتويها، غارقٌ أنا في بحور عميقة من الحيرة، تتقاذفني أمواج التردد، ثم تقذف بي إلى شاطئ اليأس، هل أبقى على عهدي لهنادي وأكون سببًا في أن تلقى حتفها؟ أم تُراني أنكث بوعدي لها وأُفصح بما أرادت أن تبقيه هي موضع الكتمان وأجعلها تعيش ما بقي من سنوات عمرها بلا روح.. ميتة وسط الأحياء. هل أمنحها موتًا فيه حياتها؟ أم حياةً فيها شقاؤها؟

خرجتُ من شرودي على صوت حاجب المحكمة وهو ينادي:

«محكمممة».

****

A Minute in Time

By: Soheir Amr

As he felt the gravel beneath him on that unmerciful seashore he couldn't help but think how he got here. Out of breath he hoped he had ungripped all this pride that sank him and everyone around. Was the responsibility bestowed upon him too much or was he unworthy of it all?

The harder he had time opening his eyelids the more he thought about the moment his father passed away، that moment his world changed forever. From a handsome، unweiry، and charismatic prince to a king that ruled a nation that so blindingly followed his every command.

He felt his heartbeats flicker one by one، how shameful a death? A weak king shackled by his own ruin. Can he undo all this wrong? unwhip all the poor? unally all the haughty?

«Could I have given balm to the uproar of my people? Could I have listened instead of egotistically waging war?» He reran the thought in his now clouded mind

Struggling for an ounce of power he lifts his head hoping he could make any change in this battlefield. In vain his head slams on the hard gravel. He lost too much blood earlier as the swords penetrated him one by one; they were victorious swords as he knew they raised the flag of justice.

He closed his eyes prepared to face his destiny. A shrieking sound lightninged through his ear which unbolted his eyes. Unaware of the reality surrounding him he saw his little brother، the heir of the unholy kingdom. He saw the opportunity as his brother screamed of the injustice that has become of them، he had a chance to unspread all the cruelty. With the stones he wrote with shaking hands “Peace” leaving his younger brother awed. Finally his eyes closed forever، a hopeful soul took flight

❊❊❊❊

...I am Becoming

By: Soheir Amr

I am becoming a rock. Not a beautiful smooth precious stone that startle sights once set on it، but rather brittle like the ones lined defeated on a sea shore . A stone or a rock whichever suits the meaning best for it doesn't matter in the end as it feels the same.

I was once one of the beautiful precious stones; a diamond; the best of all. Shining in the sun I used to reflect colors and draw smiles on all the faces around me. Crowds used to stare in awe "Remarkable" they said as they witnessed how hopeful and positive I was.

A positive junkie I no longer am، as I tumbled down the dark valley that is life I found myself losing the ability to reflect all the joy and wonder I used to believe life held، for I myself couldn't see it anymore. All the blood had been sucked out of my veins replaced by space، taking away the shreds of who I used to be leaving a cold vulnerability that you could not witness unless you looked up close.

The more I lost light the more people thought I was becoming stronger، they could not fathom that I was my strongest when I was a diamond. I

try as hard as I may to conceal the emptiness that once was filled by the flowing river of hope that gave me warmth and strength against all the cynical in life.

Cynical، ha ! I used to pity all the pessimists، "How awful must their life be?" I used to question how they live a life expecting all their nightmares to take place -it was beyond me. And now as I stare into the horizon I wonder what has become of me? I look back at those times in a moment of contemplation and I realize that like a rock now I am indifferent. I just sit witnessing the life around me ; no longer moved، neither physically nor emotionally.

At least I have comfort in knowing I'm not mature، strong، or wise as people might say but rather dark، hard، and brittle. My knowledge of such facts can be the force that opens a window to the light that once shone. I could be whole again.

❊❊❊❊

الفهرس

إهداء ٥
النيلُ يلفُظ أنفاسَه الأخيرة ٧
اعترافات ليلة عيد ١١
واحة آمان ١٧
جرة قلم ١٩
استراحة محارب ٢٧
القُبلة الأولى- الذكرى العشرون ٣١
الشيخ سلفي ٣٣
نوبل ٣٧
داخل الفقاعة الهوائية ٤٠
قطة تسلقت السور مرتين ٤٤
أعترف أني.. ! ٤٧
الخاتم ٥١
الضحية القاتلة ٥٥
الأميرة الضائعة ٥٧
وجدت الله ٦٠
طنط نانا ٦٣
أخيراً ٧١

طبق منقوش!.. ٧٦
القرار ٨١
أعترف أني.. .... ٨٣
المربوعة... ٨٦
عِصمَت ٨٩
فِرَاق ٩٣
بعد الأوان.. ٩٦
عبد العاطي ١٠٢
بكُلِ سرور... ١٠٩
«فنجان قهوة.. مظبوط» ١١٩
«فنجان قهوة.. سادة»... ١٢١
«فنجان قهوة.. على الريحة» ١٢٣
«فنجان قهوة.. فرنساوي».. ١٢٦
«فنجان قهوة.. زيادة» ١٢٨
أوانُ الياسمين ١٣١
وذابت قطعةُ الشيكولاتة.. ١٣٤
وردة ١٣٦
ليسَ بعد.. .... ١٤٠
وداعُ حُلم ١٤٤
ذاكرةُ جُرم... ١٤٩
وَهمٌ ١٥٤
لا... ١٥٩
مَن أنا؟... ١٦١

لَم يَكُن وهمًا..١٦٣
صُدفة..١٦٦
ليلة سعيدة...١٦٨
كائنةٌ من الماضي..١٧٦
فلسفة الدوران ١٨١
خَوَاء ١٨٤
رُبَّمَا ١٨٥
رَمادُ الذِكرَى ١٨٧
مَدَار..١٨٨
مصلحة...١٩٠
معشوق...١٩١
إحساسٌ مرعب ١٩٣
«الدابة» في شارع عثمان محرم...١٩٦
القصة القصيرة «مونولوج»..١٩٩
حديثُ الغُرباء...٢٠٢
رسائلٌ خَفيَّة..٢٠٧
اختيار ٢١٥
طباطيب العجب..٢١٨
نمُّول ونمُّولة ٢٢٥
علبة شيكولاتة فارغة ٢٣٤
مِن أولِ نظرة...٢٣٧
رائحة الشقاء..٢٤٣
صائد الأسماك المفترسة ٢٤٧

حياة سِحر.. ٢٦٠
الدَيْن.. ٢٦٤
دُروب... ٢٦٧
ميكروباص.. ٢٧٠
شَاهْ.. ٢٧٢
الانفصال.. ٢٧٤
حارس السماء.. ٢٧٨
العشقُ صمتًا... ٢٨٢
ورقة خريف.. ٢٨٥
بورتريه.. ٢٩٠
الحاضنة.. ٢٩٢
مُعايدة حُب.. ٢٩٤
الحب هو عنوان القلوب... ٢٩٦
تمسكوا بريشة الهوى.. ٣٠٢
هنادي.. ٣١١
A Minute in Time ٣٢١
I am Becoming... ٣٢٣

المعتكف الكتابي

بـدأت فكـرة المُعتكـف الكتـابي بمبـادرة مـن الروائيـة هـدى أنـور لدعـم الكُتـاب اللذيـن يملكـون موهبـة الكتابـة ويواجهـون الكثـير مـن التحديـات والعقبـات فى طريقهـم لإذكاء موهبتهـم وتحويلهـا إلى أعـمال أدبيـة تُثـرى الأدب العـربي.

وإيمانـا منهـا بـأن تحديـات الكاتـب والفنـان في أغلبهـا تحديـات نفسـية، كالسـدّة الكتابية(التوقـف عـن الكتابـة) أو عـدم القـدرة عـلى التعبـير أو عـدم الثقـة في جـودة أعمالهـم إلى آخـره مـن العقبـات النفسـية التـي قـد تـؤدي إلى وأد الموهبـة الكتابيـة وضياعهـا، وإيمانـاً أيضـا مـن الروائيـة هـدى أنـور أن العـالم الأدبـى يحتـاج إلى مزيـد مـن الأدبـاء اللذيـن يمتلكـون الشـغف والموهبـة فقـد قـررت أن تأخـذ عـلى عاتقهـا، بالعمـل مـع فريـق مـن المتخصصـين، مهمـة صناعـة أدبـاء وأدب جـاد يتنـاول مشـكلات وقضايـا المجتمـع المـصرى والعربـى فى إطـار أدبـى متميـز.

المعتكـف الكتابى هـو عطلـة كتابيـة خـارج العـالم الصاخـب، عطلـة يعـود منهـا الكاتـب وقـد تخطـى كل التحديـات والمشـكلات التـى تقـف

عائقاً فى طريقه لإنتاج أعمال أدبية ثرية، وبعد العودة ينضم الكاتب لأسرة المُعتكف الكتابى التى تضم جميع أفراد المعتكف تحت مظلة واحدة، وتستمر رحلة الدعم حتى نشر أول أعمالهم الأدبية

بدأت أول دورات المعتكف الكتابى فى مارس ٢٠١٧ فى دهشور مروراً بنبع الحمراء وحتى دورته الخامسة فى ديسمبر ٢٠١٧ وتتواصل دورات المعتكف الكتابى لتبدأ فى عام ٢٠١٨ فى دهب جنوب سيناء

للتعرف أكثر على تجربة المعتكف الكتابى والتواصل والإشتراك معنا يرجى زيارة صفحتنا:

https://m.facebook.com/profile.php?id=1480407598668832&ref=content_filter

المُعتكف الكِتابى – هُدى أنور The Writing Retreat Egypt

لبان
للنشر
والتوزيع